السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/ ١٢ /٧

كتاب الفتوح

للعلامة أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى

(المتوفى نحو ٣١٤ هـ = ٩٢٦ م)

(الجزء السابع)

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

البروفيسور السيد عبد الوهاب البخارى مدير دائرة المعارف العثمانية و عميدها

الطبعة الأولى

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن الهند

١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

فهرس الجزء السابع

من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى

صفحة	عنوان
١	ذكر كلام عبد الملك بن مروان على المنبر ، و إجابة الحجاج إياه . و تولية الحجاج العراقين جميعا .
٤	« قدوم الحجاج إلى الكوفة و كلامه على المنبر .
٤٦	خبر سبرة بن الجعد مع الحجاج بن يوسف .
٥١	ثم رجعنا إلى أخبار الأزارقة .
٥٢	خبر الجاريتين ابنتى تبع الحميرى و خبر محمد بن يوسف أخى الحجاج و خبر السيف و هذا داخل فى حديث الأزارقة .
٥٣	ذكر اختلاف الخوارج و تشتيت أمرهم .
٧١	« كتاب المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج بعد فراغه من الأزارقة .
٧٣	« الرسول و كلامه بين يدى الحجاج .
٧٦	« كتاب الحجاج إلى المهلب .
٧٨	« ولاية خراسان للمهلب بعد فراغه من حرب الأزارقة .
٧٩	« مسير سفيان بن الأبرد الكلبى لما بعث به الحجاج إلى حرب من انفلت من الأزارقة .

Marfat.com

صفحة	عنوان
٧٤	ذكر خروج شبيب بن يزيد و ما كانت من أمره و خروجه على الحجاج .
٩٨	« عمران بن حطان الخارجى .
١٠٧	ثم رجعنا إلى الخبر الأول و أمر خراسان .
١١٤	ابتداء أمر ابن الأشعث مع الحجاج بن يوسف .
١١٨	ذكر كتاب المهلب بن أبى صفرة إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث .
١١٩	« وفاة المهلب بن أبى صفرة و وصيته عند موته .
١٢٠	« مسير ابن الأشعث إلى العراق لمحاربة الحجاج .
١٣٠	و هذه أول وقعة كانت لابن الأشعث مع الحجاج .
١٣٤	و هذه الوقعة الثانية بالبصرة بين ابن الأشعث و بين الحجاج ابن يوسف .
١٣٦	ذكر وقائع دير الجماجم .
١٤١	« مقتل كميل بن زياد رضى الله عنه صاحب على بن أبى طالب رضى الله عنه .
١٤٥	« وقعة القوم بالمفتح .
١٤٦	« الأسارى و من قتل منهم صبرا يوم المفتح .
١٥١	« هرب ابن الأشعث إلى بلاد كرمان .
١٥٣	« الوقعة مع يزيد بن المهلب .

Marfat.com

صفحة	عنوان
١٥٨	ذكر مقتل سعيد بن جبير رحمه الله .
١٦٧	« خروج مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم .
١٨٤	« مسير مسلمة بن عبد الملك إلى عمورية بعد فتح طوانة .
١٩٦	و ههنا تقع أخبار يزيد بن المهلب و ما كان من أمره ثم نرجع إلى أخبار قسطنطينية و انصراف المسلمين عنها إن شاء الله تعالى .
٢٠١	ذكر موت عبد الملك بن مروان و وصيته عند موته إلى أولاده .
٢٠٥	« دخول قتيبة إلى خراسان أميرا عليها ثم نرجع إلى خبر يزيد بن المهلب .
٢٠٨	رجعنا إلى خبر يزيد بن المهلب و الحجاج بن يوسف .
٢٠٩	ذكر هرب يزيد من السجن إلى بلاد الشام و اتصاله بسليمان ابن عبد الملك .
٢١٥	ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم و سنرجع إلى خبر يزيد بعد إن شاء الله تعالى .
٢١٧	ذكر مغازى قتيبة بن مسلم بخراسان .
٢٢١	« غنائم بيكند و ما وجد فى خزائنها .
٢٢٤	« مسير قتيبة بن مسلم إلى بخارى .
٢٢٥	« نيزك البرقشى و هربه من عسكر قتيبة .
٢٢٠	خبر المنطقة .
٢٣١	ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم .

صفحة	عنوان
٢٣١	ذكر مسير قتيبة إلى مرو الروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان في وقت واحد .
٢٣٤	» مسير قتيبة إلى بلاد سجستان ثم منها إلى بلخ .
»	» » » إلى بلخ و ما والاها من الكور .
٢٣٥	» » » إلى خوارزم .
٢٣٨	» » » إلى السغد من بعد فتح خوارزم و ما والاها .
٢٣٩	» كتاب الحجاج إلى قتيبة .
»	» نزول قتيبة على سمرقند و محاربة أهلها .
٢٤٣	» صلح قتيبة بن مسلم على سمرقند و دخوله و المسلمين إياها .
٢٤٤	» العهد الذى كتب الغوزك لابن أخشيد .
٢٤٧	» كتاب الحجاج إلى قتيبة .
٢٤٨	» » » » » عند وفاته .
٢٤٩	» ولاية يزيد بن أبى كبشة على العراق و مسير قتيبة إلى فرغانة .
٢٥١	» فتح كاشغر من أدانى مدائن الصين ، و وفاة الوليد بن عبد الملك .
٢٥٣	» ابتداء خلاف قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك و عصيانه إياه .
٢٦١	» كلام قتيبة فى خطبته .
٢٦٥	» مقتل قتيبة بن مسلم و اجتماع أصحابه على ذلك .

Marfat.com

صفحة	عنوان
٢٨٠	ذكر ولاية يزيد بن المهلب أرض خراسان .
٢٨٦	« مسير يزيد بن المهلب إلى جرجان و ما كان منه إلى أهلها .
٢٨٩	« مسير يزيد بن المهلب .
٢٩٣	« مسير يزيد بن المهلب إلى جرجان و ما فعل بها و أهلها .
٢٩٦	« كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان .
٢٩٨	« رجوع مسلمة بن عبد الملك إلى دار الاسلام بعد أربع عشرة سنة .
٣٠٦	خلافة عمر بن عبد العزيز .
٣١١	ذكر كتاب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب .
٣١٣	« القوم المتظلمين من يزيد بن المهلب و ما كان من كلامهم بين يدى عدى بن أرطاة و ما كان من رده عليهم بجواب لم يسمع بمثله .
٣١٥	و هذا كلامهم ليزيد بن المهلب على رؤس الأشهاد .
٣١٦	ذكر جواب يزيد لهؤلاء القوم .
٣١٨	« قدوم يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز .
٣١٩	« قدوم مخلد بن يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز من خراسان .
٣٢٠	« ولاة خراسان و أرمينية .
٣٢١	خبر يزيد بن المهلب و يزيد بن عبد الملك .
٣٢٣	ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز .

* * * * * * * *

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر كلام عبد الملك بن مروان على المنبر، و إجابة الحجاج إياه، و تولية الحجاج العراقين[1] جميعا

قال: فتكلم / عبد الملك بن مروان، فقال: أيها الناس! إن العراق ٦٨ / الف
قد تكدر ماؤها، و ظهر جدبها، و ملح عذبها، و بدا وميضها، و اشتد ضرامها، و كثر لهبها، و ثار قتامها[2]، و عظم شررها، و علا أمرها، و أبرق ٥
رعودها، و كثر وقودها، بحطب حيّ، و جمر ذكي، و دخان وهي؛ و هؤلاء الأزارقة، الطغاة المارقة؛ قد اشتدت شوكتهم، و تفرقت جرثومتهم؛ حتى قد حذرهم[3] الصغار، و ليس يقوم لهم الكبار؛ فمن ينتدب لهم منكم بسيف قاطع، و سنان[4] لامع، و قلب جامع؛ فيخمد نيرانهم و ينتفع

---

(١) ف الاصل: العراق.

(٢) ف الأصل: قتام.

(٣) ف الأصل: حذروهم.

(٤) ف الأصل: شان.

Marfat.com

بها خطرها و يأمن الكاعب، و يرجع الغائب؛ و يصفو البلاد، و يسلس القياد؟
قال: فسكت[1] الناس و قام الحجاج فقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين! فولنى[2] إياها، فأنا الليث القمقام، و الليث الضرغام، و السيف الحسام، الهشام للعظام و الهام؛ و أنا فراج الصفوف، و قاتل الألوف، و مأوى القرى و الضيوف، و خلس الحمام و الحتوف، و القنا و السيوف. قال فقال له عبد الملك بن مروان: اسكت! فلست هناك. ثم قال: أيها الناس! إنه قد أطرقت الليوث، و كاعت الديوث، و تربصت البعوث؛ و لست أرى أسدا يقصد لفريسته، و لا ذئبا يسمو نحو بغيته، و لا نمرا يخرج من غيضته؛ فمن للعراق و حرب الأزارقة؟ قال: فسكت[1] الناس و تكلم الحجاج فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين! فولنى[2] إياها، فأنا الليث الغشمشم، و القرن المنتقم؛ من الظالم الخائن، و الغادر الآفن؛ أنا ذو النفاذ و اللسان، و العدل و الإحسان، و السرعة إلى الأقران، عند تشاجر المُرّان[3]. قال فقال عبد الملك: إن لكل أمير آلة و قلائد، فما آلتك و قلائدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! الشدة و اللين، و العفو و القتل، و الريث و العجل، و الرفق و الحزق، و المكاشفة و المداراة، و لإدناء و الإبعاد، و الجفاء و التواضع، و الصلة و الحرمان؛ أنا الليث الهصور، المتقمص بجلد النمور، فمن رمقنى بسوء حددته، و من نازعنى بددته، و من لوى شدقيه جذعته،

(١) فى الأصل: فسكتوا.
(٢) فى الأصل: فولينى.
(٣) أى الرماح اللدنة فى صلابة، الواحدة: مُرّانة.

Marfat.com

و من تكبر علىّ قمعته ، و من نازعنى قصمته ، و من دنا منى أكرمته ، /و من نأى عنى طلبته ، و [من] ثبت لى طاعنته ، و من ولّى عنى لحقته ، ٦٨/ب و من أدركته قتلته ، و من ماحكته غلبته ، و من طلب الأمان أعطيته، و من تواضع لى أدنيته ، و من سارع إلى طاعة أمير المؤمنين بحلته - فهذه آلتى و قلائدى ، و أنا صاحب ابن الزبير ؛ و لا عليك يا أمير المؤمنين أن تسبرنى و تجربنى ! فان كنت للأعناق قطاعا ، و للأرواح نزاعا ، و للخراج جماعا ، و فى الأمور نفاعا ؛ و إلا استبدلت بى غيرى . و فى رواية أخرى أنه قال : إن آلتى أن أزرع بدرهمك من بواليك ، و أحصد بسيفك من يعاديك ، سوّد لى قرطاسا و اعقد لى خرقة فى رأس قناة . فقال له : أنت لها و لكل شدة ؛ فكتب عهده بيده . قال فقال له عبد الملك بن مروان : أنت لها يا حجاج ، فسر إليها مشمرا لإزار ، شديد الحذار ؛ فارفع الشريف ، و قوّ[1] الضعيف ؛ فقد وليتك العراقين جميعا و البصرة ، فاضغطها ضغطة يحيق بها أهل البصرة ؛ و إياك و هوينا أهل الحجاز ! فان القائل يقول ألفا و لا يقطع حرفا .

قال : ثم التفت عبد الملك بن مروان إلى كاتبه فقال : اكتب عهده على العراقين ، و اطلق يده فى الرجال و السلاح و الأموال و لا تجعل له علة ، و اعلم أهل العراق أنه قادم إليهم أميرا عليهم فليلزموا طاعته و ليحذروا صولته . قال : فكتب عهد الحجاج على العراقين يوم الاثنين ، و خرج يوم السبت ، فلم يزل يسير حتى دخل الكوفة .

---

(١) فى الأصل : قوى .

Marfat.com

ذكر قدوم الحجاج إلى الكوفة و كلامه على المنبر

قال : فلما دخل الكوفة قدم[1] أشراف الناس ينظرون إليه من كل ناحية ، حتى نزل على باب المسجد الأعظم ، ثم دخل المسجد الأعظم من ساعته و على رأسه عمامة له حمراء قد اعتجر بها ، و تنكب قوسا له عربيا و هو متقلد بالسيف حتى صعد المنبر فجلس عليه ، و اجتمع[2] الناس حتى انغص المسجد بأهله و الحجاج جالس على المنبر ما يحدر اللثام عن وجهه و لا ينطق بحرف . قال : و أهل الكوفة يومئذ / ذو هيئة / الف و عزة و بزة و منعة و حالة جميلة ، الرجل منهم يدخل المسجد و معه جماعة من أهل بيته و مواليه ، و عليهم الخزوز و أشباه ذلك ؛ قال : و فى المسجد يومئذ أشراف مجتمعون . قال : فتكلم رجل منهم فقال : لعن الله بنى مروان حين يستعملون مثل هذا أميرا ! فوالله لو كان كله كلاما لما كان شيئا ! قال : و الحجاج ساكت[3] ينظر يمينا و شمالا ، فلما أن رأى أن المسجد قد انغص بأهله قال : اجتمعتم ؟ قال رجل منهم : نعم ، قد اجتمعنا أصلح الله الأمير ! فهات ما عندك ، قال : فسكت الحجاج قليلا لا يأتى بجواب ، فلما نظروا إلى سكوته أهووا بأيديهم إلى حصباء المسجد ليحصبوه . قال : و فطن الحجاج لذلك فقام قائما على قدميه ، و خفقت الطبول و الأعلام على باب المسجد ، و تكلم الحجاج و قال :

(١) فى الأصل : قدموا .
(٢) فى الأصل : اجتمعوا .
(٣) فى الأصل : ساكتا .

Marfat.com

أفعلتموها يا أهل الفتنة الداجنة ! ثم سفر العمامة عن وجهه و جعل يقول :

أنا ابن جلا و طلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى[1]
صليبُ العود من سلفى نزارٍ[2] كنصل[3] السيف وضّاح الجبين
و ما ذا يبتغى[4] الأقران[5] منى و قد جاوزتُ حدّ الأربعين
أخو الخمسين[6] مجتمعٌ أشُدّى [7]و همى فى مداواة[7] الشؤون
و إنى لن يعود[8] إلىّ قرنى غـداة الروع إلا بعد حين[9]

قال : ثم سكت هنية و قال : إنى لأرى رؤسا قد أينعت و حان قطافها ، و إنى لصاحبها ، و كأنى أنظر إلى الدماء ، و إنها لترقرق [بين ـ[10]] العمائم و اللحى . قال : ثم جعل يرتجز و يقول :

---

(١) ورد البيت الواحد فى الطبرى ٧/ ٢١٠ و ابن الأثير ٤/ ١٨٢ و الكامل للمبرد ص ٢١٥ و مروج الذهب ٢ / ١٣٢ ، و الأبيات الآتية فى العقد الفريد ٤ / ١٨٠ موجودة .

(٢) فى العقد الفريد : رياح .

(٣) من العقد الفريد ، و فى الأصل : بنصل .

(٤) من العقد الفريد ، و فى الأصل : يعمر .

(٥) فى العقد الفريد : الشعراء .

(٦) فى العقد الفريد : خمسين .

(٧-٧) فى العقد الفريد : و نجّذنى مداورة .

(٨) فى العقد الفريد : لا يعود .

(٩-٩) فى العقد الفريد : غداة العبء ، إلا فى قرين.

(١٠) من الطبرى وابن الأثير والكامل للمبرد و مروج الذهب والعقد الفريد .

Marfat.com

[1]و القوس فيها وَتَرٌ عُرُدٌ[2] مثل ذراع الفيل[3] أو أشدّ
لا بد مما ليس منه بد قد جدّ عنى أمركم فجدّوا[4]

قال: ثم سكت هنية فطفق يقول:

هذا أوان الشدّ[5] فاشتدّى زِيَمْ عند النطاح يغلب الكبش الاحم[6]
قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ مُلمّ[7] الخَلْقِ عنوفٌ فى الظُلَم
٦٩/ب / خدلج الساقين خفاق القدم فلم تنم ليلتها و لم ينم[8]

(١) فى جمهرة خطب العرب لأحمد زكى ٢/٢٧٥ و الكامل للبرد ص٢١٦ قبل البيت:

قد شمرت عن ساقها فشدوا و جدت الحرب بكم بجدوا

و فى العقد الفريد:

قد شمرت عن ساقها فشدوا ما علتى و أنا شيخ إد

و فى مروج الذهب:

قد شمرت عن ساقها فكدوا و جدت الحرب بكم بجدوا

(٢) فى مروج الذهب: عربد.

(٣) فى العقد الفريد ٤/١٨١ و مروج الذهب و جمهرة الخطب و الكامل للبرد: البكر. وليست الأبيات فى الطبرى ولا ابن الأثير.

(٤) ليس البيت فى العقد الفريد و مروج الذهب، و المصراع الثانى ليس فى جمهرة الخطب و الكامل للبرد.

(٥) كذا فى الطبرى والعقد الفريد و جمهرة الخطب و الكامل للبرد، و فى مروج الذهب و ابن الأثير: الحرب.

(٦) ليس المصراع فى المراجع المذكورة.

(٧) فى الأصل: ضلمم؛ ليس المصراع فى المراجع المذكورة.

(٨) ليس البيت فى المراجع المذكورة.

بات

Marfat.com

بات يراعيها غلام ذو همم[1] ليس براعى إبل و لا غنم
و لا بجزّار على ظهر[2] وضم[3] من يلقه يُودِ كما أودت إرم[1]

قال : يا أهل العراق ! إنى لست بأعرابى أعود بجراثيم العوسج ، و لا أغمز كغمز التين ، و لا أقرع كقرع المرقة ، و لايقعقع لى بالشنان ، و لقد فررت[4] عن ذكاء ، و فتشت عن تجربة ، و جربت[5] إلى الغاية القصوى ، و إنى لأحمد الرجل منكم بفعله و أحذوه بنعله ، و إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نكث[6] كنانته فعجم عيدانها عودا عودا ، فوجدنى أمرّها[7] عودا و أصلبها مكسرا و أحزمها أمرا و أصدقها مخبرا ، فوجهنى إليكم و رماكم بى أميرا عليكم ، لأن الشيطان قد باض فى نحوركم ، و دب و درج فى صدوركم ، فأنتم له زين ، و هو لكم قرين ١٠ " و من يكن الشيطن له قرينا فساء قرينا[8] "، يا أهل الكوفة ! إنكم طالما

(١) ليس المصراع فى المراجع المذكورة .
(٢) فى ابن الأثير : لحم .
(٣) فى الأصل : الوضم ، و التصحيح من المراجع .
(٤) من المراجع المذكورة ، و فى الأصل : قررت ـ بالقاف .
(٥) فى العقد الفريد : أجريت ؛ و فى جمهرة الخطب و الطبرى ٧ / ٢١١ و ابن الأثير و مروج الذهب ٢/١٣٣ : جريت .
(٦) فى الطبرى و ابن الأثير و مروج الذهب و العقد الفريد و جمهرة الخطب : نثر ، و فى حاشية جمهرة الخطب : « و فى رواية : كبّ » .
(٧) من المراجع المذكورة ، و فى الأصل : اشرها .
(٨) سورة ٤ آية ٣٨ .

Marfat.com

أبطأتم عن الحق ، و عدلتم عن الصدق ، و سننتم سنن الغى و الجهالة ، و تسكعتم فى العمى و الضلالة ، و أيم الله لأقرعنكم قرع المروة[1] ، و لأعصبنكم عصب السلمة ، [2]و لأقطعنكم عن خضاب الكثم ، و لأبرينكم برى القلم ، و اعلموا أنى لا أعد إلا وفيت ، و لا أقول إلا أمضيت ، و لا أدنو إلا فهمت ، و لا أبعد إلا سمعت ، فاياكم و هـذه الهنـات و الجماعات و البطالات و قال و قيل و مـا ذا يقول ، و أمر فلان إلى ما ذا يؤل ؛ و ما أنتم يا أهل العراق و يا أهل الشقاق و النفاق و مساوئ الأخلاق ! و إنما أنتم أهل قرية[2] " كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون[3] "، [4]ألا ! و إن

(١) فى جمهرة الخطب ٢/٢٧٦ : المروة ، و بهامشه : « المرو : حجارة بيض برّاقة تورى النار » .

(٢ - ٢) فى المراجع المذكورة : « و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، فانكم لكأهل قرية » .

(٣) فى سورة ١٦ آية ١١٢ : و ضرب الله مثلا قرية كانت - الآية ، و كذا فى الطبرى ٧/٢١١ .

(٤) فى المراجع المذكورة بدل العبارة الآتية هكذا : « و إنى و الله لا أعد إلا وفيت ، و لا أهم إلا أمضيت ، و لا أخلق إلا فريت ، فاياى و هذه الشفعاء و الزرافات و الجماعات ، و قالا و قيلا و ما تقول ، و فيم أنتم و ذاك ، أما و الله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده ، و إن أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم ، و أن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة و إنى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه ، و أنهبت ما له ، و هدمت منزله »

Marfat.com

خير الرأى ما هدى الله به العباد، إلى سبيل الرشاد، فليعقل من كان له معقول، أو لسان به يقول، أو ذهن به يصول، أو رأى مدخول؛ ألا! و قد /أتتكم بائقة من بوائق الزمان، ذات علم و بيان، يتلوها سطوة من سطوات الله ٧٠ / الف ذى الجلال، يحتاج فيها كرائم الأموال، يراق فيها الدماء، و يجعل الحرائر فيها إماء، ثم لا يستطيعون عند ذلك عبرا، و يرونها لكم غيرا؛ فهيهات هيهات! لما قد مضى و فات، ما الخبر ما الخبر! الحجاج حية ذكر، يجتلى بسيفه الهام و القصر، و له فى كل يوم نهر و مزدجر؛ ألا! و من استوسقت لنا طاعته، فهو منا و نحن منه، و من ركب المومأة و أخذ فى الشبهات، فلات حين مناص، لأهل الهنات و المعاصى، يا أهل الكوفة! ما تخافون أن تغير عليكم الخيل الملجمة، عليها الكُماة المعلمة، فتترك رجالكم كأمثال الزقاق الناصبة[1]، السائلة بأرجلها العاصبة؛ ألا! إن سيفى سيروى من دمائكم، و يفرى من جلودكم، فمن شاء فليحقن دمه، و إلا أطعمت السباع لحمه، و أقمت الرخم على شلوه؛ فمهلا مهلا يا أهل العراق! فان مثلى يقرن الصعاب و يرتبط الخيل العتاق، لأنى فى الحروب ولدت،[2] و فى الحروب نشأت و حنكت، و نبتت نواجذى، و صلع رأسى؛ ألا! و إنى قد سست و سامنى السائسون، و أدبنى المؤدبون[3]، فاستقيموا و بايعوا، و اسمعوا و أطيعوا، و اعلموا أنه ليس منى الإكثار و لا الإهدار، و لا الفرار و لا النفار، و إنما هو انتضاء هذا السيف البتار، ثم لا يغمد

(١) فى الأصل: الناصية.
(٢) زيدت فى الأصل: و سامنى السائسون و أدبنى المدبون، و ستأتى.
(٣) فى الأصل: المدبون - كذا.

Marfat.com

حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ، و يقيم له أولادكم ، ألا ! و إنى وجدت اليسر مع الصدق ، و الصدق فى الجنة ؛ و وجدت الكذب مع الفجور ، و الفجور فى النار ؛ ألا ! و إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أوفر عليكم عطاياكم و أن أشخصكم إلى مجاهدة عدوكم ، و قد أمرت بذلك لكم ، و الحجاج بن يوسف يعطى ربه عهدا يأخذه به و يستوفيه منه ، لئن بلغنى أن رجلا منكم تخلف عن قبض عطائه يوما واحدا لأضربن عنقه ، و لأنهبن ماله و لأهدمن داره .

٧٠/ب ثم قال : يا غلام ! / اقرأ عليهم ! [فقرأ عليهم] كتاب أمير المؤمنين إلى من بالعراق : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عند عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، إلى من بالعراق من المؤمنين و المسلمين ، سلام عليكم - فلم يقل أحد شيئا ، فقال الحجاج : يا أهل الفتن ! يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام ! أما و الله لأؤدبنكم بأدب غير هذا إن شاء الله و لا قوة إلا بالله ! يا غلام ! أعد القراءة ، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق أحد فى المسجد إلا قال : و على أمير المؤمنين السلام و رحمة الله و بركاته ، و على الأمير معه . قال : ثم قرأ الكتاب عليه بالسمع و الطاعة للحجاج حتى إذا أتى على آخره قال[1] الناس : سمعنا و أطعنا أيها الأمير ! فمد الله لنا فى عمرك .

قال : ثم نزل الحجاج عن المنبر و دخل إلى قصر الإمارة فأقام ثلاثا ، فلما كان فى اليوم الرابع و قعد للناس و أمر بفتح أبوابه ، و وضع

---

(١) فى الأصل : قالوا .

Marfat.com

للناس العطاء ، فجعلوا يقبضون و يتجهزون إلى المهلب بن أبى صفرة لحرب الأزارقة .

قال : و أقبل رجل من بنى تميم يقال له عمير بن ضابى[1] البرجمى و معه نفر من بنى عمه حتى أوقفهم على باب الحجاج ، ثم دخل فسلم فقال : أيها الأمير ! أصلحك الله و أصلح على يديك ، و جعلك صلاحا لمن لاذ بك و لجأ إليك و أناخ بفنائك ، فانك كهف للعرب و طودها بعد أمير المؤمنين ، إنى قد سمعت النداء و خرج اسمى فى هذا البعث إلى حرب الأزارقة ، و أنا شيخ و لى ابن هو أقوى منى و أجلد فى الحرب و أصبر فى السفر ، فان رأى الأمير أيده الله أن يقبله منى بديلا و يمنّ علىّ بلزوم منزلى فعل موفقا مانّا متفضلا ، فانى سأملأ الأرض ثناء و السماء دعاء ، و الشاكر محبوب ، و قد أحبه الله عز و جل ، و أمر به عباده ، فقال جل ثناؤه و تقدست أسماؤه " و اشكروا لى و لا تكفرون[2] " و قد قال الشاعر حيث يقول :

فان كان يستغنى عن الشكر ماجد لعزة مجد و ارتفاع مكانِ
لما أمر الله العباد بشكره فقال اشكروا لى أيها الثقلانِ

/ قال فقال الحجاج : يا شيخ ! فاننا قد أجبناك إلى ما سألت ، انطلق فوجه ٧١/ الف بابنك بديلا فلا بأس بشاب يكون مكان شيخ . فلما ولى الشيخ من

(١) فى الأصل : صافى ، والتصحيح من مروج الذهب ٢/١٣٣ والطبرى ٧/٢١٢ ؛ وفيه : التميمى ثم الحنظلى ؛ وكذا فى ابن الأثير ٤/١٨٣ .
(٢) سورة ٢ آية ١٥٢ .

بين يدى الحجاج التفت كاتب الحجاج [1]عنبسة بن سعيد[1] فقال : أصلح الله الأمير أتعرف هذا الشيخ ؟ فقال الحجاج : لا ، قال : هذا عمير بن ضابئ[2] البرجمى الذى دخل على أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى يوم الدار و هو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه ، قال فقال له الحجاج : أيها الشيخ الضال! أ لست القائل يوم قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان هذا البيت :

أردت[3] و لم أفعل و كدتُ و ليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله[4]

أتشهد يوم الدار بيدنك و تبعث اليوم بابنك بديلا ! هلا بعثت بديلا يوم الدار ! أما و الله إن فى قتلك صلاحا لأهل المصرين ! يا غلام اضرب عنقه ! قال : فتنحى الشيخ من بين يدى الحجاج فضرب عنقه فاذا رأسه يتدهده[5] ، قال : و سمع الحجاج ضجة بالباب فقال : ما هذا الضجيج؟ فقيل له : أصلح الله الأمير هؤلاء بنو عم هذا المقتول ، فقال : ألقوا إليهم رأسه ، فألقى إليهم الرأس ، فلما نظروا إليه ولوا هاربين على وجوههم حتى دخلوا منازلهم . قال : و جعل يتمثل بقول سويد بن أبى كاهل :

كيف يرجون سقاطى بعد ما جلّل الرأس مشيب[6] و صلُع

(١-١) من الطبرى ٧/٢١٣ وابن الأثير ٤/١٨٤ و مروج الذهب ٢/١٣٤ ، و فى الأصل : سعيد بن عيينة .

(٢) فى الأصل : ضاى .

(٣) فى المراجع المذكورة : هممت .

(٤) المصراع فى مروج الذهب : فعلت و أوليت البكاء حلائله .

(٥) فى الأصل : يتدهدأ .

(٦) فى الأصل : مشيبا ، والتصحيح من نزهة الأبصار بطرائف الأخبار و الأشعار ٩/١٦٢ و الشعر و الشعراء ص ٩٧ .

Marfat.com

ساء ما ظنوا و قـد أبليتهم عند غايات المنى[1] كيف أقع
رب من أنضجت غيظا صدره[2] قـد تمنى لىَ موتا[3] لم يطع
و يرانى[4] كالشجا فى حلقـه عسرًا مخرجـه ما يُنتزع
و يحـينى إذا لاقيتـه و إذا يخلو له لحمى رتـع

قال : و أقبل ابن الزّبير* الأسدى عند باب الحجاج فزعا مذعورا، [5] فلقيه ابن عم له يقال له إبراهيم[6] فقال : ما وراءك يا ابن الزبير ؟ فقال : ورائى و الله كل بلية، فقال : و ما ذاك ؟ قال : قتل : عمير بن ضابئ* صبرا فالنجاة النجاة ! ثم أنشأ يقول :

أقول [7]لإبراهيم لمـا[7] لقيتـه أرى الأمر أمسى[8] واهنا[9] متشعبا[10]

---

(١) فى نزهة الأبصار : المدى . و ليس البيت فى الشعر و الشعراء .

(٢) فى نزهة الأبصار و الشعر و الشعراء ص ٩٦ : قلبه .

(٣) فى نزهة الأبصار : شرًا .

(٤) من نزهة الأبصار و الشعر و الشعراء، و فى الأصل : ترانى .

(٥) فى الطبرى ٧/٢١٣ و ابن الأثير ٤/١٨٤ و مروج الذهب ٢/١٣٤ : عبد الله ابن الزبير .

(٦) فى الطبرى : إبراهيم بن عامر أحد بنى غاضرة، و فى ابن الأثير : إبراهيم بن عامر الأسدى .

(٧-٧) فى الكامل للمبرد ص ٦٦٦ : لعبد الله يوم .

(٨) فى ابن الأثير : أضحى .

(٩) فى الطبرى و ابن الأثير و الكامل للمبرد : منصبا، وفى مروج الذهب : مهلكا .

(١٠) فى مروج الذهب : متصعبا .

Marfat.com

٧١/ب / تخيّر[1] فإما أن تزور ابن ضابئ عميرًا و إما أن تزور المهلبا
هما خُطتا سوء[2] نحاؤك[3] منهما ركوبك[4] حوليًا من الثلج أشهبا[5]
و إلا فما الحجاج غامد[6] سيفه يد[7] الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

قال: و أصبح الحجاج من غد فدعا بكاتبه، فقال: اكتب إلى المهلب ابن أبي صفرة: أما بعد فان بشر بن مروان وجهك إلى الحرب التى[8] للأزارقة و كان مستكرها لنفسه فيك، و أنا أريدك لحاجتى إليك فأبشر و قر عينا و اثبت على حرب القوم، فو الله لأحشرن إليك حشرا و لأعجلن

(١) فى مروج الذهب: تجهز؛ و فى الطبرى و ابن الأثير قبل هذا البيت:
تجهّز وأسرع و الحق الجيش لا أرى سوى الجيش إلا فى المهالك مذهبا
(٢) فى الطبرى: كره، و فى ابن الأثير و مروج الذهب والكامل للبرد: خسف.
(٣) من الطبرى و ابن الأثير و مروج الذهب و الكامل للبرد، و فى الأصل: يحاول.
(٤) من الطبرى و ابن الأثير و مروج الذهب و الكامل للبرد، و فى الأصل: و ينصر.
(٥) بعد هذا البيت فى الطبرى و ابن الأثير.
فقال و لو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هى أقربا
فكأن ترى من مكره العد و مسمن تحمم حنو الشرج حتى تحنبا
فى ابن الأثير: فكأن ترى من مكره الغزو مسمرا - الخ.
(٦) فى مروج الذهب: مغمد، و فى الكامل للبرد: فما إن أرى الحجاج يغمد؛ و ليس البيت فى الطبرى وابن الأثير.
(٧) من الكامل للبرد، و فى مروج الذهب: مدى؛ و فى الأصل: يدا.
(٨) فى الأصل: الذى.

Marfat.com

الرجال على الجام الخيل ، و لآخذن السمى بالسمى و الكنى بالكنى و الولى بالولى حتى يكون من يوافيك أكثر مما يفارقك ، و ما لى قول هو أعظم من نعمة الله عز و جل عليك - و السلام .

قال: ثم أمر الحجاج مناديه ، فنادى بالكوفة : ألا ! إننا قد أجلنا من كان من أصحاب المهلب ثلاثا ، فمن أصبناه بعد ذلك فعقوبته ضرب عنقه . ٥

قال : ثم دعا الحجاج بحاجبه زياد بن عروة و بصاحب شرطته سويد بن ثروان[1] فقال لهما: اركبا[2] فى جماعة من الجند ، و أمراهم[3] أن يعلقوا[4] السياط فى خناصرهم و السيوف فى أيمانهم ، و احشرا[5] الناس إلى المهلب حشرا ، فمن تأخر و أبى فاستعملوا فيه السيف . قال : فحشرا[6] الناس إلى المهلب ابن أبى صفرة حتى لم يفقد من أصحابه الذين تفرقوا عنه رجلا واحدا . ١٠

قال : ثم كتب إليه الحجاج يعلمه أنه قد جعل له الشرط الأول و أن له خراج ما غلب عليه من البلاد إلى أن يقضى حرب الأزارقة . قال : فكانت الأموال تنتقل إليه من أرض فارس إلى أرض البصرة فى البدر[7] مكتوب عليها : «هذا ما أطعم الله المهلب بن أبى صفرة مما غلب

---

(١) كذا فى الأصل ، و لم نجده فى المراجع التى بين أيدينا .

(٢-٢) فى الأصل : لهم اركبوا .

(٣) فى الأصل : و امروهم .

(٤) فى الأصل : السياط - كذا .

(٥) فى الأصل : احشروا .

(٦) فى الأصل : فحشروا .

(٧) جمع البدرة و هى مسك السخلة أى جلدها ، و البدرة عشرة آلاف درهم .

Marfat.com

عليه من بلاد الله، يحمله إلى قومه من العتيك[1]، لا يعترض عليه معترض.

قال: وعلم[2] أهل خراسان بقدوم الحجاج إلى العراق فكتبوا إليه يشكون أميرهم أمية بن عبدالله بن خالد القرشي و أنه قعد عن الجهاد، و فى الكتاب إلى الحجاج هذه الأبيات:

أحجاج بن يوسف أنت راع و راعى القوم يحفظ ما أضاعوا
٧٢/ الف / و إنا معشر من جذم قيس لنا فى الناس مكرمة و باع
عبرنا حقبة[3] و لنا أمير جبان القلب ذو خوف يراع
و إنك قد وليت أمور قوم و ثغر لا يقوم له الشجاع
و أنت المستغاث إذا ألمّت بأهل الثغر داهية شناع
فلا تغفل فداك أبى و أمى أناسا ما يعينهم القراع
إذا فلوا كتائب خارجى[4] عدت أخرى و همتها المضاع
و ما ينفك نصرتهم ببيض تلألأ فى الأكف لها شعاع
كذلك دأبنا فى كل حرب طوال الدهر أو يخزى الكراع

قال: فلما ورد كتاب أهل خراسان على الحجاج و قرأه و نظر فى هذا الشعر كأنه همّ أن يعزل أمية بن عبدالله عن خراسان، غير أنه

(١) ينسب إليه قبيلة المهلب بن أبى صفرة، و هو العتيك بن الأزد بن عمران بن عمرو مزيقياء ـ جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٨.

(٢) فى الأصل: علموا.

(٣) فى الأصل: حقيه.

(٤) فى الأصل: نحوى ـ كذا.

Marfat.com

اشتغل بأمر الأزارقة فكتب إليهم بعدهم و يمنيهم أنه يوجه إليهم بأمير يرضونه ، و أخبرهم فى كتابه أنه مشغول بحرب الأزارقة .

قال : فلما اجتمع للمهلب بن أبى صفرة أمره قام فى الناس خطيبا ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن الله قد دفع عنى و عنكم ما كنا نخاف و نحذر من أمر[1] الأزارقة و قد كنا بدار مضيعة ، و إن الله تبارك و تعالى أسأله أن يتم نعمته علىّ و عليكم ، فاحمدوا الله على ما أعطاكم ، و سيروا إلى عدوكم . قال : ثم نادى فى أصحابه فسار و ساروا معه حتى صار إلى أرّجان[2] فأقام بها ثلاثا ، ثم سار منها إلى سابور ، و الأزارقة يومئذ بها و قد جعلوها دار هجرتهم . قال : فأقام المهلب على سابور يحارب الأزارقة الليل مع النهار حتى حاربهم ثلاث سنين كملاء مثل يوم واحد . قال : و أرسل الحجاج إلى المهلب أن ناجز القوم ، ما تنتظر بهم إلى هذه الغاية ! فكتب إليه المهلب : أيها الأمير ! إنى أنتظر بهم ثلاث خصال : موت صاحبهم قطرى بن الفجاءة ، أو فرقة و تشتيتا ، أو جوعا قاتلا ، و أنا أرجو أن أدرك ذلك فيهم إن شاء الله و لا قوة إلا بالله العظيم .

قال : و كان الحجاج قد ظن فى نفسه أن المهلب ليس بناصح فى حرب الأزارقة ، فدعا برجل من أصحابه يقال له عبد الله بن الجراح و كان عنده من الثقات ، فضم إليه قوما من أصحابه و قال : أريد منكم

(١) فى الأصل : امراه .

(٢) هى مدينة كبيرة و لها ذكر فى الفتوح ـ انظر معجم البلدان ١/ ١٨٠ .

Marfat.com

أن تسيروا إلى المهلب فتقيموا عنده أياما و تنظروا إلى حرب الأزارقة و تأتونى بالخبر ! قال : فسار القوم حتى صاروا إلى المهلب فنزلوا عنده شهرين كاملين ، فجعلوا ينظرون إلى المهلب ، و أنه يعبئ فى كل يوم رجلا من أولاده فى أول النهار ، ثم يقاتلهم بنفسه فى آخر النهار ، ثم أقبل على الرسل بعد ذلك فقال : انظروا هل بعد هذا من جهد ؟ فقالوا : لا والله يا أبا سعيد ! و لا ظن الأمير أن حرب القوم على هذا الشأن . قال : ثم رجع[1] القوم إلى الحجاج و تقدم عبد الله بن الجراح ، فلما سلم و قضى حق التسليم قال له الحجاج : ما وراءك يا ابن الجراح ؟ و كيف رأيت المهلب فى حرب القوم ؟ فقال : أيها الأمير ! رأيت و الله منه ما سرنى ، رأيته يحتمل المصيبة و يلقى القوم بنفسه و أولاده فيجاهدهم فى الله حق جهاده . قال فقال له الحجاج : ما أحسن ثناءك على المهلب ؟ فقال : أيها الأمير ! إنه كان يفعل ذلك الفعال فحقيق بالثناء .

قال : و جعل المهلب يحارب القوم حتى حاربهم بعد ذلك سنة كاملة . قال : فكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فانك قد طاولت العدوّ و جبيت البلاد ، و لو شئت أن تفرغ من حرب الأزارقة لفرغت ، ولكنك تحب المطاولة لجباية الأموال ، فناجز القوم و لا تطاولهم - و السلام . قال : ثم دفع الحجاج كتابه إلى رجل من ثقيف له لسان ذرب و منطق ذلق[2]

(١) فى الأصل : رجعوا .

(٢) فى الطبرى ٧/٢٦٩ : إن الحجاج بعث البراء بن قبيصة إلى المهلب بهذا الكتاب، و فى الكامل للمبرد ص ٦٨٩ عبيد بن أبى ربيعة بن أبى الصلت الثقفى .

فقال

Marfat.com

فقال له : صر إلى المهلب و انظر أن تحثّه على قتال القوم و مناجزتهم فانه قد طاولهم . فلما ورد كتاب الحجاج على المهلب و قرأه تبسم ضاحكا ثم قال : و الله ما أنا و الحجاج إلا كما قال أوس بن حجر :

و مستعجل غما يرى من آبائنا و لو أضجرته الحرب لم يترمرم[1]

قال : فجعل ذلك الثقفى يتكلم و يخطب و يحرض على القتال ، فقال له المهلب : أيها الرجل ! إن الحرب ليس بالكلام و لا بالخطب ، و لكن اصبر حتى ترى و تنظر إلى حرب القوم ! قال : ثم نادى المهلب فى الناس و زحف نحو الأزارقة ، و اختلط[2] القوم فجعلوا يقتتلون من صلاة الظهر إلى أن انتصف الليل . قال : و بقى الثقفى حيران لا يدرى ما يقول ، ثم أقبل على المهلب فقال : حسبك يا أبا سعيد ! فقال له المهلب : اصبر قليلا و لا تعجل ، قال : فلم يزل[3] القوم يقتتلون إلى وقت السحر ، وكاد الثقفى يموت لما رأى . قال : و أصبح[4] القوم فرجع[5] عن بعضهم بعض فى وقت الضحى ، فأنشأ رجل من أصحاب المهلب فى ذلك يقول :

ما زلتَ يا ثقفى تخطب دانيا[6] و تغمّنا بوصية الحجاج

Marfat.com

١٠ ٧٣/ الف

---

(١) فى اللسان (رمم) والكامل للمبرد ص ٦٨١ :

و مستعجب مما يرى من أناتنا و لو زبنته الحرب لم يترمرم

(٢) فى الأصل : اختلطوا .

(٣) فى الأصل : فلم يزالوا .

(٤) فى الأصل : أصبحوا .

(٥) فى الأصل : فرجعوا .

(٦) فى الكامل للمبرد ص ٦٩١ : بيننا .

حتى إذا ما الموت أقبل زاحرا و سما لنا صِرفا بغير مزاج
ولّيت يا ثقفى غير مناظـــر تبـدين[1] بين أحزّة و فجاج
و بنو المهلب فى الغبار كأنهم أسد لبسن يلامق الديباج[2]
ليست مقارعة الكماة لدى الوغا شرب المدامة فى إناء زجاج

قال: ثم أقبل المهلب على هذا الثقفى فقال: انصرف الآن إلى الحجاج فأخبره أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب - و السلام. قال: ثم كتب أبو خالد اليشكرى مع هذا الثقفى إلى الحجاج بهذه الأبيات:

ألا قل لمن ظن المهلّب خائنا هلّم فكن فينا مكان المهلب
و حدث[3] بتعليم القتال و حاربا بأجسامنا[4] و العفو عن كل مذنب
فان رجالا غيبوا عن طعاننا وعن ضرب هامات الليوث المجرب
قد اعطوك من أمر المهلب عنوة[5] و قد ذهبت أبناؤه كل مذهب
فلو ذقت كأسا من عبيدة مرّة و عمرو القنا أو عبد رب و شوذب
و من قطرى أو عطية و ابنه و من صالح أو من زبير و مصعب
لأيقنت أنا فى حلوق عدونا شجى ناشب سل يا ابن يوسف تعجب
فأرسل إلينا من يعاين فعلنا بقل حين يخبرنا فدا لكم أبى

قال: فغضب الحجاج من ذلك، ثم قال لجلسائه: ألا ترون إلى فعل

(١) فى الكامل للمبرد: تنساب.
(٢) ليس البيت فى الكامل للمبرد.
(٣) فى الأصل: حدثنا.
(٤) فى الأصل: باحسابنا.
(٥) هذا

Marfat.com

هذا المروى قد أكل الأرض و جبا الأموال ثم يتربص بى و بأمير المؤمنين و يكتب إلىّ بمثل هذا و أشباهه . ثم قال: يا غلام ! اكتب إلى المهلب ! و ابعث[1] بـه إليه: أما بعد فانك ²مرى و ابن مرى²، و أيم الله لئن لم تجهد فى قتال القوم لأبعثن إليك من يحملك على مكروهك - و السلام .

قال : فكتب إليه المهلب : أما بعد / فقد ورد علىّ كتابك تذكر فيه ٥ ٧٣/ب أنى ²مرى و ابن مرى²، و ما أنكر ذلك و أنا مروى - اسم سمتنا به العجم، و لكن الأمير - أعزه الله - من قبيلة قد ادعت فى خمس قبائل من العرب و ما استقرت بعد قرارها فى واحدة منها ، واحدة أنهم بقية من بقايا آل ثمود ، و الثانية أنهم انتموا إلى وحاظة[3] و وحاظة لا عقب لها ، و الثالثة أنهم انتموا إلى زياد ، و الرابعة أنهم انتموا إلى هوازن ، و الخامسة أنهم ١٠ انتموا إلى ثقيف ، فليت شعرى فى أىّ الأحياء هم اليوم - و السلام .

قال : فقرأ الحجاج كتاب المهلب [و] استغرب ضحكا ، ثم قال : أفحشنا على الرجل ففحش علينا ، و البادى أظلم .

قال : ثم كتب بعض أصحاب المهلب إلى الحجاج بهذه الأبيات :

---

(١) فى الأصل : بعث .

(٢ - ٢) كذا فى الأصل هنـا ، و قد مر آنفا « المروى » و لم نظفر بالمرى فى الأنساب ، و النسبة إلى المرو فى الأشياء فقط تكون بالمروى ، و فى الأعلام بالمروزى - و الظاهر أن هذا من التنابز بالقلب ولا تعلق له بالنسب - و الله أعلم.

(٣) وحاظة بضم الواو و الظاء معجمة ، و قد يقال : أحاظة - بالألف ، و هو اسم القبيلة . و هو أحاظة بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبـا - انظر معجم البلدان ٨/٤٠٢ .

Marfat.com

لعمرك ما أخطا المهلب رأيه فلا عاش فينا بالخطاء المهلبُ
ولا ضنّ[1] عنا فى اللقاء بنفسه ولا بينه حين قال ألا اركبوا
فآسوا رجالا قد وفتكم نفوسهم بأنفسكم حفوا إليها و أعقبوا
فما كان إلا القول حتى كأنهم أسود بأكناف العرين تلهّب
لكل امرئ من كرة الخيل نوبة يطاعن بالرمح القويم و يضرب
إذا ما قضاها جاء آخر بعده فكل لكل فى العجاجة معقب
فلا ينثنى إلا[2] و ثغرةُ نحرِه[2] تسيل دما و الرأس فيه مُلتَحب
فلولا بنوه فى اللقاء و صبرهم لقلنا لفرسان الأزارقة اذهبوا
لكم كل ما كان المهلب حازه من الأرض فاجبوه ولا تتهيبوا

قال: فلما قرأ الحجاج هذه الأبيات جعل يقول: و الله ما يختلج بقلبى أن قوما يثبتون لمثل هذه الحروب، و لكنى أحب أن أوجه بقوم ليأتونى بحقيقة ما يرون من حرب هؤلاء الأزارقة، فو الله لو كانوا من حجارة أو حديد لما زادوا. قال: ثم دعا الحجاج بعبد الأعلى بن عبد الله ابن عامر بن كريز و بعبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب[3] و بجماعة من قريش فجهزهم، و قال: أريد منكم أن تسيروا إلى المهلب و تعلموا

(١) فى الأصل: ظن.
(٢-٢) فى الأصل: بعره نحوه - كذا، و الصواب كما أثبتناه.
(٣) فى الأصل: جندب، والتصحيح من كتاب نسب قريش ص ١٠٠ و جمهرة أنساب العرب ص ٦٧. و وقع فى الأخبار الطوال ص ٢٧٠: عبد الرحمن ابن سبرة.

Marfat.com

لى علمه و تأتونى بحقيقة أمره، فانه قد عظم علىّ أمر هؤلاء / الأزارقة؛ ٧٤/ الف
فقالوا: نفعل ذلك أيها الأمير.

قال: ثم سار القوم حتى قدموا على المهلب، و المهلب يومئذ نازل على باب سابور فى عسكره، فلما رآهم رحب بهم و قربهم ثم سألهم عن حالهم، فقال له بعضهم: أبا سعيد! إن الأمير الحجاج قد كره مطاولتك لهذا العدو و قد أحب منك المناجزة لهم لكى يشغلك بغيرهم. قال: فسكت المهلب ساعة ثم رفع رأسه فقال: إنما أنا و الحجاج كما قال الأول:

أبلغ أبا مالك عنى مغلغلة إن الكتائب لا تَهْزَمْنَ باللعب

ثم أقبل عليهم فقال: إن الأمير أكرمه الله أتاه السماع فقبله و أتاه العيان فرده، و قد كتبت إليه «أيها الأمير! إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فلا تكثر علىّ من رسلك فأنا أعلم بحرب القوم منك»، فزعم أنه هو الشاهد و أنى الغائب، و لكن أقيموا إذ قدمتم الآن حتى تعاينوا حرب الأزارقة، فوالله لا لقيتهم اليوم إلا بما لقيتهم أمس. قال: ثم نادى المهلب فى أصحابه فركبوا، و نادى قطرى بن الفجاءة فى الأزارقة فركبوا، و دنا[1] القوم بعضهم من بعض، و تقدم عشرة من أبطال الأزارقة و رؤسائهم و ساداتهم حتى وقفوا أمام الخيل، منهم قطرى بن الفجاءة المازنى و هو صاحبهم و أميرهم، و عبيدة بن الهلال اليشكرى، و عمرو القنا العنبرى، و صالح بن مخراق العبقسى[2]، و عطية بن الأسود الحنفى، و شوذب

(١) فى الأصل: دنوا.
(٢) فى الكامل للمبرد بدون نسبة.

Marfat.com

ابن عامر العامرى، و حيطان الإيادى[1]، و عنترة المرادى[2]، وعبد ربه الصغير.

قال: و نظر المهلب إلى ذلك فدعا بنيه، ثم يومئذ عشرة، كل واحد يعد بألف: المغيرة و يزيد و حبيب و قبيصة و مدرك و المفضل و محمد و حماد[3] و عبد الملك و مروان؛ قال: فأمر المهلب لكل واحد أن يخرج إلى رئيس من رؤساء الأزارقة.

قال: فخرج يزيد و بين يديه رجل من الأزد و هو يرتجز و يقول أبياتا[4]:

قل للشراة جاءكم يزيد ذاك الذى لجمعكم مبيد

ذاك الذى دماركم يريد ذاك الذى قتاله شديد

٧٤/ب ١٠ / ذاك الذى ساعده حديد من كل أمر شركم بعيد

و عنده من قتلكم مزيد

قال: ثم تقدم حبيب بن المهلب و بين يديه رجل من الأزد و هو يرتجز و يقول:

قل للشراة ذهب الزبيب إذ جاءكم فى ظله حبيب

---

(١) كذا، ولعله «عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى» المتوفى ٨٤ هـ كان رأس القعدة من الصفرية، طلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك فرحل إلى عمان ثم لجأ إلى قوم من الأزد فمات عندهم إباضيا ـ انظر الإصابة ٥ / ١٨١ و الكامل للمبرد ص ٥٣٠.

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) لم نجد فى أولاد المهلب من اسمه «حماد» و لعله «حاتم» أنظر معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة ١/١٤.

(٤) زيد فى الأصل: مطلعها.

Marfat.com

ذاك الحروب السيد المهيب ذاك الذى بسيفه يصيب
من كل أمر ساءكم قريب

قال: ثم تقدم المفضل و بين يديه رجل من الأزد و هو يرتجز و يقول:

قل للشراة جاءكم مفضّل موذَّد مَسوَّد مبجّل
سنانه من طعنه تشلشل
و سيفه من ضربه مفلل كأنه البازل حين يرفل
و الخيل تعدو قد علاها قسطل

ثم تقدم المغيرة و بين يديه رجل من الأزد و هو يرتجز و يقول:

يا معشر الأزارق النحيره أتاكم فى خيله مغيره
كفاه كف بالندى مطيره و كفه الأخرى لكم مبيره
و لا يرى كبيرة كبيره لا بل يراها عنده صغيره

قال: ثم تقدم مدرك و بين يديه رجل من الأزد و هو يرتجز و يقول:

يا قطرى بن الفجاءة الأنوك أين إذا ضاق عليك المسلك
تسلك و الخيل عليها مدرك لن يبرح الدهر و هذا المعرك
صفكم أو تهلكوا أو نهلك

قال: [1]فاختلط الفريقان[1] و اقتتلوا من وقت الضحى إلى أن اختلط الظلام، و رسل الحجاج ينظرون إلى ذلك. قال: و سقط رمح بعض الأزارقة فأخذه رجل من أصحاب المهلب فخلفت الأزارقة أنهم لا يرجعون

(١-١) فى الأصل: فاختلطوا الفريقين.

Marfat.com

و لا يبرحون أو يأخذوا الرمح ! و حلف[1] أصحاب المهلب أنهم لا يردونه عليهم ! و اقتتل[2] القوم على الرمح من وقت اختلاط الظلام إلى الصبح حتى قتل من الفريقين جماعة ؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء[3] التميمى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

٥ ليت شعرى و للأمور قرار هل بلغنا مدى رضا الحجاج

- إلى آخرها .

قال : ثم أقبل المهلب على رسل الحجاج فقال : كيف رأيتم حرب الأزارقة ؟ فقالوا : حسبنا ما رأينا فردنا إلى صاحبنا ! فو الله ما رأينا أشد كلبا على الإسلام من هؤلاء الخوارج . قال : فخلع عليهم المهلب و رجعوا / إلى الحجاج . فلما دخلوا عليه قال : كيف رأيتم المهلب فى ٧٥/ الف ١٠ حرب عدوه ؟ فقالوا : أيها الأمير ! ما رأينا قط قوما أضرب بسيف ، و لا أطعن برمح ، و لا أرمى بسهم ، و لا أعود إلى الحرب من بين الفرخ من قوم رأيناهم بالأمس من الفريقين . قال : فعذر الحجاج للمهلب على إبطائه ، ثم كتب إليه أن اعمل برأيك و امض[4] لما أحببت ، فقد علمت ١٥ أن الرأى ما رأيت .

قال : و عبّى قطرى بن الفجاءة أصحابه تعبية الحرب و خرج من

---

(١) فى الأصل : حلفوا .
(٢) فى الأصل : و اقتتلوا .
(٣) فى الأصل : حسناء ، و التصحيح من معجم الشعراء للمرزبانى .
(٤) فى الأصل : امضى - كذا .

Marfat.com

مدينة سابور، و نظر المهلب رهج الخيل فوثب فعبى أصحابه، و دنا[1] القوم بعضهم من بعض، و تقدم عبيدة[2] بن هلال أمام الأزارقة فجعل يدعو للبراز و يطلب النزال، فصاح المهلب بابنه مدرك فقال: يا مدرك! اكفنى[3] عبيدة! قال: أفعل - أصلح الله الأمير! ثم خرج إليه المدرك! و نظره عبيدة فحمل عليه و بادره مدرك بطعنة مدركة، فولى عبيدة و له ٥ عوى كعوى الكلب، فأنشأ المغيرة بن حبناء[4] التميمى فى ذلك يقول أبياتا مطلعها:

من رأى مدركا غداة التقينا إذ أتاه عبيدة بن هلال

- إلى آخرها. قال: و كان عبيدة بن هلال قبل ذلك إذا لقى للحرب لا يولى و يقول: ما أولى دبرى فى الحرب و لكنى أخاف النار! فلما كان ذلك ١٠ اليوم و طعنه مدرك بن المهلب و ولى من بين يديه ناداه مدرك: أين الفرار يا عبيدة؟ فقال: لست أفر و لكنى أنحاز إلى فئة تمنعنى؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى[5] فى ذلك يقول أبياتا مطلعها:

قل للمهلب إن سيفك مدرك حامى الحقيقة مدرك الأوطار

---

(١) فى الأصل: دنوا.

(٢) فى الأصل: عيينة - خطأ.

(٣) فى الاصل: اكفينى.

(٤) فى الأصل: حسناه.

(٥-٥) فى الأصل: المغيرة بن معدان الأشعرى، والتصحيح من معجم الشعراء للمرزبانى.

- إلى آخرها . قال : و اقتتل[1] القوم على باب سابور يوم ذلك إلى الليل، ثم انهزمت الأزارقة حتى دخلوا إلى المدينة و رجع المهلب إلى عسكره.

فلما كان الليل و هدأت العيون و سكنت الحركات خرجت الأزارقة من مدينة سابور مع نسائهم و أموالهم و أولادهم هاربين على وجوههم
٧٥/ب ٥ حتى صاروا على مسيرة عشرين فرسخا من مدينة / سابور . قال: و علم المهلب أنهم قد تنحوا فأقام فى عسكره يومه ذلك و لم يتبعهم، ثم أمر بعسكره فضرب على باب سابور. و بعث إلى أهل المدينة فأخذ منهم الخراج و عزم على أن يجعل سابور منزله و داره و يحارب الأزارقة حيث كانوا ؛ فأنشا رجل من أصحاب المهلب يقول فى ذلك أبياتا مطلعها:

١٠ قل للأزارقة الذين تحزبوا إن التفرق أول الإخراج

إلى آخرها .

قال: و جعلت الأزارقة يتباعدون من بين أيدى المهلب و المهلب لا يتبعهم، و ذلك أن الشتاء هجم عليه و وقعت الثلوج و الأمطار و اشتد البرد فلم يتبعهم المهلب ، حتى إذا انحسر عنهم الشتاء أقبل على أصحابه
١٥ فقال : أيها الناس! ان بيننا و بين عدونا على ما بلغنى أقل من ثلاثين فرسخا و قد انحسر عنهم الشتاء و إنما هو وجيف ليلة الخيل ، فاذا القوم قد وافوا ، فصاح المهلب بغلام له يقال له: مازن ، فقال : يا مازن! ناد[2]

---

(١) فى الأصل : افتتلوا .

(٢) فى الأصل : نادى .

Marfat.com

فى الناس بالرحيل ، قال : فنادى مازن فى الناس بالرحيل . ثم سار المهلب و أصحابه فلم يشعر إلا و خيل الأزارقة قد[1] أقبلت كأنها كواسر العقبان . و دنا[2] القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة ، ثم وقعت الهزيمة على الأزارقة فانهزموا إلى الموضع الذى جاؤا منه . فقال المهلب : الحمد لله الذى كفانا شرهم ، فو الله لو فاجؤنا و نحن على غير أهبة الحرب لفضحونا . قال : و رجع المهلب و أصحابه إلى سابور ، فأنشأ المغيرة بن حبناء[3] يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

أكدنا و من أرسى ثبيرا[4] مكانه يسأل بنا لو لا أتينا[5] المهلب

- إلى آخرها .

قال : فبينا المهلب ذات يوم يخطب الناس بسابور و ذلك فى يوم النحر إذ أقبلت الأزارقة فى جيش عرمرم يقدمهم عمرو القنا ، قال : و بلغ ذلك المهلب ، فقطع الخطبة فقال : سبحان الله ! فى مثل هذا اليوم وافانا هذا العدو و إنه يوم شريف عند الله تعالى لا يحب أن تسفك فيه الدماء ، غير أن الله عز و جل يقول / " الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[6] " . ثم أقبل ٧٦/ الف

(١) فى الأصل : و قد .
(٢) فى الأصل : دنوا .
(٣) فى الأصل : حسناء .
(٤) فى الأصل : نبيرا .
(٥) فى الأصل : اتيناه .
(٦) سورة ٢ آية ١٩٤ .

Marfat.com

المهلب إلى ابنه المغيرة ثم قال: يا بنى! دع الناس و عيدهم و اخرج إلى أعداء الله! قال: فعبى المغيرة أصحابه و خرج من باب سابور، فلما صار على باب الخندق و إذا بعمرو القنا و قد تلقاه بجيشه، قال: فنظر إليه المغيرة فحمل عليه و التقيا[1] بطعنتين طعنه المغيرة طعنة خرّ منها صريعا على وجهه، قال: و ذهب المغيرة ليضربه بسيفه فحمله[2] ثلاثة نفر من الأزارقة بكير و حطان الأيادى و عميرة المرادى[3]، فانفلت عمرو القنا و هو لما به من طعنة المغيرة، فأنشأ المغيرة بن حبناء[4] التميمى فى ذلك يقول أبياتا مطلعها:

و ما لاقى ذليل من عزيز كما لاقى الشراة من المغيرة

إلى آخرها.

قال: فتقدم فتى من الأزارقة من مذحج يقال له معاذ حتى وقف بين الجمعين فجعل يقول[5]:

نحن صبحناكم غداة النحر بالخيل أمثال الوشيج تجرى[6]

---

(١) فى الأصل: التقوا.

(٢) فى الأصل: فحملوه.

(٣ - ٣) كذا فى الأصل، و قد سبق فى ص ٢٤ «حيطان الأيادى و عنترة المرادى».

(٤) فى الأصل: حسناء.

(٥) الرجز الآتى منسوب فى الأخبار الطوال ص ٢٧٦ إلى عمرو القنا.

(٦) فى الأخبار الطوال: تسرى.

يقدمنا

Marfat.com

يقدمنا[1] عمرو القنا فى الفجـــر إلى أنـاس هُجوا بالكفـر

اليوم أقضى فى الدماء[2] نذرى[3] و مـــدرك ما ارتجى بـوتر[4]

قال: فما لبث أن خرج إليه رجل من أصحاب المغيرة بن المهلب يقال له سعد بن أبى نجد الأزدى و التقيا[5] بضربتين، ضربه الأزدى ضربة جدله[6] قتيلا، ثم حمل على الأزارقة فجعل يضرب فيهم ضربا منكرا، فأنشأ رجل من أصحاب المغيرة فى ذلك يقول:

ألا لله ما لاقى مـعـاذ غداة النحر من سعد بن نجد

دعاه للبراز فما تـلـكا و سعد فى صدورهم[7] كأحد

و سعد ماجـد بطل هـزبر وثوب فى الوغى كوثوب فهد

فيا سعد السعود فدتك نفسى أعدها فى فوارسهم و أبدى

قال: و انكشفت الأزارقة من بين يدى ابن المهلب كشفة فضيحة، فأرسل المغيرة بهزيمة القوم إلى أبيه المهلب يخبره بذلك، ثم دخل مدينة / سابور فضحى مع الناس. ٧٦/ ب

---

(١) فى الأخبار الطوال: يقدمها.

(٢) فى الأخبار الطوال: العدو.

(٣) من الأخبار الطوال، و فى الاصل: تدرى.

(٤) ليس المصراع فى الأخبار الطوال.

(٥) فى الأصل: التقوا.

(٦) فى الأصل: جنداه.

(٧) فى الأصل: صدرهم.

Marfat.com

فلما كان بعد الأضحى بثلاثة أيام إذا بالأزارقة قد أقبلت بخيلها و رجلها مستعدين للوثب . قال : و بلغ ذلك المهلب فهي أصحابه كما كان يعبئهم، ثم تقدم بنفسه حتى وقف أمام الخيل و اتبعه[1] بنوه، فاختلط[2] الخيلان بعضها ببعض و كلبت الأزارقة على المسلمين فاشتد القتال ، و حمل المهلب بنفسه على القوم فلم يزل يقاتل حتى جرح سبع عشرة جراحة، فقال له رجل من أصحابه يقال له عباس الكندي : أيها الأمير ، أصلحك الله ! إن الله تبارك و تعالى قد جعل كفاية من ولدك و فتيانك و قومك و عشيرتك ، فلِمَ تلقى[3] هؤلاء الأعداء بنفسك ؟ فقال له المهلب : يا عباس ! إن الأسد إنما غلظت رقبته لأنه رسول نفسه، يا عباس ! إن بني فرسان و لكنهم لا يبلغون في الحرب مبلغي ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقري[4] في ذلك يقول أبياتا مطلعها :

و ليس إذا رأى ابن الورد بعدُ و مسحا بالمهلّب في الصباح

- إلى آخرها .

قال : و عزمت الأزارقة على أن يبيّت[5] المهلب في عسكره ، فزحفت[6]

---

(١) في الأصل : اتبعوه .
(٢) في الأصل : فاختلطوا .
(٣) في الأصل : فلم يلقا .
(٤) في الأصل : الاشعرى .
(٥) في الأصل : يثبت .
(٦) في الأصل : فزحفوا .

Marfat.com

الأزارقة فى جوف الليل حتى أشرفوا على المهلب على باب سابور و عبيدة ابن الهلال اليشكرى أمام الأزارقة ، فالتفت إلى أصحابه و قال : أيقظوا القوم لكيلا يقولوا إننا أتيناهم و هم نيام ! قال : ثم جعل عبيدة يرتجز و يقول أبياتا مطلعها :

لسنا نريد غِرّة السُبات إنّ اغترار بكم[1] من السوءات

إلى آخرها . قال : فاستيقظوا الناس و صاح المهلب بأصحابه ، و تصعصعت الرايات ، و أجمحت الفرسان ، و ذاك فى ليلة باردة ذات ثلج و مطر و ريح منكرة . قال : و كان أول من ركب و استوى على فرسه مدرك ابن المهلب ، فتقدم أمام الخيل و تبعه[2] الناس و هم يقولون : ألا ! إنها روعة البيات ! فاتقوا الله و اصبروا ! قال : و نظر مدرك بن المهلب إلى صالح ابن مخراق / فى سواد الليل و هو يهدر كأنه الجمل الأورق ، و كان من فرسان الأزارقة و المعدودين فيهم ، فحمل عليه مدرك و التقيا[3] بضربتين ، ضربه صالح بن مخراق ضربة على بيضته ثبت لها مدرك ، ثم ضربه ضربة أداره عن فرسه ، فأقعى صالح على رجليه ، و تبددت خيل الأزارقة يمنة و يسرة ، ثم تراجعوا و اشتبك الحرب ، فأصبح[4] القوم و قد قتل من الأزارقة جماعة ؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء يقول فى ذلك أبياتا مطلعها : ٧٧/الف

---

(١) فى الأصل : اعتراربكم .

(٢) فى الأصل : تبعوه .

(٣) فى الأصل : التقوا .

(٤) فى الأصل : فاصبحوا .

نفسى فداء أخى الحفيظة مدرك عند الثبات لو قعة كانت شجا

ـ إلى آخرها . قال : فعظم مدرك بن المهلب من تلك الليلة فى صدور إخوته و أحبه الناس حبا شديدا . و إذا عين للمهلب أقبل إليه فقال: أيها الأمير ! إن أردت القوم الساعة فان القوم قد صاروا إلى شعب بَوّان[1] ! قال : فنادى المهلب فى أصحابه فركبوا ، و سار يريد القوم ، و نظرت الأزارقة إلى غبار الخيل فعلموا أنها خيل المهلب فتعبّوا للحرب، و إذا قطرى ابن الفجاءة أمام الخيل و هو يرتجز و يقول أبياتا مطلعها :

إن شجانا فى الوغى المهلّبُ ذاك الذى سنانه مخضّبُ

إلى آخرها . قال : ثم حمل عليه المهلب بنفسه و التقيا[2] بطعنتين فافترقا[3] بجراحتين . قال : و أطبقت الحرب على الفريقين ، و كان الفضل الأزارقة فى أول النهار و للمهلب فى آخره ، حتى انتصف بعضهم من بعض ، فأنشأ المغيرة بن حبناء[4] التميمى فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

إذا قطرى جاءنى مرجحنّة فشبهه الراؤون فى الليل كوكبا

إلى آخرها .

قال : و ارتحلت الأزارقة من موضعهم حتى صاروا إلى إصطخر ، قال : و نظرت الأزارقة و إذا خيل المهلب قد[5] وافتهم فرجعوا إليه

---

(١) شعب بوان واد بين فارس وكرمان ـ انظر معجم البلدان ٢ / ٣٠٠ .

(٢) فى الأصل : التقوا .

(٣) فى الأصل : فافترقوا .

(٤) فى الأصل : حسناء .

(٥) فى الأصل : و قد .

Marfat.com

و قد صفوا صفوفهم ، ثم دنا بعضهم من بعض ، و خرج حطان الأيادى[1] وكان من فرسان الأزارقة و شجعانهم ذا بطش شديد لا يراه أحد إلا هابه وكره نزاله ، [2]فخرج حتى وقف بين الجمعين ثم جعل يرتجز و يقول :

/ ادعوا بعباس و ادعوا معدا و ابن أبى الزناق ادهوا غمدا ٧٧ / ب

و العتكى اليحمدى جلدا ما إن أرى من النزال بدا ٥

قال : فالتفت المهلب إلى عباس الكندى و كان من الأبطال ، فقال : يا عباس ! شأنك و الرجل ! فانه قد بدأ باسمك . قال : فخرج إليه عباس الكندى و التقيا[3] بطعنتين ، طعنه عباس طعنة انكسر رمحه فى يده فبقى عباس بلا رمح ، فقال : ياحطان ! إنك[4] رامح و قد انكسر رمحى ، فان أردت النصفة فألق رمحك و سابقنى ! فقال له حطان : قد أنصفت يا عباس ! ١٠

قال : ثم رمى حطان برمحه و ضرب بيده للسيف . و التقيا[5] للضراب ، بادره عباس بضربة على بيضته فقدّ البيضة ، ثم رمى حطان عن فرسه قتيلا ؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء[5] التميمى فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

دعاك شقى للشقاء فوارسا فعاجله دون الفوارس عباس

إلى آخرها . ١٥

---

(١) كذا ، و قد سبق مافيه .

(٢) زيد فى الأصل : فخرج و كره نزاله ، و الظاهر أنه مكرر .

(٣) فى الأصل : التقوا .

(٤) وقع فى الأصل : انك ـ مكررا .

(٥) فى الأصل : حسناء .

Marfat.com

قال: و انهزمت الأزارقة إلى إصطخر و تحصنوا، و أقبل المهلب فى خيله و رجله حتى نزل عليهم فحاصرهم بها شهرا كاملا. فلما كان بعد شهر خرجوا إليه و عزموا على المناجزة، و نظر المهلب إليهم و إلى ما قد أعدوا له من آلة الحرب، فقال لأصحابه: أيها الناس! إن البادئ بالقتال مغلوب، و المضطر معذور، و من وطئ فى داره فقد ذل، و من صبر ظفر، و قد تكون البلايا بالذنوب، فانظروا كيف يكون صبركم اليوم. قال: و دنا[1] القوم بعضهم من بعض، و أقبل عبيدة بن هلال وعمرو القنا حتى[2] نزلا و وقفا[2] على تل مشرف على عسكر المهلب، ثم رفع عمرو القنا صوته و هو يقول:

كفى حزنا إنا ثلاثون ليلة ... قريب و أعداء القران على خفض[3]
و ما هكذا [إنّا] نكون و هذه ... أضاقت على عمرو القنا سعة الأرض
و أحسبهم أمسوا على حذو نعلنا ... فذاك بذاك القوم بعض على بعض

قال: ثم انحط عمرو القنا عن التل على أصحاب المهلب كأنه بازخطوف
٧٨/ الف / و هو يرتجز و يقول شعرا. قال: ثم انفض عبيدة بن هلال من التل كأنه
١٥ الفحل القطم و هو يرتجز و يقول شعرا.

(١) فى الأصل: دنوا.
(٢-٢) فى الأصل: نزلوا و وقعوا.
(٣) فى الكامل للمبرد ص ٦٧٩:
ألم تر أنا مذ ثلاثون ليلة ... قريب وأعداء الكتاب على خفض
والأبيات الآتية ليست فيه.

Marfat.com

قال : فالتفت المهلب إلى ابن أخ له يقال له بشر[1] فقال له : يا ابن أخ! أحب أن تكفيني أمر عبيدة بن هلال و عمرو القنا جميعا ! فقال بشر : أفعل - أصلح الله الأمير ! قال : ثم خرج بشر [2]ابن أخى المهلب[2] نحوهم و هو يرتجز و يقول شعرا . قال : ثم حمل بشر ابن أخى المهلب على عبيدة ابن هلال فطعنه طعنة فاذا عبيدة فى الأرض ، فحماه[3] أصحابه ، و حمل عمرو القنا على بشر فالتقيا[4] بضربتين ، ضربه بشر فى وجهه فرده إلى ورائه ، ثم وقف فى ميدان الحرب فأنشأ و جعل يقول أبياتا مطلعها :

[5]و كأنى[5] مُليكُ إذ سطع النقـــع و حولى من الرماح عوالى

- إلى آخرها .

قال : و تعاظم الأمر بين الفريقين فاقتتلوا قتالا شديدا ، و جعل قطرى بن الفجاءة ينادى بأعلى صوته و يرتجز و يقول أبياتا مطلعها :

سبحان ربى باعث العباد سبحان ربى حاكم المعاد

قال : و ثار النقع و سطع الغبار و كلبت القوم بعضهم على بعض ، و ضرب يومئذ المهلب على جبهته ضربة منكرة حتى كاد أن يسقط منها عن فرسه ، و تسايلت الدماء على وجهه و لحيته ، فأنشأ كعب بن معدان

---

(١) زيد فى الأصل : « بن أبى صفرة » خطأ . و ما وجدناه فى جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٨ حيث ذكر فيه ابن حزم أولاد أبى صفرة و أولادهم .

(٢-٢) فى الأصل : بن أبى صفره .

(٣) فى الأصل : فحموه .

(٤) فى الأصل : فالتقوا .

(٥-٥) فى الأصل : لو أننى .

Marfat.com

الأشقرى[1] فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

خلص القتال إلى المهلب بعد ما منع الذمار و ليس فينا مانع

إلى آخرها . قال : و انكشفت الأزارقة من بين يدى المهلب مفضوحين و قد قتل منهم نيف عن ثلاثين رجلا .

فلما كان من الغد زحف[2] القوم بعضهم إلى بعض ، و أقبل المهلب على أصحابه فقال : أيها الناس ! إن كل من فى عسكرى فهو لى ، ألا ! و إنى أحبكم ، و أحب ما إلىّ أهل النجدة ، فانظروا من كان يحب منكم أحدا منهم فانى أعفيه عن صحبته رجلا من ولدى حتى أجعله فى صحبته . قال : فوثب فتى من أهل الكوفة يقال له مالك بن أبى حبان الأسدى فقال : أيها الأمير ! اسمع منى ما أقول ، فقال المهلب : قل ما بدا لك ! فأنشأ و جعل يقول :

٧٨ / ب / اجعلنّى مع الحَرون[3] كأنى فارس الناس فى عجاج الحرون
فاذا قادنى سواه فانى لا أساوى عقالَ بانٍ زبون
كلنا نطلب الحرون و ما مَن كان يهوى الحرون بالمغبون
قد حمانا الركبان[4] [منّا] جميعا و حمانا بقريـة الزيتون
إذ أتانا عبيدة بن هلال يقدم القوم فى دموك طحون

(١) فى الأصل : الأشعرى .
(٢) فى الأصل : زحفوا .
(٣) لقب حبيب بن المهلب لأنه كان يحرُن فى الحرب فلا يبرح - انظر لسان العرب (حرن) .
(٤) فى الأصل : للركان .

Marfat.com

و أتانا عمرو القنا بلواه مزبدا فى العجاج كالمجنون
فدعاه المهلب بن أبى صفرة ليس الحرون كالمأفون
فكفاه ما همه و أتاه بعد ضيق الخناق بالتهوين

قال: فالتفت المهلب إلى ابنه حبيب فقال: يا بنى! خذ هذا الفتى إليك و اعتقده و احتفظ به فانه يحبك[1]، و أخرى أن ينفعك[2] وقت حاجتك إليه.

قال: و تقدم عبيدة بن هلال أمام الأزارقة فجعل يرتجز و يقول:

حتى متى يقتلنا المغيرة ومدرك فيكم له عفيره
أصغركم وحدكم كبيره

قال: ثم حمل على خيل المهلب و طاعن ساعة و رجع إلى عسكره، و تقدم رجل من الأزارقة يقال له مالك بن قرير الطائى حتى وقف بين الجمعين فجعل يرتجز و يقول شعرا. قال: فما لبث أن خرج إليه فتى من أصحاب المهلب يكنى أبا الذرياق و كان شجاعا، فحمل عليه فطعنه طعنة فقتله: فأنشأ رجل من أصحاب المهلب يقول فى ذلك أبياتا مطلعها:

سال النزال فتى الأزارق مالك فأجاب دعوته أبو[3] الدرياق

- إلى آخرها.

قال: و أقبل رجل من الأزارقة يقال له عطية بن الأسود الحنفى إلى قطرى بن الفجاءة فقال: يا أمير المؤمنين! أريد أن تولينى قتال المهلب

---

(١) فى الأصل: يحب لك.
(٢) فى الأصل: يبقوك.
(٣) فى الأصل: أبا.

Marfat.com

و بنيه فى هذا اليوم ! فقال قطرى بن الفجاءة : قد فعلت ذلك ، قال : فنادى عطية بن الأسود فى فرسان الأزارقة فلم يبق منهم فارس مذكور إلا صار إليه ، فدنا عطية بن الأسود حتى وقف بين الجمعين فى قتال الأزارقة و شجعانه . و التفت المهلب إلى ابنه يزيد فقال : يا بنى ! هذا
٧٩/ الف ٥ / عطية بن الأسود قد أقبل فى فرسان الأزارقة فاخرج إليه فى إخوانك الذين تثق بهم فى الإقدام على المكروه . قال : فنادى يزيد بن المهلب فى فرسان الأزد ، فاجتمعوا إليه من كل أوب ، فقال لهم : اعلموا أنه من تخلف عنى فى وقت حاجتى إليه محوت اسمه من الديوان . قال فقال[1] أصحابه : أبا خالد ! انظر إن تخلف منا عنك أحد فاضرب عنقه .
١٠ قال : فدنا يزيد بن المهلب فى أصحابه ، و دنا عطية بن الأسود فى أصحابه ، و تقدم فتى من بنى ضبة من الأزارقة فجعل يقول شعرا . قال : ثم حمل الضبى على يزيد بن المهلب فضربه فلم يصنع شيئا ، وضربه يزيد ضربة لم يتمكن منه كما يريد ، فسقط الضبى إلى الأرض فأخذه يزيد أسيرا ، فلما رآه غلاما شابا استحيى أن يقتله فقال له : الحق بأهلك
١٥ ما كنت الذى أقتل مثلك .

قال : ثم تقدم عطية بن الأسود حتى وقف بين الجمعين و طلب البراز ، فذهب يزيد بن المهلب ليخرج إليه ، فتقدم رجل من أصحابه فأخذ بلجام فرسه فقال : أبا خالد ! لا تخرج إليه فانه من الأبطال المعدودين فى الأزارقة ، قال : فغضب يزيد بن المهلب ثم قال :

---

(١) فى الأصل : فقالوا .

أطلق ويلك لجام الفرس و إلا هممتك بالسيف ! قال : فتنحى الرجل و حمل يزيد بن المهلب على عطية بن الأسود فالتقيا[1] بضربتين [و ضربه يزيد] ضربة على بيضته فصرعه عن فرسه ، و همّ أن يضربه أخرى غير أنه اشتغل بغيره ، فوثب عطية بعده حتى اختلط بالقوم ، فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل . فلما اختلط[2] القوم انهزمت الأزارقة و قد قتل منهم جماعة ؛ فأنشأ رجل من بنى أسد فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

أتانا عطيـــة فى خيله فقال المهلب نادوا يزيدا

إلى آخرها[3] .

قال : فأقام[4] القوم أياما متحاجزين قد كف بعضهم عن بعض ، قال : و إذا قوم من الأزارقة قد أقبلوا إلى سرح المهلب فاستاقوا منه نيفا على ثلاثمائة رأس . قال : فصاح المهلب بابنه مدرك ، فقال : يا بنى ! إن السرح قد ذهب بعضه ، و إنما نحن بالله ثم بالسرح ، فالحق القوم ! قال : فنادى مدرك فى فرسان الأزد ، فركبوا و ركب مدرك فى خيله نحو السرح حتى لحقه ، و إذا رجل من الأزارقة يسوق السرح و هو يرتجز و يقول شعرا . قال : فلم يشعر[5] الأزارقة إلا و مدرك بن المهلب

/ ٧٩/ب

(١) فى الأصل : فالتقوا .
(٢) فى الأصل : اختلطوا .
(٣) فى الأصل : آخره .
(٤) فى الأصل : فأقاموا .
(٥) فى الأصل : فلم يشعروا .

Marfat.com

قد[1] وافاهم فى خيله ، فلما نظروا إليه رجعوا[2] إليه ، فجعل رجل منهم يرتجز و يقول :

أ كل يوم يبعث المهلّبُ خيلا عليه من بنيه أغلب
ليس لنا فى الأرض منه مهرب لاشىء إلا الموت والا فاهربوا

قال : فحمل عليهم مدرك بن المهلب فى خيله ، فقتل منهم من قتل و استنقذ السرح ، و انهزمت الأزارقة و تركوا عامة أموالهم ؛ فرجع مدرك باسلاح و أسلاب القوم إلى العسكر ، فقال له المهلب : ما فعلت يا بنى ؟ فقال : استنقذت السرح و جئت بعامة أسلاب القوم ؛ فقال : و لِمَ فاتك أحد[3] منهم لم تقتله ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! لقد قاتلت القوم أشد القتال ، و لو لا ذلك لما قدرت على السرح . فقال المهلب : هيهات يا بنى ! كل امرئ لا أليه بنفسى فهو ضائع ! فقال له رجل من أصحابه : أصلح الله الأمير ! لئن كنت لا تريد من الرجال إلا مثلك فلا و الله ما فينا من يساوى شسع نعلك ؛ قال : ثم أنشأ ذلك الرجل يقول أبياتا مطلعها :

قل للمهلب و السياسة كاسمه إن كنت تطلب للسياسة مثلكا

إلى آخرها .

قال : فبينا المهلب نازل على باب إصطخر محاصرا للأزارقة إذ خرجوا فى جوف الليل يريدون الهرب منها إلى المدينة البيضاء[4] ،

(١) فى الأصل : وقد .
(٢) فى الأصل : و رجعوا .
(٣) فى الأصل : احدا .
(٤) اكبر مدينة فى كورة إصطخر ـ انظر معجم البلدان ٢/٣٣٥ .

و ذلك

Marfat.com

و ذلك أنهم قد أكلوا جميع ما كان بمدينة إصطخر فخرجوا عنها هاربين ، و اتصل الخبر بالمهلب ، فنادى فى أصحابه أن اركبوا ! ثم تبعهم . قال : و التفتت الأزارقة إلى خيل المهلب قد وافتهم ، فرجعوا إليه و عزموا على الموت ، فتقدم عبيدة بن هلال و حسر عن رأسه و هو يرتجز و يقول :

حتى متى يتبعنا المهلب كأنه فى أثر صحبى كوكب ٥

/ فى كل يوم معزبات شُزّب ورسانها من حنق تلتهب ٨٠/ الف

ليس لنا فى الأرض منهم مهرب و لا السماء أين أين المهرب[1]

قال : فحمل عليه بشر ابن أخى المهلب فطعنه طعنة ، سقط عبيدة عن فرسه مفضوحا ؛ فأنشأ بشر يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

يا مليك ابنة الملوك سلى بى و بطعنى عبيدة بن هلال ١٠

إلى آخرها .

قال : و صاح صالح بن مخراق : يا معشر المهاجرين ! موتوا على دينكم ، و ولونى قتال القوم ! قال : ثم تقدم صالح أمام القوم و جعل ينادى : يا معشر المحلين بشر لبشر و نفر لنفر ، و الله لا برحت أموت أو تموتوا .

قال : فالتفت المهلب إلى ابنه المفضل ، فقال : أبا غسان ! شأنك و الرجل ، ١٥ فاخرج إليه فى أصحابك فانه قد خرج فى أصحابه ، فان عجل فتأنّ و إن أمسك فتقدم . قال : فخرج المفضل بن المهلب فى خيله حتى وقف قبالة صالح ابن مخراق ، قال ثم قال : أنا أبو غسان فانبت يا ابن مخراق ! قال : ثم عطف

---

(١) فى الأخبار الطوال ص ٢٧٦ :

حتى متى يتبعنا المهلب ليس لنا فى الأرض منه مهرب
و لا السماء أين أين المذهب

Marfat.com

عليه المفضل و التقيا[1] بضربتين ، ضربه المفضل انفلت منها صالح بن مخراق و هو يولول ، فناداه المفضل : إلى أين يا ابن مخراق ؟ إن كنت صادقا فاثبت ! قال : فلم يجبه صالح إلى شيء و اشتغل بما قد نزل به من الضربة. قال : و اشتد القتال و جعلت الأزارقة كلما مل[2] منهم قوم من القتال تأخروا و تقدم الآخرون ، فقال المهلب : سبحان الله العظيم ! و الله ما رأيت و لا سمعت بمثل هؤلاء القوم ساعة قط ، كان كل ما ينقص منهم أن يزيد فيهم . فقال المفضل : نعم و الله - أصلح الله الأمير ! و أعجب من ذلك أني كلما قلت ملوا من الحرب قد عادوا حتى كأنهم لم يفعلوا شيئا . فقال المهلب : هكذا الرجال يا بني ، أما و الله أن لو لا الكتاب المؤجل إذا لأبادونا أو أبدناهم .

قال : و ضجرت الأزارقة و ملوا من الطعن و الضرب فولوا مدبرين نحو المدينة البيضاء ؛ فقال المهلب لأصحابه : لا تتبعوهم ! فوالله ما انصرفوا حتى انتصفوا منا و انتصفنا منهم . قال : فأنشأ المغيرة بن حبناء / التميمي في ذلك يقول أبياتا مطلعها : ٨٠/ب

أتى ابن مخراق ليقضي نذره ... و كان إذا ما قال افعل تفعلوا

إلى آخرها . قال : و أقبل المهلب حتى نزل على مدينة البيضاء و الأزارقة مجتمعون بها ، فنزل عليهم و حاصرهم و ضيق عليهم غاية الضيق ، فلما رأوا ذلك خرجوا إليه كالسباع الضارية ، و جعل رجل منهم ينادي : يا معشر المحلين ! حتى متى نفر منكم ، هذا يوم نموت فيه جميعا . قال : و تقدم عمرو القنا حتى وقف بين الجمعين و جعل ينادي : أين أبو غسان ؟

(١) في الأصل : التقوا .
(٢) في الأصل : ملّوا .

أين المفضل بن المهلب ؟ قال : فما لبث أن خرج إليه المفضل و بين يديه رجل من الأزد يحرضه على حرب القوم ، و هو يقول أبياتا مطلعها :

اقدم فدتك النفس يا مفضّل فأنت من إخوتك المبجّل

إلى آخرها . قال: فحمل عليه عمرو[1] القنا و فى يده لواء الأزارقة ، و حمل عليه المفضل فطعنه فى صدره طعنة ، فأوهنه[2] حتى سقط اللواء من يده ، فأخذ[3] أصحاب المفضل اللواء من عمرو ، و مر عمرو مجروحا لما به ؛ فانشأ المغيرة بن حبناء التميمى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

يا عمرو لا تلقى المفضّل بعدها بلواء قومك إذ سُلِبْتَ لواءكا

إلى آخرها . قال : و أقبلت الأزارقة على عمرو القنا فقالوا : يا عمرو[4] ! إنه قد أخذ منك اللواء و رجع بغيرك ، ألا تعلم أنه عار عليك و على عشيرتك ! قال : فرجع عمرو القنا إلى الحرب ثانية ، و اشتبك القتال بين الفريقين ، و حمل عمرو القنا على رجل من أصحاب المفضل قد كان اللواء فى يده ليأخذه منه ، و حمل عليه المفضل فضربه ضربة ثم قال : خذها يا عمرو ! أنا الغلام الأزدى . قال : فولى عمرو القنا منهزما هو و أصحابه حتى دخلوا مدينة البيضاء ، و ذلك فى وقت المساء . فقال المهلب لابنه المفضل : ادن منى يا بنى ! هكذا فكن كما كان[5] آباؤك من قبل ؛

---

(١) زيد فى الأصل : بن ـ خطأ .

(٢) فى الأصل : فاوهمه . (٣) فى الأصل : فأخذوا .

(٤) وقع فى الأصل : عمر ـ خطأ .

(٥) فى الأصل : كانوا .

Marfat.com

فأنشأ الأشرس الحرمى فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

قل للمفضل قد شفيت نفوسا يوم التقى الجمعـان بالبيضاء

٨١/ الف / إلى آخرها .

خبر سبرة[1] بن الجعد مع الحجاج بن يوسف

قال : و لما بلـغ الحجاج ما فيه المهلب من حرب الأزارقة و ما لقى منهم فاغتم لذلك غما شديدا و امتنـع من النوم و أرق ذات ليلة ، فلما طال عليه ذلك دعى بصاحب حرسه فقال : اخرج فاتنى بمحدث يقطع عنى بعض هذه الليلة ! قال : فخرج الحرسى فاذا هو برجل جسيم وسيم قد لقيه ، قال له : أجب الأمير ! قال : ففزع الرجل و طار عقله و أتى به حتى دخل على الحجاج ، فلما سلم قال له الحجاج : إيه ما عندك ! [فقال له الرجل : إيه ما عندك -؟] ، قال فقال الحجاج للحرسى : ويلك ! أمرتك أن تأتينى بمحدث فأتيتنى برجل مرعوب قد ذهب عقله ، أخرجه عنى ، أخرج الله نفسك و نفسه ! فخرج[3] الحرسى فوجد إنسانا يصلى ، فقال له : كلم الحجاج ! قال : فأوجز الرجل فى صلاته [ثم] أتى به حتى أدخل على الحجاج[3] ، فسلم بلسان طلق ذلق و قلب شديد ، فقال الحجاج :

---

(١) فى مروج الذهب ٢/١٣٨ : سيرة .

(٢) من مروج الذهب .

(٣ - ٣) فى مروج الذهب : « فخرج الحجاج و معه صرة دراهم إلى المسجد ، فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى انتهى إلى شيخ فأعطاه فنبذها ، فأعادها الحجاج فردها ، ففعل ذلك الحجاج ثلاثا ، فدنا منه الحجاج و قال : أنا الحجاج ! و دخل القصر و قال للحرسى : الحقنى به ! فدخل » .

Marfat.com

ممن الرجل؟ [1]قال: رجل من ربيعة، قال: و من أيها[1]؟ قال: من بنى شيبان، قال: فما اسمك و ابن من؟ قال: اسمى سبرة بن الجعد، قال الحجاج: اجلس يا سبرة بن الجعد و أخبرنى هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم أيها الأمير لقد قرأته و جمعته فى صدرى، فان عملت به فقد حفظته و إن لم أعمل[2] به فقد ضيعته؛ قال الحجاج: صدقت؛ فهل [2]علمت من[2] الفرائض؟ فقال: نعم [3]و إنى لأعرف[3] الاختلاف فى الجد؛ قال: فهل تبصر الفقه؟ قال: نعم، إنى لأبصر منه ما أقوّم به أهلى و أرشد به ذا العماء من قومى؛ قال: فهل [4]نظرت فى[4]، النجوم؟ فقال: نعم، إنى لأعرف منازل القمر و ما اهتدى[5] به فى السفر؛ قال: فهل تروى الشعر[6]؟ قال: نعم، إنى لأروى منه المثل و أعرف الشاهد من أيام العرب[6]. قال: فاتخذه الحجاج سميرا و أجرى عليه رزقا، فلم يكن يسأله عن شىء من العلوم و الأخبار و الأحاديث و الأسمار إلا وجد عنده من ذلك طرفا.

(١-١) ليس فى مروج الذهب.

(٢-٢) فى الأصل: عملت فى؛ و فى مروج الذهب: فهل تفرض.

(٣-٣) فى مروج الذهب: إنى لأفرض الصلب و أعرف.

(٤-٤) فى مروج الذهب: تعرف.

(٥) من مروج الذهب، و فى الأصل: يهتدى.

(٦ - ٦) فى مروج الذهب: « قال: إنى لأروى المثل و الشاهد؛ قال: المثل قد عرفناه، فما الشاهد؟ قال: اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من الشعر، فانى أروى ذلك الشاهد ».

Marfat.com

قال: و بلغ ذلك قطرى بن الفجاءة صاحب الأزارقة، فاشتد عليه مكان سبرة بن الجعد من الحجاج لأنه كان قد يرى رأيهم؛ قال: فكتب إليه قطرى بن الفجاءة بهذه الأبيات:

٨١/ب /لشتان ما بين [ابن -[1]] جعد و بيننا إذا نحن رحنا فى الحديد المظاهر
٥ و راح [2]ابن جعد الخير نحو[2] أميره أمير بتقوى ربه غير آمر
نجالد[3] فرسان المهلب كلنا صبور على وقع السيوف البواتر
أبا الجعد أين العلم و الحلم و النهى و ميراث آباء كرام العناصر
ألم تر أن الموت لا شك نازل [4]ولا بعث إلا للألى[4] فى المقابر
عراة حفاة و الموات لديهم إلى ظلمة تغشى عيون النواظر[5]
١٠ و تب توبة تهدى إليك سعادة[6] فانك ذوذنب ولست بكافر
فان الذى قد نلت يفنى و إنما[7] بقاؤك[7] فى الدنيا كوقعة طائر

(١) من مروج الذهب .
(٢-٢) فى مروج الذهب : يجر الخز عنه .
(٣) فى مروج الذهب : نجاهد .
(٤-٤) فى مروج الذهب: و لا بد من بعث الألى .
(٥) البيت فى مروج الذهب :

حفاة عراة و التراب لديهم فمن بين ذى رمح و آخر خاسر

و زيد فيه بيت :

فراجع أبا جعد و لا تك مغضبا على ظلمة أعشت جميع النواظر

(٦) فى مروج المذهب؛ شهادة .
(٧) فى مروج الذهب: حياتك.

Marfat.com

و سر نحونا تلق[1] الجهاد غنيمـــة تفـدك ابتياعا رابحا غـير خاسر[2]
هى الغاية القصوى العظيم[3] ثوابهـا إذا نال فى الدنيا الغنى كل تاجر

قال : فلما قرأ سبرة بن الجعد كتاب قطرى بن الفجاءة توارى عن الحجاج ليلة من الليالى ، ثم ركب فرسه فلحق بالأزارقة فصار معهم . قال : و طلبه الحجاج فلم يقـدر عليه ، و جعل يسأل عنه فلم يعطه أحد ٥ خبره ، قال : فلم يرع[4] الحجاج إلا و كتابه قد ورد عليه فيه شعر قطرى ابن الفجاءة الذى كان كتبه إليه ، و فيه هذه الأبيات إلى الحجاج :

فمن[5] مبلـــغ الحجاج أن سميره على[6] كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه ملا عين تراكين قصـد المناهج[7]
[8]فأى امرئ أى امرئ يا ابن يوسف ظفرت بـه لم يأت غير الولائج ١٠
إذا لرأيت الحق منـه مخـالفـا لدينك إن كنت امرأ غير فالج
يسائلنى الحجاج عن أمر دينـــه و ليس هواه للصواب بواشج
فأضلل به من واشج خلجتُ بـه عن الدين و الإسلام إحدى الخلائج

(١) من مروج المذهب ، و فى الأصل : تلقى .
(٢) من مروج الذهب ، و فى الأصل : باثر .
(٣) فى مروج الذهب : الرغيب .
(٤) فى الأصل : ثم ، و التصحيح من مروج الذهب .
(٥) من مروج الذهب ٢/١٣٩ ، و فى الأصل : من .
(٦) فى مروج الذهب : ملا .
(٧) فى مروج الذهب : المخارج .
(٨) الأبيات الآتية من هنا إلى قوله : فأقبلت نحو الله ، ليست فى مروج الذهب .

Marfat.com

و نهّاب[1] ثلج و المقيم بنهرها إذا قستَها فى البعد من ملء عالج
فيا ليتنى إذ أمكنتنى فرصة فتكت به فتك امرئ غير نافج
فقد كدت لولا الله أن أمزج الهوى هدى الحق من قلبى بمذقة مازج
فعممته[1] مثل العقيقة صارما يخال على متنيه ماء الصهارج
٨٢/ الف ٥ / فأقبلت نحو الله بالله و اثقا ما كربتى غير[2] الإله بفارج
[3]على ظهر محبوك[4] العرى متمطرا[4] إلى فتية بيض الوجوه بناهج
إلى قطرىّ فى الشراة معالجا و لست إلى غير الشراة بعالج
[5]إلى عصبة أما النهار فانّهم صموت من الفحشاء غير ممازج
و أما إذا ما الليل جنّ فانهم هم الأسد أسد الحرب عند التهايج[5]
[6]ينادون بالتحكيم لله[6] إنهم رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيس مثل ذلك فاعصموا بحبل شديد الفتل[7] ليس بناهج
و لا خير فى الدنيا إذا الدين لم يكن صحيحا و لم يصمد لقصد المخارج[8]

(١) فى الأصل : يهاب .
(٢) من مروج الذهب ، و فى الأصل : عند .
(٣) ليس البيتان الآتيان فى مروج الذهب .
(٤-٤) فى الأصل : القرى متنمطرا .
(٥-٥) فى مروج الذهب :

إلى عصبة أما النهار فانهم هم الأسد أسد الغيل عند التهايج
و أما إذا ما الليل جن فانهم قيام بأنواح النساء النواشج

(٦-٦) فى مروج الذهب : للتحكيم تالله .
(٧) فى مروج الذهب : المتن .
(٨) ليس البيت فى مروج الذهب .

قال

Marfat.com

قال : فلم قرأ الحجاج هذا الكتاب تغيّر لونه و وجهه ، ثم رماه إلى كاتبه و قال : هذا كتاب سميرنا الشيبانى و كان من الخوارج و لم نعلم . قال : ثم جعل الحجاج يعض[1] أنامله و يتأسف على ما فاته من قتله .

ثم رجعنا إلى أخبار الأزارقة

قال : و أصبحت الأزارقة ذات يوم فخرجوا عن مدينة البيضاء ٥ إلى حرب المهلب و أصحابه فى تعبية لم يُرَ[2] مثلها قبل ذلك ، و زحفوا حتى جعلوا مدينة البيضاء من ورائهم ، و تقدم رجل منهم من بنى ضبة يقال له زياد فجعل ينادى : يا معشر المحلين ! هل من مبارز ! قال : فصاح المهلب برجل يقال له الرقاد بن عمرو[3] فقال له : يا رقاد ! اكفنا[4] هذا الفارس ! فقال : أفعل أصلح الله الأمير و لو أمرتنى بالمراز إلى من هو ١٠ أعظم خطرا منه . ثم حمل الرقاد بن عمرو على زياد الضبى ، فطعنه طعنة خرّ منها قتيلا . قال : و نظرت الأزارقة إلى زياد الضبى قد سقط فضجوا بالبكاء ، ثم انهم استماتوا فجعلوا يقاتلون أشد القتال إلى أن اختلط

---

(١) فى الأصل : يعظ ـ كذا خطأ .

(٢) فى الأصل : لم يرى .

(٣) فى الكامل للمبرد ص ٦٨١ : الرقاد هو من فرسان المهلب و هو أحد بنى مالك ابن ربيعة ؛ وفى الطبرى ٧/٢٦٩ : و كان الرقاد بن زياد بن همام رجلا من العتيك كريما على المهلب .

(٤) فى الأصل : اكفينا ـ كذا .

Marfat.com

الظلام ثم [1]تحاجز الفريقان[1] و قد انتصف[2] منهم خيل المهلب ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى[3] يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

و لما بدت خيل تنادى بأن الصياح لِلأعادى[4]

إلى آخرها .

٥ خبر الجاريتين ابنتى تبع الحميرى و خبر محمد بن يوسف أخى الحجاج و خبر السيف و هذا داخل فى حديث الأزارقة .

٨٢/ب / قال الهيثم بن عدى[5] فى بعض أخباره : كان محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف يومئذ عاملا على اليمن من قبل الحجاج ، فدلوه على مطمورة هناك ، فحفرهـــا فاذا هو بحجر منقور طويل ، و فى الحجر[6] جاريتان عند رؤسهما[6] لوح من حجر مكتوب فيه بالحميرى : « يا أخى ! و هذه أختى لميس ، و نحن ابنتا تبع الحميرى ، غير أننا متنا و لا نشرك بالله شيئا . و إذا عند رأس إحداهما[7] هذه الأبيات مكتوبة فى الحجر ؛

(١-١) فى الأصل : تحاجزوا الفريقين .

(٢) فى الأصل : انتصفوا .

(٣) فى الأصل : الأشعرى .

(٤) فى الأصل : باننا الصياح من الأعادى .

(٥) المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، مؤرخ ، و هو عند علماء الحديث من المدلسين و من غير الثقات ـ انظر لسان الميزان ٦/٢٠٩ .

(٦-٦) فى الأصل : جاريتين عند رؤسهم .

(٧) فى الأصل : احداهم .

Marfat.com

كنت العزيزة فى قومى فما امتنعت نفسى بعزتها لمّا أتى القــدر
لما أتانى الذى قد كنت أحذره سلمت و استعجلتنى عبرة درر
وأرفض من كان حولى من ذوى ثقة كيما أوارى فلا شخص و لا أثر
و أخرجونى من الدنيا و زينتها و صار أكبر ما الحقته[1] المدر

قال: و إذا عند رأس الأخرى مكتوب فى الحجر هذه الأبيات:

جار الزمان علينا مثل ما صنعت أيامه بابن ذى الصقرين ذى يزن
كنا نرى و ملاهى الدهر تذهلنا إن المنعّم قد تعرى[2] من الحزن
كانت لنا جنــة خضراء معشبة للطير والوحش فيها صوت مرتهن

قال: و إذا بين هاتين سيف مأثور لا يدرى ما قيمته، قال: فأخذ محمد بن يوسف ذلك السيف و خرج من المطمورة و رد الحفر إلى ما كان. ثم كتب إلى الحجاج يعلمه أمر المطمورة و بعث إليه بذلك السيف، قال: فنظر الحجاج إلى سيف قاطع من سيوف الأولين، فقال لجلسائه: ما يصلح هذا السيف إلا للمهلب يقاتل به هؤلاء الخوارج. قال: فبعث الحجاج بذلك السيف إلى المهلب و أمره أن يدفعه إلى أشــد أولاده و أنجدهم. قال: فوهب المهلب هذا السيف لابنه المغيرة[3]. و زحفت

(١) فى الأصل: الحقنه.
(٢) فى الأصل: عُرى.
(٣) فى الكامل لابن المبرد ص ٦٨٤: «كان قطرى هدم مدينة إصطخر لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره و أراد مثل ذلك بمدينــة قَسا فاشتراها منه آزاذ مرد بن الهربذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها، فواقعه المهلب فهزمه =

Marfat.com

الأزارقة نحو المهلب فى جيش لجب ، و تقلد المغيرة بذلك السيف و خرج نحو الأزارقة ، و دنت الأزارقة يقدمهم صالح بن مخراق العبدى شاكا فى السلاح ، و على رأسه بيضة مجلية ، و قد وضع على قفاه مزردة محشية بالقز و هو يرتجز / و يقول : ٨٣/الف

قل للمحلين أتاكم صالح ... و صالح فى الحرب كبش ناطح
و صالح فى الخيل ليث كالح ... و صالح ظفر و ناب جارح
يهوى به طرف سريع سالح ... فى كفه عضب حسام لائح

ثم حمل على خيل المهلب ، و حمل عليه المغيرة بذلك السيف فضربه ضربة على بيضته فقدها حتى أسرع السيف إلى رأسه و سقط صالح بن مخراق عن فرسه ، فحماه[1] أصحابه و هو لما به ؛ ثم حمل المغيرة على جميع الأزارقة و كان لا يضرب منهم بسيفه أحدا إلا جندله صريعا . قال : فلم يزل كذلك حتى انكشفوا من بين يديه ، ثم رجع المغيرة إلى أبيه و السيف بيده خضيبا بالدماء . قال فقال المهلب : أحسنت يا بنى ! لقد أخذته بحقه ، و أنا كاتب إلى الحجاج بما صنعت فى هذا اليوم ؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء التميمى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

= و نفاه إلى كرمان ، و اتبعه ابنه المغيرة و قد كان دفع إليه سيفا وجّه به الحجاج إلى المهلب و أقسم عليه أن يتقلده فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلد ، فرجع به المغيرة إليه و قد دمّاه ، فسُرّ المهلب بذلك » .

(١) فى الأصل: لحموه .

قل

Marfat.com

قل للمهلب قد وقيت نفوسنا ببنيك فعلة تبّـع ذى التاج

إلى آخرها .

ذكر اختلاف الخوارج و تشتيت أمرهم

قال : و وقـع الخلاف بين الأزارقة فاختلفوا فصاروا على ثلاث فرق : فرقة مع صاحبهم قطرى بن الفجاءة ، و فرقة مع عبد ربه الكبير ، و فرقة مع عبد ربه الصغير . قال : و تشتتت أمورهم و اختلفت كلمتهم ؛ فأنشأ رجل منهم يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

كفى حزنا أن الخوارج أصبحوا قد انشتت[1] نياتهم فتصدّعوا

إلى آخرها .

قال : و بلغ المهلب ما هم فيه من التشتيت و الاختلاف ، فقال لأصحابه : أبشروا ! فهذا الذى كنت أرجو من هؤلاء الخوارج ، و قد أذن الله فى هلاكهم و بوارهم .

ثم وثب رجل منهم يقال له الصلت بن مُرّة الإيادى إلى قطرى ابن الفجاءة فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا كنا مرة أفاعىً فأصبحنا اليوم خنافس ، و قد كنا أسودا فأصبحنا ضباعا ، و قد أصبح المهلب يرجو منّا ما كنا نرجو منه ، و قد بلغنى أنك تريد الهرب ، فان كنت إنما تريد / الله و الدار الآخره فاثبت و مت حتى نموت[2] معك ، و إلا فدع ٨٣/ب أصحابك حتى يستأمنوا إلى المهلب فانه يؤمنهم : قال : ثم أنشأ يقول أبياتا مطلعها :

---

(١) فى الأصل : تشتتت .

(٢) فى الأصل : نمت .

Marfat.com

أبقى لنا عبد رب بعد ألفتنا طعن الصدور فصرنا ضحكة العرب

إلى آخرها[1].

قال: فلما سمع قطرى بن الفجاءة هذه الأبيات استعبر باكيا و وطن نفسه على الموت، و نادى فيمن أجابه من الأزارقة و زحف إلى المهلب و أصحابه؛ و دنا[2] القوم بعضهم من بعض، و تقدم قطرى أمام الخيل و هو يرتجز و يقول شعرا. قال: فما لبث قطرى بن الفجاءة أن خرج إليه المهلب بنفسه و هو يرتجز و يقول:

يا قطرى أين أين المهرب لا أين منك و الفتى المهلب
يطعن أحيانا و حينا يضرب كأنه وسط العجاج يلعب

قال: فعلم قطرى أنه المهلب فجعل يرتجز و هو يقول:

إن يلقنى بجده المهلب اصبر و إلا لم يضرنى المهرب
شيخ بشيخ ذا و ذا مجرب رمحاهما كلاهما مخضب

قال: فاقتتل[3] القوم يومهم ذلك إلى الليل. و ارتحل عبد ربه الكبير

---

(١) فى الكامل للمبرد ص ٦٨٧: «و أنشأ الصلت يقول:

قل للحماين قد فرت عيونكمُ بفرقة القوم و البغضاء و الهرب
كنا أناسا على دين فغيرنا طول الجدال و خلط الجد باللعب
ما كان اغنى رجالا ضل سعيهمُ عن الجدال و أغناهم عن الخطب
إنى لأهونكم فى الأرض مضطربا ما لى سوى فرسى و الرمح من نشب

(٢) فى الأصل: دنوا.

(٣) فى الأصل: فافتتلوا.

Marfat.com

و عبد ربه الصغير نحو بلاد كرمان أحدهم فى سبعة آلاف [و الآخر فى أربعة آلاف]١، فصار كل واحد منهم على حدة . قال : و ارتحل قطرى ابن الفجاءة حتى صار إلى مدينة جيرفت٢ فنزلها فيمن بقى معه من أصحابه . قال : و جعل كل واحد من هؤلاء القوم يعزم٣ على قتال المهلب بنفسه و أصحابه ليتبين صبره و جهاده من جهاد غيره ، وأنشأ كعب بن معدان ٥ يقول أبياتا مطلعها .

دعوا التبايع و الإسراع و ارتقبوا إنّ المحارب يشنأنى و ينتظر

إلى آخرها .

قال : و اشتد الحصار على قطرى بن الفجاءة و أصحابه بمدينة جيرفت ، و اتصل الخبر بأصحابه أنه يريد الهرب ، فقام إليه رجل من الأزارقة ١٠ يقال له عامر بن عمرو السعدى فقال : يا أمير المؤمنين! إنا قد بلغنا عنك أنك تريد الهرب ، فان / قاتلتَ قاتلتُ معك ، و إن هربت فأنا أبرأ ٨٤/ الف إلى الله منك ! فقال٤ قطرى بن الفجاءة : مَن هٰهنا اضربوا عنقه ! قال : فضرب عنق السعدى . فوثب ابن عم له فقال٥ له : يا أمير المؤمنين ! يكلمك ابن عمى بكلمة فيها رضى فتأمر بضرب عنقه ! لا يجب أن يكون جوابك ١٥ القتل ، و عقابك السيف ، فان الطاغى يوجع ، و المستعتب يعتب ؛ ألا و الله لم يبق معك أحد إلا فارقك ! فان فعالك هذه من فعال الجبارين ؛

(١-١) قدمها فى الأصل : على « و عبد ربه الصغير » .

(٢) مدينة بكرمان ـ معجم البلدان ٣/١٨٩ . (٣) فى الأصل : قد عزم .

(٤) فى الأصل : فقال له . (٥) وقع فى الأصل : يقال .

Marfat.com

ثم أنشأ يقول:

أيا قطرىّ بن للفجاءة ملء لنا ... من النصف شىء غير فعل الجبابر
أما تستحى يا لقّ الفجاءة ألّى ... لبست بها عارا و أنت مهاجر
أفى كل يوم للمهلب أسلمت ... له شفتاك الفمّ و القلب طائر
فحتى متى هذا الفرار حذاره ... و أنت ولى و المهلب كافر
[و] إن قال يوما عامر فضربته ... بأبيض مصقول فللّه عامر
أسرت و لم تأمر به فدماؤه ... تسيل على ثوبيه و الرأس نادر
أما حسبنا من عبد رب و صحبه ... شجى ناشب لم تبتلعه الحناجر
قتلت الذى لا تستطيع فراقه ... حياتك لا تنفع و موتك صائر
فمت قطرى إن فى الموت راحة ... و أنت لديه لا محالة سائر

قال: فهم به قطرى أن يقتله، ثم إنه خشى أن يلتاث عليه أهل عسكره فسكت عنه، و جاء الليل فهرب ذلك الرجل فى جماعة من الأزارقة

---

(١) زيد فى الأصل: من.

(٢) فى الأخبار الطوال ص ٢٧٧: «و مضى قطرى فى أصحابه نحو جيرفت، و همّ بالهرب إلى كرمان، فقال رجل من أصحابه:

أيا قطرىّ الخير إن كنت هاربا ... ستلبسنا عارا و أنت مهاجر
إذا قيل قد جاء المهلب أسلمت ... له شفتاك الفمّ و القلب طائر
فحتى متى هذا الفرار مخافة ... و أنت ولى و المهلب كافر»

و ليست الأبيات الآتية فيه. و وقع فى الأصل: «له شفتاك و الفم و القلب طائر».

حتى

Marfat.com

حتى صاروا إلى المهلب فاستأمنوه، فأمّنهم و أحسن جوائزهم: ثم أنشأ ذلك الرجل يقول:

قد قلت لما أبرهجت لى عجاجة هوى قطرى وسطها يتذبذب
فيا قطرى بن الفجاءة ما[1] لنا جواب لحاك الله إلا المشطب
فلما أبى إلا اللجاج بقتلنا نظرت و كان المستجار المهلب
عفوٌ عن الذنب العظيم كأنه لمن ليس يرجو العفو عن ذنبه أب
عقوبته فيما يعاقب غيره عليه بمصقول الظُبى[2] حين يغضب
/ يعاتبه بالمرهفِ الشفيق نصيحة يزيدهم عفوا إذا القوم أذنبوا ٨٤/ب
لحقتُ به ما استبان ضلاله كأنى إليه[3] كنت بالأمس أهرب
فاجئته أغشو إليه بشبهة و لا طالبا مالا و لا المال أطلب
ولكننى أحدثت لله توبة قفلت إليها و القلوب تقلب

و لم تك لى بعد البصيرة عرجة و لم يك لى بعد المهلب مذهب

قال: و بقى قطرى بن الفجاءة مغموما [فيما] هو فيه، لأنه قد فارقه رجال من أصحابه، ففرقة منع عبد ربه بوادى كرمان، و الذين هم معه بجيرفت هو منهم على وجل فلم يدر ما يصنع، و ضاق به الأمر؛ فأنشأ يقول:

أقول لنفسى حين طال حصارها و فارقها للحادثات نصيرها
لكِ الخيرُ موتى إنّ فى الموت راحةً فيأتى عليها حَينها ما نصيرها
فلو أنها ترجو الحياة عذرتنا و لكنها للموت يحدى بعيرها

(١) فى الأصل : أما .
(٢) فى الأصل : الضبى .
(٣) فى الأصل : إليها .

و قد كنت أوفى للمهلب صاحبه ... و يشجى بنا و الخيل يثنى نحورها
إذا ما أتت خيل لخيل لقيتها ... بأقرانها أسدا يدانى زئيرها
و لا يبتغى الهندى إلا رؤسها ... و لا يلثق الخطّى إلا صدورها
ففرق أمرى عبد رب و صحبه ... أدار رحى موت عليها مديرها
فقدما رأى منا المهلب فرصة ... فها تلك أعدائى طويل سرورها
و أعظم من هذا علىّ مصيبة ... إذا ذكرتها النفس طال زفيرها
فراق رجال لم يكونوا أذلة ... و قتل رجال جاش منها ضميرها
لقونى بالأمر الذى فى نفوسهم ... و لا يقتل الفجار إلا فجورها
عبرنا زمانا و الشراة بغبطة ... يسرّ بها مأمورها و أميرها

قال: ثم أرسل قطرى إلى من كان معه فى مدينة جيرفت و أوصاهم و عهد إليهم و قال: اعلموا أنى قد عزمت غدا على الخروج إلى المهلب و أصحابه فانظروا كيف تكونون! فأرسلوا إليه أن يا أمير المؤمنين إننا قد غزمنا على الموث. فاعزم على ذلك. فلما كان من الغد فتح[1] / القوم ٨٥/ الف
أبواب المدينة و خرجوا منها إلى لقاء المهلب و أصحابه فى زيادة على عشرة آلاف، و عبّى المهلب أصحابه كما كان يعبيهم من قبل، و دنا[2] القوم بعضهم من بعض، و اختلطوا و تلاحموا و اقتتلوا قتالا نحوا ما كان قبل ذلك، و لم يزالوا على ذلك يومين و ليلتين.

فلما كان اليوم الثالث أقبل عبد ربه الصغير على أصحابه و هو فى أربعة آلاف، فقال: ويحكم يا معشر المهاجرين! إن قطريّا و أصحابه فى

(١) فى الأصل: فتحوا.
(٢) فى الأصل: دنوا.

Marfat.com

الحرب منذ يومين و ليلتين، و هذا عار علينا أن نسلم إخواننا، و لكن سيروا بنا إليهم. قال: فلم يشعر المهلب إلا و عسكر لجب قد وافاه فى أربعة آلاف من الأزارقة، فقال لابنه يزيد: أبا خالد! هذا عبد ربه الصغير قد أقبل، فاضمم إليك من أحببت من العسكر و اكفنى أمره، و دعنى و قطرى بن الفجاءة و أصحابه. قال: فما انتصف النهار حتى قتل عبد ربه الصغير و قتل عامة أصحابه، فما انفلت منهم إلا شرذمة قليلون. و نظر قطرى إلى ما قد نزل بعبد ربه الصغير و أصحابه فولّى منهزما، و وضع السيف فى أصحابه فقتل منهم مقتلة عظيمة، و نجا قطرى و أصحابه فى الذين بقوا معه، فمر هاربا على وجهه؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى[1] يقول أبياتا مطلعها:

نجا قطرى و الرماح تنوشه على سابح نهد التليل مقرّع[2]

إلى آخرها.

قال: و مضى قطرى بن الفجاءة هاربا على وجهه حتى صار إلى مدينة الرى و معه عبيدة بن هلال و من تبعهم من الأزارقة، فلما صار[3] القوم إلى بلد الرى افترقوا، فصار قطرى إلى ناحية طبرستان، و مضى

(١) فى الأصل: الأشعرى.

(٢) من معجم البلدان ٣ / ١٩٠، و فى الأصل «بفرع» و زاد فيه:

يلف به السافين ركضا وقد بدا لاسناعه يوم من الشر أشنع
وأسلم فى جيرفت أشراف جنده إذا ما بدا قرن من الباب يقرع

(٣) فى الأصل: صاروا.

Marfat.com

عبيدة بن هلال فى نفر من أصحابه إلى بلد قومس[1]، فنزلها ثم بعث إلى المهلب بن أبى صفرة بهذه الأبيات :

طال ليلى و غيّر الدهر حالى ورمانى بصائبات النبال
أفرق الدهر بيننا أى قطرى ورمانا بفتنة الدجال
و أرى عبد ربه ترك الحق فهذان فى الردى و الضلال
٨٥/ب / أوقدوها على الشراة و قالوا شنّ هذا عبيدة بن هلال
و لعمرى إن هما زعماه لقليل فى جمعهم أمثالى
إننى للصبور فى حمس[2] الحر ب يصير بما علىّ و ما لى
غير أنى لم أجبها عَلِم الله ولا حل فى اللجاج عقالى
قرة العين بالشراة و أمسى للمحلين غير ما زلزال
و تبارى المهلب بن أبى صفرة للقوم عند هلك الرجال
مد رجليه للفراغ من الحر ب و مد اليدين للانفال
و عيالى يطرحون بجيرفت لك الخير أين منى عيالى
إن تنلهم يد المهلب فى الحر ب سبايا فانى لا أبالى
يمنع الشيخ منهم عظم الخطب و أن ليس بيعهم بحلال[3]
إن من حالة المهلب فى النا س له هيبة و عز جلالى

---

(١) فى الأصل : قومص . و فى معجم البلدان / ١٨٥ : « قومس - بالضم ثم السكون وكسر الميم و سين مهملة..... و هى فى ذيل جبال طبرستان » .

(٢) فى الأصل : خمس .

(٣) فى الأصل : بحلالى .

Marfat.com

قال : فذكروا أن المهلب قد وصلت إليه هذه الأبيات ، فلما ظفر بمن بقى من الأزارقة اشترى عيال عبيدة بن هلال و أولاده بخمسين ألف درهم من ماله و ألحقهم بقومه .

قال : و انضمت الأزارقة إلى عبد ربه الكبير فبايعوه بالخلافة و قالوا : نحن معك أو نفنى عن آخرنا . قال : فغضب لذلك عطية بن الأسود و خرج من العسكر مخالفا لعبد ربه ، و تبعه عبد ربه فى نفر من أصحابه فقال[1] : يا أبا الأسود ! ارجع رحمك الله و لا تشق العصا ، فان الناس قد بايعونى ، فلا تخالف ما عليه إخوانك ، فقال له عطية بن الأسود : لا حاجة لى فى المقام معك . قال : فحمل عليه عبد ربه فطعنه فى خاصرته طعنة فقتله و رجع إلى عسكره ، فلما كان الليل لم يبق أحد من أصحاب عطية إلا خرج من العسكر و هم يقولون : الصلاة خلف عبد ربه حرام بعد هذا ، ثم صاروا إلى المهلب فاستأمنوا إليه ، فأمنهم و أحسن جوائزهم .

قال : و جمع عبد ربه الكبير من بقى معه من أصحابه ثم قام فيهم خطيبا ، فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا معشر / المهاجرين ! فان كنتم فقدتم ٨٦/الف الرجال فلم تفقدوا الإسلام ، و قد أراحكم الله من خمسة أشياء : من جفاء قطرى بن الفجاءة ، و أخلاط عبيدة بن هلال ، و نخوة عمرو القنا ، و غى[2]

(١) فى الأصل : فقالوا .

(٢) فى الأصل : فى .

Marfat.com

عبد ربه الصغير، و فتنة عطية بن الأسود؛ و قد صيركم الله إلى بصائركم الأولى، فاحمدوا الله على ذلك! و قد علمتم أن المهلب قد نزل بمدينة جيرفت و احتوى على غنائم إخوانكم و بنى أعمامكم، و أنا سائر إليه فسيروا على بركة الله.

قال: ثم سار[1] و سارت الأزارقة معه نحو مدينة جيرفت، و بلغ ذلك المهلب فنادى فى أصحابه و أمرهم بالرحيل، ثم خرج من جيرفت كالمنهزم عنها، و أقبل عبد ربه فى الأزارقة و قد بلغه خروج المهلب من جيرفت، فظن أنه قد انهزم بين يديه، فأقبل حتى دخل المدينة فنزلها فى أصحابه. و علم المهلب بذلك فرجع حتى نزل بجيرفت و جميع جنده؛ ثم إنه قام فى الناس خطيبا و قال: أيها الناس! إنكم نلتم ما رجوتم فى عدوكم من الفرقة و التشتيت، و قد كفاكم الله خمسة من قرناء الشيطان: قطرى بن الفجاءة، و عبيدة بن هلال، و عطية بن الأسود، و عمرو القنا، و عبد ربه الصغير؛ و قد بقى عبد ربه الكبير، و أنا أرجو أن يقتله الله غدا إن شاء الله، و القوم لاقوكم فاصبروا. فقال[2] الناس: سمعا و طاعة! قال: فعندها عزم المهلب على مناجزة القوم، و جعل يقول لأصحابه: لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم، فان القوم متكلون على ما فى المدينة من الأطعمة، و لقد نفد ما عندهم و جاعوا و إلا خرجوا إليكم.

قال: و اشتد الحصار على الأزارقة فى مدينة جيرفت حتى أكلوا جميع

(١) فى الأصل: ساروا.

(٢) فى الأصل: فقالوا.

Marfat.com

ما قدروا عليه ، ثم إنهم خرجوا إلى حرب المهلب فى تعبية و جيش لجب ، قال : و عبى المهلب أصحابه كراديس ، و جعل فى كل كردوس رجلا من أولاده ، ثم أقبل عليهم و قال : يا بنى ! إنما أقاتل لله ، و أنتم تقاتلون لله و عن أبيكم ، و تذبون عن دين الإسلام ، و ليس يقاتل معكم إلا من رزقه الله النية فى الجهاد ، و ليس أحد أولى بحربهم منكم ، فقاتلوا و اصبروا و كونوا كما قال أخو قيس حيث يقول :

/ إن على أهل اللواء حقا أن يخضبوا الصعدة أو يبرقا[1] ٨٦/ب

و اعلموا يا بنى ! أنكم لا تملكون رقاب الناس و إنما تملكون طاعتهم . فكونوا كما قال الأول :

إذا أعطيتُ راحلة و رحلا و لم أوضع فقام علىّ ناعى

قال : فعندها [2]جد بنو المهلب[2] فى القتال ، و إذا غلام من الأزارقة و قد وقف على تلّ مرتفع و رفع صوته و جعل يقول :

أفرق الأمرَ بيننا قُطُرىّ و لهجنا بلفظ قيل و قال

و رمانا عمرو القنا بهواه و أخوه عبيدة بن هلال

و رضينا بعبد ربه و المر ء رهين بحاذب الأهوال

فلقد عاين المهلب ما كا ن رجا من تقارب الآجال

قال : ثم حمل ذلك الغلام على أصحاب المهلب فلم يزل يقاتل حتى قتل ، و اشتد الحرب على باب جيرفت يومهم ذلك من وقت الضحى إلى أن

---

(١) فى الأصل : بر قا - كذا .

(٢-٢) فى الاصل : جدوا بنى المهلب .

Marfat.com

غابت الشمس . قال : و صاح رجل من أصحاب المهلب يقال له سلقط[1] ابن عمرو فقال : أيها الناس ! انه قد جاء الليل و غابت الشمس ، الليل لا يقاتل فيه إلا الشجاع المطبوع على الشجاعة ، فأيكم يبايعنى على الموت؟ قال : فانتدبت[2] له جماعة من فتيان الأزد ، و تقدم سلقط هذا فيمن اجتمع إليه نحو الأزارقة . فلم يزل يقاتلهم هو و أصحابه حتى ألجأهم إلى وادى جيرفت ، و صاح المهلب بابنـــه يزيد فقال : يا بنى ! ابسط خيلك على القوم ، قال : فبسط يزيد خيله على الأزارقة ، و ثبتت الأزارقة للحرب ، و جعل[3] أصحاب يزيد بن المهلب لا يرون داعيا من الأزارقة إلا رموه بالحجارة ، فلم يزالوا كذلك إلى الصباح حتى قتل من[4] الأزارقة بشر كثير ، و قتل سلقط بن عمرو الأزدى ؛ فأنشأ سماعة بن يزيد يقول أبياتا مطلعها :

نوى[5] سلقطٍ فى حومة الحرب مسندا فيا عين جُودِى بالدموع لسلقطِ

إلى آخرها .

قال : و ولّت الأزارقة منهزمين حتى دخلوا مدينة جيرفت بشرّ

---

(١) كذا فى الأصل فى مواضع كلها ، لم نجده فى كتب الرجال و لم نظفر مادة « سلقط » فى كتب اللغة .

(٢) فى الأصل : فانتدبوا .

(٣) فى الأصل : جعلوا .

(٤) فى الأصل : منهم .

(٥) فى الأصل : نوى .

Marfat.com

وعر ، فأقاموا يومهم ذلك . فلما كان الليل إذا برجل من الأزارقة قد أشرف على سور المدينة و هو يقول أبياتا مطلعها :

/ إلى الله أشكو كربـــة أن تفرّجا ، وهمّا دخيلا لا أرى منه مخرجا ٨٧/ الف

إلى آخرها . قال : فلما سمع المهلب شعره التفت إلى رجل من أصحابه فقال : اسأله ممن هو ؟ فناداه ذلك الرجل : أيها المتكلم ممن تكون ؟ فقال : أنا رجل من الأزد من أهل الكوفة ، و أنا ابن عم سراقة البارقى ، و أيم الله أنى لخائف أن أبتلى الفتنة .

قال : فلما أصبح المهلب عبى أصحابه للحرب ، دنا من باب جيرفت ، و بلغ ذلك عبد ربه رئيس الأزارقة فقام فيهم خطيبا ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : يا معشر المهاجرين ! إن قطرى بن الفجاءة عبيدة بن هلال و عمرو القنا و شيعتهم إنما هربوا رجاء البقاء ، و ليس إلى البقاء من سبيل و قد زحف[1] إليكم القوم ، و هؤلاء قوم بحدهم و حديثهم ، فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبوكم على الموت ، فانظروا أن لايبقى[2] الرماح إلا بالنحور و السيوف إلا بالوجوه ، و تعجلوا إلى قبل أحداث هذه الدنيا ، و هبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة ، و لاتيئسوا من النصر ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله و الله مع الصابرين .

قال : فخرجت الأزارقة مستميتين[3] و قد عزموا على الموت . و دنا[4]

---

(١) فى الأصل : زحفوا .

(٢) فى الأصل : لا يبقوا .

(٣) فى الأصل : مستميتون .

(٤) فى الأصل : دنوا .

Marfat.com

القوم بعضهم من بعض . ثم أقبل رجل من الأزارقة حتى وقف بين الجمعين ، قال : و جعل يرتجز و يقول :

إن كان قد فارقتنا عبيده و قطرى ذو المدى البعيده
فعبد رب حمزه عنيده و شوكه وكيده شديده

قال : ثم حمل على أصحاب المهلب فكبا به فرسه فسقط إلى الأرض . فأخذ أسيرا و أتى[1] به إلى المهلب حتى وقف بين يديه ؛ فقال المهلب : اضربوا عنقه ! فقال : أيها الأمير ! أنا ابن عم لك ، أنا رجل من الأزد من بارق ، و أنا صاحب الشعر البارحة . قال : فخلى عنه المهلب و لم يقتله . و اختلط[2] القوم فاقتتلوا قتالا شديدا ، و صاح عبد ربه بأصحابه : يا معشر المهاجرين ! روحوا إلى الله فان القوم رائحون إلى النار . قال : فعندها كلبت الأزارقة و اشتد القتال ، و نزل / عبد ربه عن فرسه فكسر جفن[3] سيفه ، و نزلت معه الأزارقة و كسروا جفون[4] سيوفهم ، و عزموا على الموت . و نادى المهلب بأصحابه : يا معشر المسلمين ! إن هذا يوم له ما بعده من الأيام و بصبركم أمس بلغتم اليوم ، و بصبركم اليوم تبلغون غدا . قال : و كثرت القتلى فى الأزارقة و عضهم السلاح وكأنهم كاعوا عن الحرب ، و نظر المهلب إلى ذلك ، فجمع أولاده و أبطال أصحابه ، ثم حمل

٨٧/ب

(١) فى الأصل : اوتى .
(٢) فى الأصل : و اختلطوا .
(٣) فى الأصل : حقن .
(٤) فى الأصل : حقون .

Marfat.com

و حملوا معه ، فقُتل عبد ربه و قتل معه قريب من أربعة آلاف رجل فى ربضة واحدة ، و سالت دماؤهم إلى وادى جيرفت حتى احمر ماء الوادى ، و بقى الباقون بلا نظام فولوا هاربين ؛ فمنهم من دخل إلى مدينة جيرفت ، و منهم من استأمن إلى المهلب فأمنه ، و منهم من هرب على وجهه فى البلاد . و دخل المهلب إلى مدينة جيرفت فاحتوى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة و دوابهم و سلاحهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى[1] يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

ألم يأتهـا أن الأزارق شردوا . و صارت عليهم فى البلاد الفضائح

إلى آخرها .

قال : ثم جمع المهلب غنائم الأزارقة فجعل يقسمها فى أصحابه على أقدارهم و مراتبهم . ثم أقبل حتى نزل فى أصل شجرة فى موضع سوق جيرفت و قال : يا غلام ! خذ عنى سلاحى ، قال : فنزع الغلام درعه و خفيه ، و علق سيفه على الشجرة ، ثم مدّ رجليه و قال : الحمد لله الذى ردنا إلى ما كنّا عليه من الخفض و الدّعة ، فانه ما كان عيشنا بعيش ؛ فأنشأ رجل من أصحابه[2] و هو يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

لقد مس مثنا عبدَ رب و جنده عقاب فأمسى سيبهم فى المقاسم

إلى آخرها[3] . قال : ثم رفع رأسه فاذا بقوم بين يديه لا يعرفهم ، فعلم

---

(١) فى الأصل : الأشعرى.

(٢) هو الطفيل بن عامر بن واثلة ـ انظر الطبرى ٧/٢٧٣ و ابن الأثير ٤/٢١٤ .

(٣) الأبيات فى الطبرى و ابن الأثير :

سمـا لهم بـالجيش حـتى أزاحهـم بكرْمان عن مثوى من الأرض ناعم =

Marfat.com

أنهم من الأزارقة فاتقاهم على نفسه أن يفتكوا به ، فتبسم ثم قال : ما أشد عادة السلاح ، يا غلام ! رد علىّ درعى و هات خفى ، قال : فأتى[1] بدرعه فأفرغ عليه ، و مدّ خفيه فى رجليه ، و تقلد بسيفه ، ثم قال : إنى أرى وجوها ما أعرفها ، ثم قال لأصحابه : خذوهم ! فأخذوهم ، فقال لهم المهلب : ما أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم من الأزارقة ، غير أننا عجزنا عن قتالك فاجتمعنا على قتلك فى وقتنا هذا . قال : فضحك المهلب ثم قال : أجل ما أردتم ما لم يرده[2] الله ، فاختاروا الآن واحدة من اثنتين : القتل أم التوبة ؟ فقالوا : بل التوبة ! فأوهبهم المهلب لقوم من عشائرهم[3] ؛ فأنشأ رجل منهم يقول أبياتا مطلعها :

٨٨/ الف

٥

خلونا و قلنا للمهلب غرّة فأعجلنا لما رآنا المهلب

١٠

إلى آخرها .

قال : ثم دفع المهلب كل جريح من الأزارقة إلى عشيرته فقال داووه فاخلطوه بأنفسكم ، و من رابكم أمره[4] فاعرضوه على السيف .

= و ما قطرى الكفر إلا نعامة طريد يدوّى ليله غير نائم
إذا فرّ منا هاربا كان وجهه طريقا سوى قصد الهدى و المعالم
فليس بمنجيه الفرار و إن جرت به الفلك فى لج من البحر دائم

(١) فى الأصل : فاوتى .
(٢) فى الأصل : لم يريده .
(٣) فى الكامل للمبرد ص ٦٩٤ : فأمر بهم فقتلوا .
(٤) فى الأصل : امره .

قال

قال : ثم جمع المهلب الأموال فسرحها مع غلمانه إلى البصرة و أقام بحيرفت حتى أعطى حقوقهم ، ثم قام فى الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال : أيها الناس ! أما ما مضى من جباية الأموال فقد كان لى دونكم من حقوقكم على الولاة ، و أما ما بقى الآن فهو لكم دونى ، و ليس أحد منكم أبتلى بلاء حسنا إلا و ما ادخر الله له فى الآخرة خير له من ثواب هذه الدنيا ، فاياكم و الحرص ! فان الحرص يضر بالرزق ، و إياكم أن تمنوا على ربكم بالذى كان من جهادكم ! فان المن يحبط الأجر - و السلام.

ذكر كتاب المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج بعد فراغه من الأزارقة

قال : ثم دعا المهلب برجل يقال له بشر بن مالك الحرسى فأرسله إلى الحجاج بالفتح بشيرا[1] ؛ و كتب معه كتابا : إلى الحجاج بن يوسف من المهلب بن أبى صفرة ، أما بعد ، فالحمد لله الكافى بالإسلام الذى أوصل الشكر بالمزيد ، و قضى أن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده ، ثم إنه قد كان من أمرنا و أمر عدونا ما انتهى إلى الأمير خبره مع كل ذى صباح و مساء ، و قد كانت منى إلى الأزارقة مطاولة ظن الأمير أيده الله أنى جبيت بهم البلاد ، و لعمرى أن الذى جبته

(١) كذا فى الأخبار الطوال ص ٢٧٩ و مروج الذهب ٢ / ١٤٨ إلا أن فيه « الحرشى » ؛ و فى جمهرة الخطب ٢ / ٣٨٦ : مالك بن بشير ؛ و فى الكامل للمبرد ص ٦٩٤ : « وجه المهلب كعب بن معدان و ميرة بن قليد الأزدى من أزد شنوءة على الحجاج » انظر جمهرة الخطب أيضا .

Marfat.com

الأزارقة بنا لأكبر مما جبيناه بهم! و إن كنا قد نلناه منهم ما لم ينالوه
٨/أ ب منّا، / و قد كان[1] الناس قد رعبوا منهم[2] رعبا شديدا، حتى روعت بهم الفتاة الكعاب، و نوّم بهم الصبي الرضيع، [3]و أدنيت السواد[3] من السواد حتى تعارفت[4] الوجوه، و حتى رغب[5] الناس من النبل إلى الرماح، و عن الرماح إلى السيوف؛ و انتهزتُ من الناس الفرص و أخذت منهم الثياب، و كنت كالطبيب للريض الذى يحميه مما يشتهيه و يسقيه مما يكره، و قد وليتُ قتالهم رجالا[6] من قبلى، فأخطأوا الورد و اظمأوا الصدر، فعارهم قلائد فى أعناقهم إلى يوم القيامة. فلم نزل[7] و عدونا على حالتين مختلفتين ما يسوءهم منا دون ما يسرهم، و ما يسرهم منا دون ما يسوءنا منهم، حتى وقع فيهم الاختلاف و الجوع، فلم يزل بهم ذلك و أصابهم البلاء، و هرب منهم أهل الخنى و السفاهة، و[8]أقام أهل الحياء و الدين فاتقوا العار و تواصوا بالصبر، و أخذنا ما أخذوا به، و كنا أولى به منهم،

(١) فى الأصل: كانوا.
(٢) فى الأصل: منه.
(٣-٣) فى الأصل: واديبت سوادا ـ كذا. و التصحيح من الكامل للمبرد ص ٦٩٥.
(٤) من الكامل للمبرد، و فى الأصل: تفارقت.
(٥) فى الأصل: رغبوا.
(٦) فى الأصل: رجال.
(٧) فى الأصل: فلم يزل، والتصحيح من الكامل للمبرد.
(٨) فى الأصل: اقاموا.

Marfat.com

فلم يزل الله تبارك تعالى يمحصنا و يمحقهم، و ينصرنا و يخذلهم، حتى بلغ بنا و بهم الكتاب أجله " فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العلمين[1] "، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته . قال : ثم طوى الكتاب و دفعه إلى بشر بن مالك بن لبيد الحرسى و قال : اعلم بأنك ترد على الحجاج من قد علمت ، فاذا وقفت بين يديه فانظر كيف تكون . فقال: ٥ كفيت أصلح الله الأمير .

ذكر الرسول و كلامه بين يدى الحجاج

قال: ثم رحل بشر بن مالك حتى قدم على الحجاج ، فوقف بين يديه و سلم ثم ناوله الكتاب ، فلما قرأه الحجاج بن يوسف رفع رأسه إليه فقال : كيف المهلب ؟ فقال : بخير أصلح الله الأمير ! قد نال ما ١٠ رجا ، و أمن ما خاف ؛ فقال الحجاج : الحمد لله ، فكيف كان أمركم من عدوكم ؟ قال : كنا إذا لقيناهم بحدنا و حدهم أيسوا منا و طمعنا فيهم ؛ قال الحجاج : أجل ، إن العاقبة للمتقين ، فكيف كان[2] بنو المهلب فى الحرب ؟ فقال : كانوا كفاة السرح بالليل ، و ليوث الوغى بالنهار ؛ قال الحجاج : فأين المهلب من بنيه ؟ قال : فضله عليهم كفضلهم / على غيرهم ، قال : ١٥ ٨٩/ الف أجل ، لأنهم خلقوا منه و لم يخلق منهم ، قال : فكيف فاتكم قطرى بن الفجاءة ؟ قال : كادنا بعض ما كدناه به[3] . قال الحجاج : صدقت ، فأى

---

(١) سورة ٦ آية ٤٥ .

(٢) فى الأصل : كانوا .

(٣) فى الكامل للمبرد ص ٦٩٥ : « كدناه ببعض ما كادنا به ، فصرنا منه إلى الذى نحب » .

Marfat.com

بنى المهلب أفضل ؟ قال : ذلك إلى المهلب[1] . قال الحجاج : فكيف الجند؟ قال : أرضاهم الحق و أغناهم النفل ؛ قال الحجاج : فكيف رضاهم بالمهلب؟ فقال : لهم منه إشفاق الوالد ، [2]و له منهم بر الولد[2] ؛ فقال الحجاج : أخبرنى أكنت هيأت هذا الكلام الذى أسمعه منك؟ فقال : كلا أيها الأمير ! إنه لا يعلم الغيب إلا الله ! قال : فتبسم الحجاج ثم التفت إلى كاتبه عنبسة ابن سعيد فقال : هذا و الله [3]لكلام الحوّلى[3] لا ما تجىء به أنت و أصحابك . قال : ثم أقبل عليه الحجاج فقال : هل تقول الشعر ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير و أنا القائل :

قد حسمنا داء الأزارقة الدهـــر [4]فأمسوا كعادها و[4] ثمود

[5]و أصبنا مع المهلب ما كا ن نمنى من رأيـــه المحمود

---

(١) فى ابن الأثير ٤/٢١٤ : « و سير المهلب إلى الحجاج مبشرا ، فلما دخل عليه أخبره عن الجيش و عن الخوارج و ذكر حروبهم ، و أخبره عن بنى المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، و كفى بيزيد فارسا شجاعا ، وجوادهم و سخيهم قبيصة ، و لا يستحى الشجاع أن يفر من مدرك ، و عبد الملك سم ناقع ، وحبيب موت زعاف ، و محمد ليث غاب ، و كفاك بالمفضل نجدة . قال : فأيهم كان أنجد؟ قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها . فاستحسن قوله » . انظر الكامل للبرد ص ٦٩٤ أيضا .

(٢-٢) فى الأصل : لهم منه بر الوالد .

(٣-٣) فى الأصل : الكلام المخولى - كذا .

(٤-٤) فى الأخبار الطوال ص ٢٧٩ : فأضحوا طرا كآل .

(٥) ليس البيتان الآتيان فى الأخبار الطوال .

Marfat.com

لم يضر ذاك بالوعيد و لا الكذ ب و لم يضرر المدو وعيد
[1]لكن الضرب فى المجاجة باليض وطعن[1] بشيب رأس الوليد
كل يوم يثور فى عالى النقع أسود مخلوقة لأسود[2]
كلما [3]شئت راعنى[3] قطرى فوق عبل الشوى أقبّ عنود
مز بدا يضرب الكتيبة بالسيف وعمرو القنا على الصيخود[4]
[6]و أخوه[6] عبيدة بن هلال كالهمام المتوج الصنديد
فاذا ما لقيتهم برد الخلد على منيتى و أى برود
ثم لاينثنى الخدود و لما بل سيفى من ضربة الأخدود
إن بشرا و معبدا و مرادا و وكيعا والصعب كانوا شهودى
ثم لا أنطق الحديد بحرف من فعالى ليس الفعال بمودى
أو يقول الأناس[7] أحسن و الله لبشر[8] بن مالك بن لبيد[9]

(١-١) فى الأخبار الطوال : بطعان الكماة فى ثغر القوم و ضرب .
(٢) ليس البيت فى الأخبار الطوال .
(٣-٣) من الأخبار الطوال ، و فى الأصل : سبب داعى ـ كذا .
(٤) البيت فى الأخبار الطوال :

معلما يضرب الكتيبة بالسيف وعمرو كالنار ذات الوقود

(٥) الأبيات الآتية ليست فى الأخبار الطوال .
(٦) فى الأصل : أخو .
(٧) فى الأصل : الناس .
(٨) فى الأصل : بشير .
(٩) فى الأصل : سليد ـ كذا ؛ و قد سبق أن اسم جد البشر لبيد ـ انظر ص ٧٣ .

Marfat.com

نلت هذا مـــع المهلب إنى واثق ما شكـــرته بمزيـــد
كلنـا عنـده كبعض بنيـــه فى سؤال لنـا عن المفـقود
/ يداوى جـريحنـا بيـديه ثم يكفى وليمـــة المولود ٨٩/ب
كل خير يقوله الناس فيـــه من بـلاء و نائـل محمـود
يجد الناس مثل من فقـدوه غير ذا الشيخ ليس بالموجود

قال : فلما فرغ بشر بن مالك هذا من نشيده أمر له الحجاج بعشرة آلاف درهم و فرس و درع و غلام و جارية ، ثم كتب إلى المهلب .

ذكر كتاب الحجاج إلى المهلب

أما بعد ، فان الله تبارك و تعالى قد صنع لك و صنع بك خيرا . و قد كانت منى إليـــك ظهيرة ، و دعانى إليها لجاج الحرب و تعجيل الفراغ ، و أنت كنت أعلم بما يليك منى ، و قد تيقنت من رأى البركة بحمد الله و منه ، و قد فرغ الله بك من عدوك ، و علت يداك على ما كنت عليه ، فأما قطرى بن الفجاءة و عبيدة بن هلال و عمر و القنا و فلهم فنحن نكفيهم إن شاء الله . فانظر إن كان فى القوم بقية تخافها على البلاد فأوقف لها خيلا تكون بازائها ، و استخلف على [1]القوم أجرأ[1] ولدك و أمضاهم عزيمة ، و اقدم إلى على بركة الله و عونه ، و ليكن معك بنوك و فرسانك ، و لا تأذن لأحد منهم بالانصراف حتى تقدم بهم على إن شا الله - و السلام[2] .

(١-١) فى الأصل : اجراه احدى - كذا .
(٢) فى ابن الأثير ٤/٢١٤ : « كتب إلى المهلب يشكره و يأمره ان يولى كرمان من يثق إليه و يجعل فيها من يحميها و يقدم إليه » .

قال

قال : فلما ورد كتاب الحجاج على المهلب دعا بابنه يزيد فاستخلفه على بلاد كرمان ، و قال : يا بنى ! اعلم قد كان بالأمس لك ، اليوم لغيرك ، و ليس بسط يديك فيما تملك كبسطهما فيما لا تملك ، و اعلم يا بنى أنه إنما لك من بلاد كرمان ما فضل عن الحجاج . و أنك لن تحتمل إلا ما يحتمل أبوك ، و قد رأيتنى يا بنى فى أيام مصعب بن الزبير و أنا لا أطالب بدرهم واحد فما سواه فكن يا بنى كذلك ، و اعلم أن بلاد كرمان ليست لك و لا لأبيك بميراث ، و انظر من تخلف معك من قومك فأحسن إليهم بقدر حاجتك إليهم ، [1]و إن رابك[1] أمر من الأمور فرده إلىّ - و السلام .

قال : ثم تجهز المهلب و سار حتى قدم على الحجاج فى بنيه و فرسان أصحابه و شجعانهم ، فلما دخل و سلم رد الحجاج عليه السلام / ثم قربه ١٠ ٩٠/الف و أدناه و أجلسه معه على فراشه ، فقال المهلب : أيها الأمير ! أحمد الله على هلاك هذا العدوّ حمد من يعلم أن النعمة منه و أن الحمد له [2] ، و أشكره شكر الموجب لك به المزيد ، و يهيئك به النعم ، فلسنا نمن على الله عز و جل و لا على الناس خيرا كان منا ، بل لله المن علينا - و السلام . قال الحجاج : أحسنت أبا سعيد ! أتيت بكلام قليل فى إيجاز ، ١٥ و قد قضيت ما عليك و بقى ما علينا ، و لكنى أحب أن تعرض علىّ فرسانك الذين كانوا يبلون بين يديك . قال : فجعل المهلب يعرض على الحجاج فارسا بعد فارس و يسميه له باسمه و يخبر بنجدته و شجاعته ،

(١-١) فى الأصل : و من راى بك .

(٢) فى الأصل : عليه .

حتى عرض عليه ستمائة و عشرون رجلا كل رجل منهم يعدّ بألف رجل . قال : فأمر الحجاج لكل واحد من هؤلاء الأبطال بجائزة سنية و أمر لسائر الجند بألف ألف درهم . ثم عقد للمهلب عقدا و ولّاه بلاد خراسان و عزل عنها أمية بن عبد الله .

٥ ذكر ولاية خراسان للمهلب بعد فراغه من حرب الأزارقة

قال : فسار المهلب حتى دخل أرض خراسان فى عسكر لجب و نزل مدينة مرو ، ثم جعل يغزو الكفار غزوا متداركا لا يفتر من الجهاد ، فخيل له بسمرقند ، و أخرى ببخارا ، و أخرى ببلخ ، و أخرى بطخارستان[1] ، و أخرى ببست[2] ؛ و كلما فتح فتحا أخرج من ذلك الخمس فوجه به إلى الحجاج و قسم باقى الفىء فى أصحابه . قال : و فرح[3] أهل خراسان بولاية المهلب بن أبى صفرة عليهم فرحا شديدا .

---

(١) فى الأصل : بحارستان - كذا ؛ و التصحيح من معجم البلدان ٦ / ٣١ ، و فيه «هى ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهى من نواحى خراسان ، وهى طخارستان العليا و السفلى ، فالعليا شرقى بلخ و غربى نهر جيحون و بينها و بين بلخ ثمانية و عشرون فرسخا . و أما السفلى فهى أيضا غربى جيحون إلا أنها أبعد من بلخ و أضرب فى الشرق من العليا» .

(٢) فى معجم البلدان ٢ / ١٧٠ : «بست مدينة بين سجستان و غزنين و هراة ، و أظنها من أعمال كابل ، فان قياس ما نجده من أخبارها فى الأخبار والفتوح كذا يقتضى» ؛ و فى الأصل «بشت» - كذا .

(٣) فى الأصل : فرحوا .

Marfat.com

ذكر مسير سفيان بن الأبرد الكلبي لما بعث به الحجاج إلى حرب من انفلت من الأزارقة

قال: و دعا الحجاج برجل يقال له سفيان بن الأبرد الكلبي فضم إليه جيشا عظيما من أهل الشام و أهل العراق، و أمره أن يطلب قطرى ابن الفجاءة و أصحابه حيث كانوا من بلاد الله. قال: فسار سفيان بن الأبرد من العراق حتى قدم مدينة الرىّ فنزلها، و قطرى بن الفجاءة يومئذ بطبرستان / قد تغلب عليها فأخذها و جعل يجبى خراجها. قال: فسار إليه سفيان بن الأبرد فى جيشه ذلك، فبلغ ذلك قطرى بن الفجاءة فجمع إليه أصحابه من الأزارقة و من التأم إليه من أهل البلد، و دنا[1] القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالا شديدا. قال: و كان تحت قطرى ابن الفجاءة برذون له أشهب، فكبا به البرذون فسقط قطرى و سقط عليه البرذون، فكسر فخذه و أحاطت به الخيل من كل جانب، فقال لهم قطرى بن الفجاءة: يا فساق! يا فجار! هلموا فهذه إربتكم التى كنتم تطلبون! قال: فبرز إليه رجل يقال له باذام[2] مولى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فضربه ضربة اتقاها قطرى بيده، فنكى السيف فى قطرى فرمى بها، ثم ضربه أخرى فسقط قطرى على قفاه، فتقدم إليه باذام

٩٠ / ب

(١) فى الأصل: دنوا.

(٢) فى الطبرى ٧ / ٢٧٥: بادام؛ و فى ابن الأثير: باذان.

Marfat.com

فقتله واحتز رأسه .

قال : و عطفت الخيل على أصحابه و فيهم عمرو القنا و صالح بن مخراق و فرسان من الأزارقة ، فلم يزالوا يقتتلون حتى قتلت الأزارقة بأجمعها فى معرك واحد ، فما انفلت منهم إلا رجل واحد يقال له قيس ابن الأصم الضبي و هو الذى يقول أبياتا مطلعها :

صلى الإله على قوم شهدتهم كانوا إذا ذكروا و ذكّروا شهقوا

إلى آخرها .

قال : ثم أمر سفيان بن الأبرد برأس قطرى بن الفجاءة و رأس عمرو القنا و صالح بن مخراق و رؤس القوم بأجمعهم ، فجمعت و علقت فى أعناقهم و آذانهم[٢] الرقاع . بعث بها إلى الحجاج و كتب إليه بخبره مع القوم .

قال : ثم سار سفيان بن الأبرد فى أصحابه حتى صار إلى قومس[٣] ، و نزل على ذلك الحصن الذى فيه عبيدة بن هلال ، فأنشأ عبيدة بن

(١) فى قاتل قطرى اختلاف لأن جماعة جاءت إلى قطرى ، منهم سورة بن أبجر التميمى و جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف و الصباح بن محمد بن الأشعث وبادام مولى بنى الأشعث (و فى ابن الأثير : باذان مولاهم) وعمر بن أبى الصلت ابن كنان مولى بنى نصر بن معاوية وهو من الدهاقين و قتلوه ، فكل هؤلاء ادعوا قتله ـ انظر الطبرى و ابن الأثير .

(٢) فى الإصل : الآذان .

(٣) فى الأصل : قومص .

Marfat.com

هلال يقول :

ذكرت الصغير و أشياعه فيا لك همّا إلينا سرى
فيا ليتنى قبل هذا الحصار ثويت بجيرفت فيمن ثوى
و نحن من الخيل ذو منعة أجش هزيما[1] إذا ما جرى

/ قال : فلما طال الحصار على عبيدة بن هلال و أصحابه بقومس[2] ركب • ٩١/ الف
سفيان بن الأبرد الكلبى ذات يوم و دنا من الحصن فى نفر من أصحابه ، ثم قال : يا معشر الأزارقة ! حتى متى و إلى متى هذا الحصار ؟ و أنتم قوم عرب تكرهون العار ، اعلموا أنه لا أمان لأحد منكم عندى إلا من جاء برأس عبيدة بن هلال و أخيه و ابن عمه ، قال : فكاد[3] القوم يثبوا بعضهم على بعض لما فيهم من الجوع و الجهد . قال : و أقبل عبيدة بن هلال حتى أشرف من الحصن على سفيان بن الأبرد و أصحابه ، فقال : يا أهل الشام ! يا عَبيد من غلب ! يا بقية الأحزاب ! اجتمعوا إلىّ ! فدنا[4] الناس من الحصن ، فقال : أيما أحب إليكم : أقرأ القرآن أم أنشدكم الشعر ؟ فقالوا : أما القرآن فقد حفظناه يا عبيدة بن هلال و لكن أنشدنا شيئا من شعرك . فقال عبيدة : يا فسقة يا فجرة يا كفرة ! أتختارون الشعر على القرآن ، يا عبيد عبد الملك بن مروان و الحجاج دهمان ! قال : ثم أنشأ يقول :

---

(١) فى الأصل : هزيم .
(٢) فى الأصل : بقومص .
(٣) فى الأصل : فكادوا .
(٤) فى الأصل : فدنوا .

Marfat.com

إلى الله أشكو[١] ما أرى[٢] بجيادنا تساوك[٣] هزلى مُخّهن[٤] قليلُ
فان يك أفناها الحصار[٥] فربما تشحط يوما[٦] بينهن قتيل
قتيل عزيز فى العشيرة فقده يودون لو يشرونه ببديل[٧]
[٨]تعاورها القذاف[٨] من كل جانب بقومس[٩] حتى صعبهن ذليل[١٠]
و قد كن مما أن[١١] [١٢]برين بغبطة[١٢] لهن بأبواب القباب[١٣] صهيل
[١٤]فيا نفس صبرا [١٥]كل ماحمّ[١٥] واقع و ليس إلى ما تعلمين سبيل

(١) فى المؤتلف و المختلف للآمدى ص ١٥٤ : نشكو.
(٢) فى الطبرى ٧/٢٧٥ وابن الأثير ٤/ ٢١٥ : ترى. وفى المؤتلف و المختلف : نرى.
(٣) فى المؤتلف و المختلف : «التساوك : مشى فيه إبطاء و رداءة من الهزال و الضر».
(٤) من الطبرى و ابن الأثير و المؤتلف والمختلف ، و فى الأصل : بزلهن ،
(٥) فى المؤتلف و المختلف : الحضار.
(٦) فى المراجع : فيما .
(٧) ليس البيت فى الطبرى وابن الأثير و المؤتلف و المختلف .
(٨-٨) من الطبرى و ابن الأثير ، و فى الأصل : فغادرها العدا . و ليس البيت فى المؤتلف و المختلف .
(٩) فى الأصل : بقومص .
(١٠) فى الطبرى و ابن الأثير: ذلول .
(١١) فى المؤتلف و المختلف : قد .
(١٢-١٢) كذا فى المؤتلف والمختلف، و فى الطبرى وابن الأثير: يقدن على الوجى.
(١٣) من المراجع المذكورة . و فى الأصل : القتال .
(١٤) ليس البيتان الآتيان فى الطبرى و ابن الأثير و المؤتلف و المختلف .
(١٥-١٥) فى الأصل : بجماجم .

و قوى

وقوى إلى دروازق[1] الحصن فانظرى إلى خندق فيه الحصار طويل
لعمرى لئن أعطيتُ سفيان بيعتى و[2]خالفت ربى[2] إننى لجهول

قال: ثم أمر عبيدة بن هلال بباب الحصن ففتح، ثم خرج فى أصحابه إلى سفيان بن الأبرد و أصحابه، فاقتتلوا قتالا شديدا على باب الحصن ساعة، ثم نزل عبيدة بن هلال عن فرسه فعرقبه و كسر جفن سيفه و ترك أصحابه ففعلوا كذلك، فلم يزل[3] يقاتلون / قتال قوم قد أيسوا من الحياة ٩١/ب
حتى قتل عبيدة بن هلال و أصحابه كلهم فى معركة واحدة، فأنشأ بعض الخوارج[4] يقول أبياتا مطلعها:

ذكرت الشراة الصادقين[5] و قد فنوا و ذكّرنى أهل القسران السذوّر[6] /
إلى آخرها[7]. قال: ثم أمر سفيان بن الأبرد برأس عبيدة بن هلال

---

(١) أصله دروازه، يراد به باب المدينة ـ انظر معجم البلدان ٤ / ٥٥ .
(٢-٢) فى الطبرى وابن الأثير: فارقت دينى. وليس البيت فى المؤتلف والمختلف.
(٣) فى الأصل: فلم يزالوا .
(٤) هو قيس بن الأصم كما فى معجم البلدان ٥ / ٥٦ .
(٥) فى المعجم ٥ / ٥٧: الصالحين .
(٦) سذور موضع بقومس التجأ إليه الخوارج وأميرهم عبيدة بن هلال بعد مهلك قطرى بن الفجاءة بطبرستان ـ المعجم ٥ / ٥٦ .
(٧) الأبيات فى المعجم .

بقومس فارفضّت من العين عبرة يجود بها ريعانها المتحدّر
فقلت لأصحابى قفوا حين أشرفوا قليلا لكى نبكى وقوفا و ننظر
إلى بلد الشارين اضمحت عظامهم تضمنها من أرض قومس أقفر

Marfat.com

و رؤس أصحابه، فجمعت و وجهت إلى الحجاج، و وجه بها الحجاج إلى عبد الملك بن مروان .

قال : و كان حرب الأزارقة من أول أمرهم و خروجهم إلى أن أبادهم الله تبارك و تعالى، و فرغ من حربهم[1] ثمان عشرة سنة - و الله أعلم .

ذكر خروج شبيب بن يزيد و ما كان من أمره وخروجه على الحجاج

قال : فلما كان بعد ذلك بمدة قليلة خرج رجل من بنى شيبان[2] يقال له[3] شبيب بن يزيد حتى صار إلى دمشق وكان يرى رأى الشراة، فنزل على رجل من أشراف دمشق يقال له روح بن زنباع الجذامى؛ فقال روح : ممن الرجل ؟ قال : رجل من بنى شيبان ثم أحد بنى مرة، و لى شرف و قدر و طاعة فى قومى، و قد فزعت إليك، فان رأيت أن تكلم لى أمير المؤمنين أن يفرض لى فرضا و أكون فى ناحية فعلت منعما ! قال روح : أفعل ذلك وكرامة لك . ثم أقبل روح حتى دخل على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ! عندى رجل من بنى شيبان و له شرف و قدر فى قومه، فان رأى أمير المؤمنين أن يلحقه بقومه و بغيره من أهل الشرف فعل منعما . فقال عبد الملك بن مروان : يا أبا زرعة ! إنى لأكره أن أفرض لأحد من أهل .....[4] بالشام فرضا

---

(١) فى الأصل : حروبهم .

(٢) فى الأصل : سفيان ، و التصحيح من جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٧ .

(٣) زيد فى الأصل : يزيد بن - خطأ . (٤) موضع النقاط بياض فى الأصل .

Marfat.com

لأن رأيهم رأى الخوارج ، ولكن هل سألت هذا الرجل عن نسبه؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين - يذكر أن نسبه كذا وكذا ، فقال عبد الملك ابن مروان : ما أعرف هذا النسب . قال : فرجع روح بن زنباع إلى شبيب فقال : إنى قد ذكرت لأمير المؤمنين و ذكرت / له نسبك ، فذكر أنه ٩٢ / الف لا يعرفك ؛ فقال شبيب : أرجو أن يخرقنى بعد هذا اليوم إن شاء الله ! ٥

قال : ثم خرج شبيب حتى قفل العراق ، وكان له منزل بالكوفة ، فأرسل إلى امرأته و أمه فانتخبهما[1] إليه ، و جعل يبعث إلى قبائل العرب فيدعوهم إليه و يوعدهم الغارة ، فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه جيش لجب .

قال : و بلغ ذلك الحجاج فوجه إليه برجل من أهل الشام يقال له عبيدة بن مخراق القينى فى ألف فارس فهزمه شبيب و قتل عامة رجاله ؛ ١٠ ثم وجّه إليه برجل يقال له يزيد بن هبيرة المحاربى فى ألفى فارس فهزمه شبيب و قتل عامة أصحابه ؛ ثم وجه اليه[2] بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى فهزمه شبيب و أتى على أصحابه ؛ ثم وجه إليه بزحر بن قيس الجعفى فهزمه هزيمة قبيحة و قتل من أصحابه جماعة ؛ و انفلت زحر بن قيس و به ثمانون طعنة و ضربة واحدة و أنه ليحمل فى القطن ؛ ١٥ ثم وجه إليه بعتاب بن ورقاء التميمى فقتله شبيب و هزم أصحابه ؛ ثم وجه إليه بالطهمان مولى آل بنى معيط[3] فقتله شبيب ؛ فوجه إليه الحجاج بمولى

---

(١) فى الأصل : فانتخبهم .

(٢) زيد فى الأصل : بزحر بن قيس الجعفى و - لعله من سهو الناسخ ، و سيأتى بعد ؛ ثم وجه إليه بزحر بن قيس الجعفى » .

(٣) فى سمط النجوم العوالى ٣ / ١٠٥ : طهمان مولى الحجاج .

له يقال له أبو الورد فقتله شبيب ؛ ثم وجه إليه بزياد بن عمرو العتكى فهزمه شبيب وقتل عامة أصحابه ؛ ثم وجه إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله[1] فقتله شبيب ؛ ثم وجه إليه برجل يقال له الطرس[2] مولى بنى تميم فقتله شبيب ؛ كذلك أربع سنين كاملة يهزم عساكر الحجاج و يقتل رجاله.

قال : و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ثم كتب إلى الحجاج يأمره أن يخرج إليه بنفسه . قال : فعندها خرج الحجاج من الكوفة فى عسكر لجب حتى نزل بموضع يقال له السبخة[3]. و بلغ ذلك شبيبا فسار / إليه فى جيشه ذلك فلم يشعر الحجاج ٩٢/ب إلا و خيل شبيب[4] قد وافته و هم يقولون : لا حكم إلا لله و لو كره المشركون ! نحن المطالبون بدماء الأزارقة . قال : ثم وضعوا السيف فى أصحاب الحجاج ، فقتل منهم نيف عمن مائة رجل و انهزم الباقون مع الحجاج حتى دخل الكوفة : و رجع شبيب بأصحابه حتى نزل مدينة الأنبار.

و كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين الغوث الغوث ! فان شبيب بن يزيد قد هتك الحريم ، و أيتم الأولاد ، و أرمل الأزواج . قال : فوجه إليه عبد الملك بن مروان بألف رجل من أهل الشام . قال : و بلغ الخبر إلى شبيب بأن الحجاج قد وافته الجيوش من

---

(١) فى الأصل : عبد الله - و التصحيح من الطبرى ٧ / ٢٣٦ .

(٢) كذا فى الأصل ، وليس ذكر مولى بنى تميم فى الطبرى و ابن الأثير .

(٣) فى الأصل : سبخه - كذا بلا نقط - و التصحيح من الطبرى و ابن الأثير .

(٤) زيد فى الأصل : و .

Marfat.com

أهل الشام فى أربعة آلاف فارس، فأقبل على أصحابه فقال: ما الرأى عندكم الآن؟ فقالوا: الرأى رأيك يا أمير المؤمنين! قال: فانى رأيت أن أكبس[1] الكوفة الليلة لنا أم علينا؛ فقال[2] أصحابه: ها نحن معك، فافعل ما أحببت. قال: فاعلفوا إذًا خيلكم و حشّوها و اسقوها، ففعلوا ذلك. ثم ركب شبيب و ركب[3] معه أصحابه، و أقبل نحو الكوفة و معه أمه[4] يقال لها الجهيزة فى امرأة من نساء الخوارج و معه أيضا امرأته[5]. قال: و كانت غزالة من سبى أصفهان، فأقبلت غزالة و معها خمسون امرأة من نساء الخوارج. قال: فسار شبيب أيضا فى عسكره و معه مائتان وخمسون امرأة من نساء الخوارج، قد تقلدن بالسيوف و فى أيديهن الرماح؛ و قد ذكر ذلك أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى فى شعره حيث يقول أبياتا مطلعها:

أبى القاسطون من أهل العراق على الله فى الحرب إلّا قسوطا

إلى آخرها. قال: فكبس شبيب بن يزيد الكوفة ليلا و قد هدأت العيون فلم يكذب أن دخل المسجد الأعظم، فدعا بأمه و امرأته فأقعدهما[6] على المنبر، ثم وضع السيف فى أهل المسجد من المصلين و الحرس

(١) فى الأصل: البس - كذا.

(٢) فى الأصل: فقالوا.

(٣) فى الأصل: ركبوا.

(٤) فى الأصل: امرأة، و الصواب ما أثبتناه - انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٨ و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٧٤.

(٥) و اسم امرأته غزالة، و فى الأصل: أمه - خطأ.

(٦) فى الأصل: فاقعدهم.

Marfat.com

٩٣/الف فقتلوا بأجمعهم ، و هو يقول : يا عدو الله ! يا ابن أبي رغال ! / يا أخا ثمود ! اخرج إلينا . و الحجاج يقول لغلمانه : لا تكلموهم ، فلعل الله أن يكفينا أمرهم . قال : و قد ذكر ذلك رجل من الخوارج[1] حيث يقول :

لعمرى لقد نادى شبيب و صحبه ... على الباب لو أن الأمير يجيب[2]

فأبلغ أمير المؤمنين نصيحة[3] ... و ذو النصح لو يصغى[4] إليه قريب

أتذكر إذ دارت عليك رماحنا ... يمكّن ... و الكافى ثم غريب

فلا صلح ما دامت منابر أرضنا ... يقوم عليها من ثقيف خطيب

[6]فانك إن لم ترض[6] بكر بن[7] وائل ... يكن لك يوم بالعراق عصيب

فلا ضير إن كانت قريش عداتنا ... يصيبون منا مرة و نصيب[2]

[8]فان يك منكم[8] كان مروان و ابنه ... و عمرو و منكم[9] هاشم و حبيب

---

(١) هو عتبان بن أصيلة ـ و يقال وصيلة ـ الشيبانى ، كما فى معجم الشعراء ص ٢٦٦ ، و فى تاريخ الإسلام للذهبى ٣/١٦٠ : عتبان الحرورى ـ و ورد فيه البيتان فقط .

(٢) ليس البيت فى معجم الشعراء و تاريخ الإسلام .

(٣) فى معجم الشعراء : فبلّغ أمير المؤمنين رسالة . و ليس البيت فى تاريخ الإسلام .

(٤) فى معجم الشعراء : يرعى .

(٥) ليس البيتان الآتيان فى معجم الشعراء و تاريخ الإسلام .

(٦-٦) فى معجم الشعراء : بأنك إلا ترض .

(٧) فى الأصل : بنى ، و التصحيح من معجم الشعراء .

(٨-٨) من معجم الشعراء و تاريخ الإسلام ، و فى الأصل : و إن يك منهم .

(٩) فى الأصل : منهم ، و التصحيح من معجم الشعراء و تاريخ الإسلام .

Marfat.com

فنا سويـد[1] و البطين و قعنب و منـا أمـير المـؤمنين شبيب
و منا سنان الموت و ابن عويمـر و مرة فانظـر أين ذاك يغيب[2]

قال : فلم يزل كذلك حتى إذا طلع الفجر قال لبعض أصحابه : أذن و أقم ، فأذن و أقام ، و تقدم شبيب فصلى بأصحابه . فقرأ بهم فى الركعة الأولى بأم القرآن و البقرة و الثانية بأم القرآن و آل عمران ، حتى كادت الشمس أن تطلع ، ثم جلس فى المحراب يسبح ، و أقبلت الخيول من كل جانب حتى أحدقت بأبواب المسجد و هم يقولون : لا حكم إلا لله و لو كره المشركون .

قال : و أقبل الحجاج و معه أربعة آلاف رجل من أهل الشام ، فخرج إليهم شبيب و أصحابه ، و اضطرب[3] القوم فى وسط السوق اضطرابا شديدا حتى قتل من الفريقين جماعة ؛ فأنشأ عبد الرحمن بن عمرو الشيبانى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

يا ليتنى فى الخيل و هى تدومهـم فى السوق يوم اصطفن بالحجاج

إلى آخرها . قال : و اشتبكت الحرب بين الحجاج و شبيب ، و كثر القتلى بين الفريقين ؛ و حملت غزالة امرأة[4] شبيب فيمن معها من النساء و حمل[5]

---

(١) فى تاريخ الاسلام : حصين .

(٢) ليس البيت فى معجم الشعراء و تاريخ الإسلام إلا أن فى المعجم بدل هذا البيت :

فوارسنا من يلقهـم يلق حتفـه و من ينج منهم ينج و هو سليب

(٣) فى الأصل : اضطربوا .

(٤) فى الأصل : أم ـ خطأ .

(٥) فى الأصل : حملوا .

Marfat.com

٩٣/ب أصحاب شبيب معهن[1]، و انهزم[2] الناس من بين أيديهم / حتى صار الحجاج إلى باب قصره فأنشأ بعض الخوارج فى ذلك يقول:

صرعت غزالة قلبه بكتيبة تركت مسامعه كأمس الدابر[3]
[4]ليث الخوان[4] و فى الحروب[5] نعامة [6]فتخاه تنفر[6] من صفير الصافر
٥ هلا خرجت[7] إلى غزالة فى الوغى [8]إذ صار[8] قلبك فى جوانح[9] طائر
القى[10] السلاح و خذ وشاح معصفر و اعمد بمنزلة الجبان الكافر

(١) فى الأصل: معهم.

(٢) فى الأصل: انهزموا.

(٣) فى العقد الفريد ٥/٢٧٨:

صدعت غزالة جمعه بعساكر تركت كتائبه كأمس الدابر

و فى الأصل: «دابر» مكان «الدابر».

(٤-٤) فى العقد الفريد و تاريخ الإسلام ٣/١٦٠ وسمط النجوم العوالى ٣/١٥٧: أسد على.

(٥) من العقد الفريد و تاريخ الإسلام وسمط النجوم العوالى؛ و فى الأصل: النحور.

(٦-٦) فى الأصل: هو جا سفر - كذا، و التصحيح من سمط النجوم العوالى و تاريخ الإسلام؛ و فى العقد الفريد: ربواه تجفل.

(٧) فى العقد الفريد و تاريخ الإسلام وسمط النجوم العوالى: برزت.

(٨-٨) فى العقد الفريد و تاريخ الإسلام وسمط النجوم العوالى: بل كان.

(٩) فى العقد الفريد: مخالب، وفى تاريخ الإسلام وسمط النجوم العوالى: جناحى.

(١٠) فى الأصل: القى. وليس البيت فى المراجع المذكورة.

قال

Marfat.com

قال: فلم يزل شبيب و أصحابه يضارب فيهم ، و يطاعن من وقت الغداة إلى الليل ، و أجهد أصحابه و قتل منهم جماعة ، فانهزم شبيب و خرج من الكوفة ، و مضى هاربا على وجهه و قد قتل[1] أصحابه ، حتى صاروا إلى مدينة الأنبار فنزلها .

قال : و وجه الحجاج فى طلبه برجل من الكوفة يقال له حبيب[2] ابن عبد الرحمن الحكمى فى ثلاثة آلاف رجل ، و بلغ ذلك شبيبا فخرج إليه فيمن بقى من أصحابه ، فاقتتل[3] القوم يوما و ليلة قتالا شديدا ، ثم ولى شبيب[4] منهزما حتى صار إلى بادرايا[5] و باكُسايا[6] ثم صار من هنالك [إلى كرمان - [7]] فنزلها .

فوجه إليه الحجاج بسفيان بن الأبرد الكلبى ، فأقبل سفيان حتى نزل على شاطئ الدجيل[8] ، و أقبل شبيب نحوه ، فلما أقبل ليعبر الدجيل

---

(١) فى الأصل : قتلوا .

(٢) من ابن الأثير ٤ / ٢٠٨ و الطبرى ٧/ ٢٥٤ ، و فى الأصل : علقمة .

(٣) فى الأصل : فاقتتلوا .

(٤) فى الأصل : شبيبا .

(٥) طسوج بالنهروان و هى بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين و نواحى واسط - انظر معجم البلدان ٢ / ٢٨ .

(٦) بضم الكاف و بين الألفين ياء - بلدة قرب البندنيجين و بادرايا بين بغداد و واسط من الجانب الشرقى فى أقصى النهروان - المعجم ٢ / ٤٥ .

(٧) من ابن الأثير و الطبرى .

(٨) فى معجم البلدان ٤/٤٢ نهر بالأهواز حفره أرد شير بن بابك أحد ملوك

Marfat.com

إلى ما قبله أمر سفيان بن الأبرد بالغواصين بحسر الدجيل فقطع، و استدارت السفن فغرق شبيب مع فرسه و سلاحه. قال: فأمر سفيان ابن الأبرد بالغواصين فأخرجوه من الماء و احتزوا رأسه، و وجه به سفيان إلى الحجاج و قتل أمه جهيزة و امرأته غزالة[1] و قتل عامة أصحابه، فلم ينفلت منهم إلا القليل.

قال: و أسر سفيان بن الأبرد جماعة من أصحاب شبيب فوجه بهم إلى الحجاج، فلما وقفوا بين يديه رفع رأسه فنظر إلى شيخ منهم وسيم جسيم فقال له: يا شيخ! اخترت الدنيا على الآخرة؟ قال: كلا يا حجاج! و لكني اخترت الآخرة على الدنيا بخروجي عليك و على صاحبك الفاجر. فقال الحجاج: اضربوا عنقه، فقال الشيخ: الحمد لله و لا حكم إلا لله، الحمد لله على ما قضى و قدر، و لكني لا تعجل ياحجاج فقد قلت بيتين من الشعر أريد أن أختم بها عملي. فقال الحجاج: قل ما بدا لك، فأنشأ يقول:

أبرأ إلى الله من عمرو و شيعته ... و من عليّ و من أصحاب صفين
و من معاوية الغاوي و شيعته ... لا بارك الله في القوم الميامين

قال: ثم قدم فضرب عنقه.

ثم قدم إليه آخر، فقال له الحجاج: ما دينك أيها الرجل؟ فقال:

= الفرس، و مخرجه من أرض أصبهان و مصبه في بحر فارس قرب هبادان. و كانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج و فيه غرق شبيب الخارجي.

(١-١) في الأصل: أمه غزالة و امرأته الجهيزة - خطأ.

أنا على دين صاحب الفلك، قال الحجاج : و أنا على دين صاحب الفلك أيضا، فما تقول فى على و عثمان ؟ قال : كافران، فقدم ثم ضرب عنقه .

ثم قدم إليه آخر، فقال له الحجاج : ما دينك ؟ قال : أنا على دين صاحب الأحقاف، قال الحجاج : و أنا على دين صاحب الأحقاف، فما تقول فى على و عثمان ؟ قال : كافران جميعا ؛ فقدم فضربت عنقه . ٥

ثم قدم إليه رجل، فقال له الحجاج : ما دينك ؟ فقال : أنا على دين صاحب الحجر، قال : فما تقول فى على و عثمان ؟ قال : كافران ؛ قال : فقدم فضربت عنقه .

و قدم إليه ثلاثة نفر فى حبل و قد شدت أيديهم على أعناقهم، قال لهم الحجاج : ما دينكم ؟ فقال أحدهم : أنا على دين الذى وفى، ١٠ و قال الآخر : و أنا على دين صاحب الأيكة، و قال الثالث : و أنا على دين صاحب الألواح ؛ فقال الحجاج : و أنا على دين من ذكرتم، فقال : ما تقولون فى الختنين[1] على و عثمان والحواريين طلحة و الزبير و الحكمين عمرو بن العاص و أبى موسى الأشعرى ؟ فقالوا : نقول إنهم كفار و ليس الحكم إلا لله رب العلمين ؛ فقدموا فضربت أعناقهم صبرا . ١٥

ثم قدم إليه[2] رجلان يحجلان فى قيودهما حتى وقفا[2] بين يديه . فقال الحجاج لأحدهما[3] : ما دينك ؟ فقال : أنا على دين الإسلام الذى بعث الله به

---

(١) فى الأصل : الحمدين - كذا .

(٢-٢) فى الأصل : رجلين يحجلون فى قيودهم حتى وقفوا .

(٣) فى الأصل : لأحدهم .

Marfat.com

نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم ، فهدى به من الضلالة ، و أنقذ به من العمى و الضلالة و الجهالة ، و على دين صاحبه أبى بكر الصديق الذى ولى أمور الناس من هذه الأمة فكان محمودا ، و خرج من هذه الأمة مفقودا ، و على دين ٩/ ب
صاحبه عمر بن الخطاب الذى عاش فى الدنيا حميدا ، ثم قبضه الله إليه سعيدا
٥ و شهيدا . قال الحجاج : فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : ذاك رجل لا يلتقى باسمه الشفتان : قال : فما تقول فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ؟ قال : ذاك رجل آمن صغيرا و كفر كبيرا . قال : فما تقول فى معاوية بن أبى سفيان ؟ قال : و ما أقول فى رجل بين أطباق النيران ينادى : يا حنان يا منان ! و الرب عليه غضبان ! قال : فما تقول فى عبد الملك
١٠ ابن مروان ؟ قال : و ما الذى أقول فى ابن طريد رسول الله صلى الله عليه و سلم و لعينه ، لقد أخطأ خطيئة أطبق بها السماء على الأرض بتوليته إياك على رقاب المسلمين ، فويل له من ديان يوم الدين ! قال : دع عنك هذا ، قال : ما تقول فىّ أنا ؟ فقال : ما عرفتك إلا عادلا قاسطا ؛ فقال الحجاج : قاتلك الله من رجل كأنك أردت قول الله تبارك و تعالى
١٥ " الحمد لله الذى خلق السموت و الارض و جعل الظلمت و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون[1] "؟ فقال : هذا أردت يا حجاج ! قال : و كأنك أردت[2] قوله عز و جل : "و أما القسطون فكانوا لجهنم حطبا[3] "؟

---

(١) سورة ٦ آية ١ .

(٢) زيد فى الأصل : يا حجاج - خطأ .

(٣) سورة ٧٢ آية ١٥ .

قال

Marfat.com

قال: هـذا أردت يا حجاج! فقال الحجاج: أخروه، فأخروه فضربت عنقه صبرا.

ثم أقبل على الآخر فقال له: ما تقول فيما سألت عنه صاحبك؟ فأنشأ يقول:

أحجاج إنى و الذى أنا عبده عـــلى خيرٌ للعالمين محمد
و دين أبى بكر و صاحبه الذى مضى عادلا فى حكمه لا يفند
و لست امثمان بن عفان باغضا و لا قائلا فيه مقالة ملحد
و إن يك عثمان بن عفان ظالما فربك للعبد الظلوم بمرصد
و أما علي ذو المعالى فانـــه وصي نبي ذى سناء و سودد
و إن يك مظلوما فألله[1] ناصر فينصره من كل باغ و معتدى
و قد كان مولى المؤمنين و إننى مقر به فى كل ناد و مشهد
فذلك دينى لا أدين بغيره و لست كهذا الكافر المتلدد

قال: فأمر به الحجاج فأطلق من قيده، و كساه و أحسن إليه و ألحقه بعطـائه. ٩٥/ الف

قال: ثم قدمت إليه امرأة من نساء الخوارج و كانت من المتكلمات يقال لها أم علقمة، فقال لها الحجاج: يا عدوة الله! الحمد لله الذى قتل أباك و أخاك و زوجك، فقالت: نعم الحمد لله الذى قدمهم إلى الجنة و أخرنى بعدهم، و قد علمت أنه لم يؤخرنى إلا لذنب عظيم قد أتيته. فقال الحجاج: لأفعلن بك و لأفعلن! فقالت: ويلك يا حجاج! علىّ تبرق

(١) فى الأصل: الله.

Marfat.com

و ترعد ! و الله لقد خفت الله خوفا جعلك فى عينى أصغر من الذباب .

قال : و جعلت أم علقمة تكلم الحجاج و هى منكسة الرأس ، فقال لها الحجاج : ارفعى رأسك و انظرى إلىّ ، فقالت : إنى لأكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه . قال : فأمر الحجاج بقتلها فكانت السيوف تأخذها و هى تقول : لا حكم إلا لله ، حتى بردت .

قال : وكان آخر من قدم إليه رجل من هؤلاء الخوارج له شاهد و سمت و طلل ، فلما همّ الحجاج بقتله سمع ضجة بالباب ، فقال لحاجبه : ما هذه الضجة ؟ فقال : نسوة بالباب يسألن[1] الإذن على الأمير ، فقال الحجاج : ائذن لهن بالدخول . فدخلن و هن ثلاث[2] و عشرون امرأة ، كلهن أهل بيت هذا الخارجى الذى همّ الحجاج بقتله ، فقال لهن الحجاج : ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت : أصلح الله الأمير ! إن رأيت أن تتفضل[3] باستماع ما أقول ! فقال الحجاج : قولى ما أحببت[4] ، فأنشأت و جعلت تقول :

أحجاج لو تشهد مقام بناته و عماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج إما[5] أن تمن بتركه علينا[5] و إما أن تقتلنا معا

(١) فى الأصل : يسألون .
(٢) فى الأصل : ثلاثة .
(٣) فى الأصل : نتفضل .
(٤) فى الأصل : احببتى .
(٥-٥) فى الأصل : أن تمن علينا بتركه .

Marfat.com

أحجاج لم تضجع له و نسائه ثمانا و تسعا و اثنتين و أربعا
فمن رجل دان يقوم مقامه علينا فهلا لا تزدنا تضعضعا

قال: فخلى الحجاج سبيله و زاده فى عطائه مائة[1] دينار، و كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بخبره و خبر النسوة و المرأة و شعرها.

قال: فكتب إليه عبد الملك بن مروان: زده فى عطائه دنانير[2] أخرى! ٥
/ فصارت له زيادتان[3]: زيادة الحجاج و زيادة عبد الملك بن مروان؛ ٩٥/ب
فأنشأت ليلى الأخيلية تمتدح الحجاج و هى تقول:

[4]إذا نزل[5] الحجاج أرضا منيعة[6] تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها همام[7] إذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين و علّها إذا جمحت[8] يوما و خيف رداها[9] ١٠

(١) زيد فى الأصل: و. (٢) فى الأصل: دينار. (٣) فى الأصل: زيادتين.
(٤) قبله فى ديوانها المطبوعة بدار الجمهورية بغداد سنة ١٣٨٦ هـ ص ١٢٠ و الأغانى ١١ / ٢٤٨:

أحجاج إن الله أعطاك غاية يقصر عنها من أراد مداها
أحجاج لا يغلل سلاحك إنما المنايا بكف الله حيث تراها

(٥) فى الديوان ص ١٢١ و الأغانى و تاريخ الإسلام للذهبى ٣/ ٢٠٦: هبط.
(٦) فى الديوان و الأغانى و تاريخ الإسلام: مريضة.
(٧) فى الديوان و الأغانى و تاريخ الإسلام: غلام. و بهامش الديوان: «قيل لما بلغت ليلى هذا البيت عقب الحجاج قائلا: لا تقولى غلام، قولى همام».
(٨) من الديوان و الأغانى. و فى الأصل: اجتمعت. و ليس البيت فى تاريخ الإسلام.
(٩) فى الديوان و الأغانى: أذاها. و بعده فى الديوان و الأغانى: =

Marfat.com

أ حجاج لا تعط[1] العصاة مُناهم ٢فلا و إلهى لا تصيب[2] مُناها
و لا كل حلاف تقلّد بيعة ٣بأعظم حق الله حين[3] شراها

ذكر عمران بن حطان الخارجى

قال: و جعل الحجاج يطلب عمران بن حطان بالعراق أشد الطلب لأنه كان من رؤساء الخوارج و أعلامهم، و علم عمران بن حطان أن الحجاج يطلبه، فضاقت عليه العراق فهرب حتى لحق بالشام خوفا من الحجاج، فنزل على قوم من بنى غسان فأنكروه، و تحول عنهم فنزل على قوم من بنى لخم فأنكره رب منزله، فتحول حتى صار إلى روح بن زنباع الجذامى و نزل عليه، و كان عمران بن حطان هذا من أفصح الناس و أعلمهم بأيام العرب، و كان روح بن زنباع هذا سيدا فى قومه عظيم القدر عند أهل الشام؛ فلما نزل عليه عمران بن حطان سأله روح بن زنباع عن اسمه و نسبه، فغير اسمه و نسبه و ذكر أنه من أزدشنوءة، قال: فقربه روح

= إذا سمع الحجاج رِزّ كتيبة أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مصقولة فارسية بأيدى رجال يحلبون صراها

و زيد فى الديوان فقط:

ولد الأبكار و العون مثله بنجد ولا أرض يجف ثراها

(١) من الديوان و الأغانى، و فى الأصل: لا تعطى. و ليس البيتان الآتيان فى تاريخ الإسلام.

(٢-٢) فى الديوان و الأغانى: ولا الله يعطى للعصاة.

(٣-٣) فى الديوان والأغانى: فأعظم عهد الله ثم.

Marfat.com

ابن زنباع و أكرمه بغاية الكرامة . ثم قال ذات يوم لعبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين ! إن فى ضياقى رجل من أزدشنوءة لم أر مثله ساعة ، ثم جعل يحدثه بما سمع منه من أخبار العرب ، فقال عبد الملك بن مروان : ويحك يا أبا زرعة ! هذا رجل علامة فصفه لى ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! هو رجل آدم ، طويل ، أفوه ، فصيح ، حسن الرواية للشعر ، كثير الصلاة ، ما دفعت إلى رجل[1] هو أكثر صلاة منه و لا أعبد . قال فقال عبد الملك[2] ابن مروان : ويحك يا أبا زرعة ! هذه صفة رجل مسلم زاهد ، و إنى لاحسبه حرورى أهل العراق ، و لكن إذا رجعت / إلى منزلك فسله ٩٦/ الف من الذى يقول :

إنى لأحسبه يوما فأذكره من أرجح الناس عند الله ميزانا[3]
يا ضربة[4] بحسام[5] ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

قال : فقال روح بن زنباع : إنى قد سألت عن ذلك يا أمير المؤمنين ، فأخبرنى بهذا الشعر و رواه لى عن آخره و ذكر أنه لعمران بن حطان فى ملجم و ضربته على بن أبى طالب ! قال فقال : يا غلام ! علىّ بكتاب

---

(١) أى ما انتهيت إلى رجل .

(٢) فى الأصل : عبد الله ـ خطأ .

(٣) فى الكامل للمبرد ص ٥٣١ و تاريخ الإسلام ٣ / ٢٨٥ :

إنى لأذكره حينا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

(٤) من الكامل للمبرد و تاريخ الإسلام ، و فى الأصل : بضربة .

(٥) فى الكامل و تاريخ الإسلام : من تقى .

Marfat.com

الحجاج ! فجاء به فاذا فيه : و إنى لأخبرك يا أمير المؤمنين إن رأسا من رؤس الخوارج يقال له عمران بن حطان كان قد أفسد قياما من الناس بالعراق ، و قد كنت أردت أخذه ، فلما ضاقت عليه العراق لطلبى إياه خرج إلى الشام ، فهو ينتقل فى مدائنها ، و علامته يا أمير المؤمنين أنه رجل آدم طويل أفوه ، فان ظفرك الله به فسرحه إلىّ لأطهر منه البلاد ، و أريح منه العباد - و السلام . قال فقال روح : هذه و الله صفته يا أمير المؤمنين ! قال عبد الملك بن مروان : فجئنى به يحدثنى يوما واحدا و هو آمن بأمان الله ، و اكتب له كتابا منشورا أن لا سبيل للحجاج[1] عليه أبدا ما بقى . قال : فانصرف روح بن زنباع إلى منزله ، ثم قال : أيها الشيخ ! إن أمير المؤمنين أحب زيارتك فزره إن شئت ، فانه أمرنى بذلك ، فقال : ما أشوقنى إلى محادثة أمير المؤمنين ، ولكنى أخاف على نفسى ، و لكن ائتنى منه بكتاب أمان بخط يده . قال : فركب [2]روح بن زنباع[2] فرسه و مر على وجهه ، فقال عبد الملك بن مروان : أما الأمان فأكتبه لك ، و لكنى أظنك لا تجده فى منزلك إذا رجعت فأعلم ذلك ! فانصرف روح بن زنباع إلى منزله فاذا الأمر على ما قال عبد الملك بن مروان ، فرجع إليه فأعلمه بذلك ، فقال : قد علمت ذلك أبا زرعة ! و الرجل هو عمران بن حطان . فلما كان بعد أيام أتاه غلام برقعة فقال : وجدت هذه الرقعة تحت فراش ضيفنا الذى هرب ! قال : فنظر روح بن زنباع

(١) فى الأصل : للجاج .
(٢-٢) فى الأصل : عمران بن حطان - خطأ .

Marfat.com

فى الرقعة فاذا / فيها هذه الأبيات : ٩٦/ب

يا روح كم من [1]أخى مثوى[1] نزلت به ... قد ظن ظنك من لخم و غسان

حتى إذا خفتـــه زايلت[2] مـنزله ... من بعد ما قيل عمران بن حطان

قد كنت ضيفك[3] [4]حينا لا يروّعنى[4] ... منه[5] طوارق[6] من إنس و من جان

حتى أردت بى العظمى فأوحشنى[7] ... ماأوحش[8] الناس من خوف ابن مروان ٥

فاعـذر أخاك ابن زنباع فان له ... فى [9]الحادثات هنات[9] ذات ألوان

يوما يمانٍ إذا لاقـيت ذا يمنٍ ... و إن [10]معد بن عدنان[10] فعدنان

لو كنت مستشعرا [11]يوما لطاغية[11] ... كنت المقـدّم فى سرى و إعلان

(١-١) فى تاريخ الإسلام : كريم قد .

(٢) فى الكامل للمبرد ص ٥٣٢ : فارقت .

(٣) من تاريخ الإسلام ، و فى الأصل : ظيفك ؛ و فى الكامل للمبرد : جارك .

(٤-٤) فى الكامل للمبرد و تاريخ الإسلام : حولا ما تروّعنى .

(٥) فى الكامل للمبرد و تاريخ الإسلام : فيه .

(٦) فى الكامل للمبرد : ردائع .

(٧) فى الكامل للمبرد : فأدركنى .

(٨) فى الكامل للمبرد : أدرك ، و فى تاريخ الإسلام : يوحش .

(٩-٩) فى الكامل للمبرد : النائبات خطوبا .

(١٠-١٠) فى الكامل للمبرد : لقيتُ معدّيا . وليس البيت فى تاريخ الإسلام .

(١١) فى الكامل للمبرد و تاريخ الإسلام : مستغفرا .

(١٢) من الكامل للمبرد و تاريخ الإسلام ؛ و فى الأصل : لطاعته .

لكن أبت[1] لِيَ آيات مفصّلة[2] عند[3] الولاية فى طٰهٰ و سبحان[4]

قال: فعلم روح بن زنباع أنه عمران بن حطان، و ندم على ما أخبر به عبد الملك بن مروان.

قال: و مضى عمران حتى نزل على زفر بن الحارث الكلابى و كان زفر أيضا سيدا فى قومه، فقال له: ممن الرجل؟ فقال له: رجل من حمير من الأوزاع، و كان لزفر خؤولة من الأوزاع فقرّبه و أدناه، فأقام عنده مدة. ثم قال له ذات يوم: أيها الرجل! إنى أرى لك حالا ليست كالأحوال، فان كنت خائفا آمناك و إن كنت فقيرا أغنيناك! قال: فتبسم عمران ثم قال: الله المؤمن[5] و الله المغنى: و إنما أنا ابن سبيل.

قال: فبينا هو كذلك إذ أقبل رجل من عند روح بن زنباع إلى زفر ابن الحارث فى أمر من الأمور، فلما نظر إلى عمران بن حطان عرفه، فقال لزفر: هذا كان ضيفا لروح بن زنباع و هو رجل من الأزد؛ قال فنظر إليه زفر نظرة مغضب و قال: يا شيخ! أزدى مرة و أوزاعى أخرى! أو نبأتنى عن شأنك و أمرك كان خيرا لك! و كأنه أسمعه كلاما. قال: فسكت عمران بن حطان ولم يقل شيئا، فلما كان الليل

---

(١) من الكامل للمبرد وتاريخ الإسلام، وفى الأصل: اتت.

(٢) فى الكامل للمبرد: مطهرة.

(٣) فى تاريخ الإسلام: عقد.

(٤) فى الكامل للمبرد و تاريخ الإسلام: عمران.

(٥) فى الأصل: المؤتى - كذا.

Marfat.com

هرب على وجهه فى البلاد ، و كتب إلى زفر بهذه الأبيات :

إن التى أصبحت يعيى بها زفر ... [1]أعيا عياها[1] على روح بن زنباع

/ أنشأ يسائلنى[2] حولا لأخبره ... و الناس من بين مخدوع و خدّاع ٩٧/الف

حتى إذا انجذمت منى حبائله[3] ... كف السؤال و لم يولع باهلاعى

فاكفف كما كف روح[4] إننى رجل ... إما صريح[5] و إما فقعة القاع

و ازجر لسانك عن شتمى ومنقصتى ... ما ذا تريدون من شيخ لأوزاع[6]

إذا الصلاة فانى لست تاركها ... كل امرئ للذى يسعى له ساعى[7]

أكرم بروح بن زنباع و أسرته ... حتى[8] دعا أوّليهم للعُلى داعى

جاورته[9] سنة فيما[10] زعمت له[10] ... عرضى صحيح و نومى غير تهجاع

(١-١) فى الكامل للمبرد ص ٥٣٣ : « أعيت عياه » . و فيه : « قال أبو العباس : أنشدنيه الرياشى : « أعيا عياها على روح بن زنباع » و أنكره كما أنكرناه لأنه قصر الممدود و ذلك فى الشعر جائز و لا يجوز مد المقصور » .

(٢-٢) فى الكامل للمبرد : ما زال يسئلنى .

(٣-٣) فى الكامل للمبرد : انقطعت عنى وسائله .

(٤) فى الكامل للمبرد : عنّى .

(٥) فى الكامل للمبرد : صميم .

(٦) البيت فى الكامل للمبرد :

و اكفف لسانك عن لومى ومسألتى ... ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع

(٧) فى الكامل للمبرد :

إما الصلاة فانى غير تاركها ... كل امرئ يُعنى به ساعى

(٨) فى الكامل للمبرد : قوم .

(٩) فى الكامل للمبرد : جاورتهم .

(١٠-١٠) فى الكامل للمبرد : أسرّ به .

Marfat.com

فارتع فانـــك منعىّ بحادثـــة حسب اللبيب بما يوعيه من واعى[1]

قال : فعلم زفر بن الحارث أنه عمران بن حطان ، فطلبه ليأخذ أشد الطلب ليرده إلى منزله و يأخذ له الأمان ، فلم يقدر عليه .

قال : و مضى عمران بن حطان حتى صار إلى بلاد عمان فنزل على قوم من الأزد وكانوا يرون رأيه و يتناشدون أشعاره و يبكون عليه و على أبى بلال الحرورى . قال : فتعرف إليهم عمران بن حطان و أقام بينهم آمنا مطمئنا لا يخاف أحدا ثم أنشأ يقول :

نزلت[2] بحمد الله فى خير أسرة[3] أسرّنا فيهم[4] من الأنس و الخفر

نزلت[2] بقوم يجمع الله شملهم وليس لهم عود سوى الحق[5] يُعتصر

من الأزد إن الأزد أكرم أسرة[6] يمانيـــة حقا[7] إذا نسب البشر

فأصبحت فيهـــم آمنا لا كمعشر بدّونى[8] و قالوا من ربيعة أو مضر

---

(١) البيت فى الكامل للمبرد .

فاعمـل فانـك منعـى بواحـدة حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع ى

(٢) فى الكامل للمبرد : نزلنا .

(٣) فى الكامل للمبرد : منزل .

(٤-٤) فى الكامل للمبرد : نسرّ بما فيه .

(٥) فى الكامل للمبرد : المجد .

(٦) فى الكامل للمبرد : معشر .

(٧) فى الكامل للمبرد : طابوا .

(٨) فى الكامل للمبرد : أتونى .

Marfat.com

أو[1] الحىّ قحطان [2]و تلك[2] سفاهة [3]كما قال لى[3] روح و صاحبه زفر
و ما منهما إلا يُسَرُّ بتهمـــة[4] تقربنى منـــه و إن كان ذا زمر[5]
فنحن بنو الإسلام و الله واحد و أولى عباد الله بالحق[6] من شكر

قال : فلم يزل عمران بن حطان مقيما بأرض عمان مدة من عمره إلى أن مات الحجاج و تغيرت الأمم، ثم صار إلى البصرة و بها يومئذ رجل يقال له سويد بن منجوف، و تحته امرأة من بنات الخوارج يقال لها حمرة، فلما سمعت بعمران بن حطان و عبادته و نسكه بعثت إليه أن خلصنى من سويد بن منجوف فانى قد كرهته، و قد أحببت أن أكون لك فان رأيى رأيك و دينى دينك . قال : فأقبل عمران و معه نفر من الخوارج حتى استأذنوا على سويد، فأذن لهم، فدخلوا و جلسوا فقال عمران : أيها الرجل ! إنا قد أتيناك فى أمر لا أظن أن أحدا قبلنا جاء فى مثله، قال : و ما ذاك يا أبا شهاب ؟ قال : إن حمرة امرأة من بنات المسلمين و قد كرهتك و نحن نحب أن تخلى سبيلها فان أعوانها عليك من المسلمين كثير، فخل[7] سبيلها طائعا فهو خير لك و أحسن بك . قال : فاتق

---

(١) فى الكامل للمبرد : أم .
(٢-٢) فى الكامل للمبرد : فتلكم .
(٣-٣) من الكامل للمبرد، و فى الأصل : كسالتى .
(٤) فى الكامل للمبرد : بنُسبة .
(٥) فى الكامل للمبرد : نفر .
(٦) فى الكامل للمبرد : بالله
(٧) فى الأصل : نخلى

Marfat.com

سويد على نفسه من الخوارج، ثم صاح بها و قال: يا حمرة! ما تقولين فيما تسمعين؟ فقالت: لا خير الك فى مستكره و لست أحل لك لأنك لست على دينى و رأيى! قال: فخلى سويد سبيلها. فلما انقضت عدتها تزوجها عمران بن حطان ثم أنشأ يقول:

سويد بن منجوف كريم نمت به جدود و آباء عظام الدسائع
دعتنى إليه حاجة فوجدته لعمر أبيك الخير سهل التسارع
دعا حمرة لم يقبل الكفر قلبها فلم تر رأى الفاضح الدين نافع
فقال لها يا حمر ردى جوابه بحق و كفى عن جواب المخادع
فقالت مقال المستزيد لنفسه خلاصا و كانت فورة للقارع
فلم أر مطلوبا إليه حليله أرد بمحمود من القول جامع
على مثلنا منه فلله دره و إن كان شيخا للهدى غير تابع

فقيل لسويد بن منجوف: أطلقت حمرة خوفا من الخوارج؟ فقال: لا، و لكنى لا أحب أن يكون عندى من يكرهنى؛ قال ثم أنشأ يقول:

تركت لعمران بن حطان أخته و أعطيتها من أمرها ما تمنت
و قد كان دينى فى المنية دينها فلما رأتنى قد توليت ولت
على غير ذنب كان منى علمته على أنها صامت لجاجا و صلت
فان تكن الأيام أحدثن فرقة فلست أبالى أكثرت أم أقلت
٩٨/ الف / و قد جاهرتنى بالتجلد خدعة على أنها قد ولولت و تملت
فما أنا بالباكى عليها صبابة ولا سائلا عن دارها حيث حلت

قال: فلما هلك عمران بن حطان أتاها سويد بن منجوف فاستأذن عليها، فأذنت

Marfat.com

فأذنت له ثم قالت : ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا إليك نفسك ، و أنا من قد عرفت[1] و قد مضى أبو شهاب[2] لسبيله ، فإن أردت[3] شيئا من ذلك فلا تعدليه عندى . قال فقالت له : مكانك حتى أخرج إليك ! ثم قامت فدخلت إلى مخدع لها فلبست مطرفا كان لعمران بن حطان و لفت عمامته على رأسها و خرجت ، فقال لها سويد بن منجوف : ما هذا يا حمرة؟ فقالت : إنى سمعت خليلى أبا شهاب و هو يقول فى بعض قوله :

و يلبس يوما عرسه من ثيابه إذا قيل هذا يا فلانة خاطب
كأن لم يكن من قبل ذاك[4] و لم يكن نصيب لها فى سالف الدهر صاحب

فأحببت أن أصدق قول أبى شهاب بلبسى هذا من ثيابه ، فانصرف عنى من حيث جئت فلا حاجة لى فى التزويج بعد أبى شهاب .

ثم رجعنا إلى الخبر الأول و أمر خراسان

و هذا ابتداء أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى ، و الحديث طويل و هذا ابتداء ، و سنأتى به من أوله إلى آخره إن شاء الله تعالى .

قال : و صفت العراقان[6] للحجاج بن يوسف فلم يكن أحد يناويه ،

---

(١) فى الأصل : عرفتى .
(٢) فى الأصل : ابا شهاب .
(٣) فى الأصل : اردتى .
(٤) فى الأصل : ذلك .
(٥) فى الأصل : الجزء .
(٦) فى الأصل : العراقين .

Marfat.com

و جعل الحجاج يضرب على الناس البعوث و يوجه بهم فى الأعمال، فخرج اسم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فلم يجب أن يخرج فيه، فجاء إلى أمه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمدانى فقال: يا أماه! إن الحجاج قد ضرب على الناس بعثا إلى موضع كذا و كذا و قد خرج اسمى فى ذلك البعث، و قد أحببت أن تكلميه فى ذلك فلعله أن يعفينى من الخروج فيه. قال: و كانت أم عمران امرأة عاقلة لبيبة جزلة من النساء، و لم يكن بالعراق امرأة هى أكرم على الحجاج منها لشرفها فى قومها. قال: فركبت إلى الحجاج فكلمته فى ابنها عبد الرحمن بن محمد، فقال الحجاج: يا أم عمران! إنى ما كنت / أحب أن أرخص لأحد من ٩٨/ب الناس فى التأخر عن هذا البعث إلا أن يكون مشغولا بعمل من أعمال أمير المؤمنين، و ما لحاجتك منه مدفع و قد أعفيناه من ذلك البعث على[1] أن يكون فى أعوان أبى مسلم [2]حتى خليفته[2]. قال فقالت أم عمران: أيها الأمير! اجعله حيث شئت بعد أن تعفيه من السفر؛ قال الحجاج: فانا قد أعفيناه يا أم عمران. قال: و انصرفت أم عمران إلى منزلها، و صار عبد الرحمن بن[3] محمد بن الأشعث إلى أبى مسلم خليفة[3] الحجاج. قال: وكان أبو مسلم هذا [4]رجلا فهما عاقلا لبيبا عالما[4] بالسنن و الفرائض،

---

(١) زيد فى الأصل: أنه.

(٢-٢) كذا فى الأصل، و لعله «عَنَى خليفته»، و لكن ما وجدنا أبا مسلم هذا فى خلفاء الحجاج و نُوابه.

(٣) فى الأصل: خليفته.

(٤-٤) فى الأصل: رجل فهم عاقل لبيب عالم - كذا.

Marfat.com

وكان إذا أصبح و اجتمع[1] إليه الناس يقول لهم: لاتتكلموا و اذكروا الله، ثم يبدأ هو بالكلام فيتكلم، ثم يتكلم رجل منهم حتى يأتى على آخرهم؛ قال الشعبي[2]: فجلس يوما كما كان يجلس فى أصحابه، فتكلم و تكلم[3] الناس حتى أفضى الكلام إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فتكلم و أوجز و أحسن؛ قال: فأعجبنى منه و أنا لا أعلم ما فى قلبه.

قال: ثم جمع الحجاج الناس ذات يوم فقال: دلونى على رجل يصلح للشرطة، فقال له كاتبه عنبسة: أصلح الله الأمير! عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فى شرفه و جلده و مكانه من أهل مصره! فقال الحجاج: هو لها. قال الشعبي: فبادرت إليه و هو فى منزل أمه أم عمران، فقلت له: البشرى يا أبا الأشعث! فقال: بماذا؟ فقلت: إن الأمير ذكر رجلا يصلح للشرطة فذكرك له عنبسة بن سعيد، قال الشعبي: فرأيته قد غضب فقال: ويحك يا أبا عمرو! و مثلى يتقلد سيفا و يمشى بين يدى ابن أبى رغال! و الله ما رأيت أحدا قط [4]على منبر[4] يخطب إلا و ظننت فى نفسى أنا أحق بذلك منه! قال فقلت له: دع عنك هذا، فان الحجاج ليس ممن يعادى

---

(١) فى الأصل: اجتمعوا.

(٢) هو عامر بن شراحيل الشعبي، من التابعين، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان نديمه و سميره و رسوله إلى ملك الروم - مات سنة ١٠٣ هـ بالكوفة - انظر تهذيب التهذيب ٥/٦٥ و تهذيب ابن عساكر ٧/١٣٨.

(٣) فى الأصل: تكلموا.

(٤-٤) فى الأصل: «على منه».

Marfat.com

و لاينابح ، فلا تسأله عن نفسك ! فتبينت الكراهة فى وجهه .

ثم ركب و ركبت معه إلى عنبسة بن سعيد كاتب الحجاج ، فلما دخلنا عليه قلت : أصلحك الله ! إنى قد أخبرت أبا الأشعث بما كان من ٩٩ / الف
برك و عنايتك و رأيك فكره ذلك ! فقال عنبسة : و لم ذلك ؟ قال ابن الأشعث : لأنه لا حاجة لى فى ولاية الشرطة . قال الشعبى : فسكت عنبسة ، فقلت له : جعلت فداك ! تدارك إصلاح ذلك ، فقال : أفعل ذلك . ثم ركب إلى الحجاج فلما دخل و أخذ مجلسه جعل يتناعس فى المجلس ، فقال له الحجاج : ما قصتك ؟ فقال : أصلح الأمير ! إنى امتنعت اليوم من القائلة ، قال الحجاج : و لم ذلك ؟ قال : لأنى أشرت على الأمير أصلحه الله بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، و هو رجل شريف شديد الحياء من الناس ، و أخاف عليه الشفاعات . قال الحجاج : فلا حاجة لى فيه ، و لكن دلونى على رجل يصلح لهذا الأمر ! فقال له بعض جلسائه : فأى رجل يريده الأمير - أصلحه الله ؟ قال : دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجف الخيانة ، يهون عليه شبال الأشراف فى الشفاعات . فقال له أهل المجلس : ما نعرف مثل هذا إلا عبد الرحمن بن عبيد السعدى ، فقال له الحجاج : يا عبد الرحمن [1] إنى قد استعملتك على الشرطتين جميعا البصرة و الكوفة ، فصيف عندنا بالكوفة و شتّ [2] بالبصرة ، فقال : أصلح الله الأمير ! قد قبلت ما وليتنى فاكفنى [3] حاشيتك و أهلك

(١) فى الأصل : أبا عبد الرحمن .
(٢) فى الأصل : شتى .
(٣) فى الأصل : فاكفينى - كذا .

و ولدك

و ولدك فى الشفاعات! فقال قد كفيناك ذلك ، يا غلام! مر المنادى فلينادِ : ألا! و من طلب شفاعة من حاشية الأمير و أهله و ولده فقد برئت منه الذمة!

قال الشعبي : فوالله ما رأيت أحدا قط يشبه عبد الرحمن بن عبيد! كان إذا أتى[1] برجل قد نقب على قوم منزلهم وضع منقبه فى بطنه حتى يخرج من ظهره ، و إذا أتى[1] برجل قد شهر سلاحا قدمه فقطع يده، و إذا أتى[1] برجل قد أحرق على قوم شيئا أمر به فأحرق بالنار حرقا ، و إذا أتى[1] برجل قد شك فيه آخره فضربه ثلاثمائة سوط و خلى عنه؛ و كان لايحبس أحدا إلا فى دين ، و كان إذا انحدر إلى البصرة يخلف خليفة بالكوفة ، و إذا /رجع إلى الكوفة فخليفته بالبصرة، و[2]كان خليفتاه جميعا ٩٩/ب يعملان[2] فى الناس كعمله .

قال: و دعا الحجاج أمية بن عبد الله[3] بن خالد بن أسيد فعقد له عقداً بولاية سجستان و أمره أن يغزو أرض كابل ، فسار أمية بن عبد الله فى جمع عظيم حتى دخل أرض كابل و غلغل فيها ، فلما أراد الخروج أرسل مالك البلد و اسمه رُتبيل فأخذ عليه الشعاب و العقبات و المضايق، فلم يقدر أمية على الخروج من البلد ، فصالح رتبيل ملك كابل على مائتى ألف درهم ، فأعطاه ذلك ثم خرج من البلد ، و قد سلم و سلم[4] أصحابه .

قال : و بلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان :

---

(١) فى الأصل : اوتى .

(٢-٢) فى الأصل : « كانوا خليفته جميعا يعملون » .

(٣) فى الأصل : عبد الرحمن ـ خطأ .

(٤) فى الأصل : سلموا .

Marfat.com

يا أمير المؤمنين ! إن أمية بن عبد الله اشترى النار بالجنة و زاد مائتى ألف درهم ! فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن اعزله عن البلاد و ولّ[1] مكانه عبيد الله بن أبى بكرة .

قال : فتقدم ابن أبى بكرة إلى سجستان ، ثم إنه جمع الناس و غزا أرض كابل و معه يومئذ شريح بن هانئ الحارثى فى أهل الكوفة ، فلما [2]توسط المسلمون[2] البلاد و أخذ عليهم أيضا رتبيل العقبات و الشعاب كما فعل بأمية بن عبد الله من قبل ، قال : فبقى ابن أبى بكرة لا يقدر على الخروج ، فبعث إلى رتبيل أنك قد فعلت كذا الفعال بغيرى ، و لكن ما يغنيك ، و ما الذى تريد ؟ قال : أريد منك أن تحط عنى خراج عشر سنين ، و تعطينى ألف ألف درهم و نصف ما معك من السلاح و الكراع ، و تعطينى ولدك و أشراف قومك رهائن ، حتى أخلى لك السبيل ! فأرسل ابن أبى بكرة إلى من كان معه من أهل البصرة و أهل الكوفة فأخبرهم بهذا الخبر ، فقال[3] البصريون : أيها الأمير ! الرأى عندنا أن نصالحه و نعطيه ما سأل ، فقال شريح بن هانئ الحارثى و أهل الكوفة : لا و الله ما[4] كان ذلك لرتبيل منا أبدا ! قال : فغضب ابن أبى بكرة ، ثم قال شريح بن هانئ : هذا ما أنت و الاعتراض علىّ مما أريد ، تريد أن تنقض / علىّ أمرى و يقتل[5] / الف

(١) فى الأصل : ولى .
(٢-٢) فى الأصل : توسطوا المسلمين .
(٣) فى الأصل : فقالوا .
(٤) فى الأصل : لا .
(٥) فى الأصل : يقتلوا .

Marfat.com

المسلمون ! فقال شريح : يا ابن [أبى] بكرة ! إنما أنت عبد حبشى ، و شرفك بالبصرة حمامك و بستانك ، فدع عنك هذه الرئاسة فاننا إنما قدمنا إلى هذا البلد لأجل الجهاد ، و الله لا متنا إلا كراما إن شاء الله . قال : ثم أقبل شريح على أهل الكوفة فقال : أخبرونى عنكم ما ذا نقول غدا لشباب مذحج بالكوفة ؟ إننا قد اشتربنا اللوم بالكرم و الكفر بالإيمان و النار بالجنة كما فعل ذلك أمية بن عبد الله من قبل ! ثم قال : ألا ! من كان ههنا من مذحج و همدان فليتقدم معى إلى أعداء الله ! قال : فأجابه[1] الناس من كل ناحية بالتلبية . قال : وكان شريح بن هانىء فى وقته ذلك قد نيف على مائة سنة و هو أحد المعمرين ، و قد أدرك النبى صلى الله عليه و سلم و أبا بكر[2] و عمر و عثمان ، و قد شهد وقعة الجمل و صفين و النهروان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال : فتقدم يومئذ عشرة آلاف رجل من أهل الكوفة و هو يرتجز و يقول :

أصبحت ذا بث أقاسى الكبرا ... قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمة[3] أدركت[4] النبى المنذرا ... و بعده صديقه و عمرا
و يوم مهران و يوم تسترا[5] ... و الجمل المعروف يدعى عسكرا[6]

(١) فى الأصل : فأجابوه .
(٢) فى الأصل : أبى بكر .
(٣) فى الأصل : ثم ، و فى الطبرى ٧ / ٢٨٢ : ثمّت ؛ و التصحيح من ابن الأثير ٤/٢١٨ .
(٤) فى الأصل : ادركنا .
(٥) فى الأصل : و يوم نهروان و يوم دسترا . و التصحيح من الطبرى و ابن الأثير .
(٦) ليس المصراع فى الطبرى و ابن الأثير .

و الجمع من[1] صفّينهم و النهرا [2]هيهات ما أطول هذا عمرا

قال: فلم يلبث حتى حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل، و قتل[3] جميع من كان معه من أهل الكوفة. و أما ابن أبي بكرة فانه كره الموت، فصالح رتبيل ملك كابل على أنه يضع عنه خراج عشر سنين و يعطيه ألف ألف درهم و يرهن عنده ابنه و أشراف قومه، ففعل ثم خرج من أرض كابل حتى صار إلى مدينة بست فنزلها، و بلغ ذلك الحجاج بن يوسف و أهل العراق؛ فأنشأ أعشى همدان و هو يقول فى ذلك أبياتا مطلعها:

ما بال حزن فى الفؤاد يولـــج [و] دمعك[4] المنحدر المنهج

١٠٠/ب / إلى آخرها.

ابتداء أمر [ابن] الأشعث مع الحجاج بن يوسف

قال: فعندها دعا الحجاج بعبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فعقد له عقدا و ضم إليـــه جيشا، و قال: قد علمت ما نزل بشريح بن هانئ[5] و المسلمين[5] بأرض الكفار، و ما كان من هذا المنافق عبيد الله بن أبي بكرة و ما كان من صلحه مع رتبيل، فسر[6] و لا تعرج على شيء حتى

(١) فى الطبرى و ابن الأثير: فى.

(٢) قبله فى الطبرى و ابن الأثير: وباجميرات مع المشقرا.

(٣) فى الأصل: قتلوا.

(٤) زيد فى الأصل: الهاطل.

(٥) فى الأصل: المسلمون.

(٦) فى الأصل: فسير.

Marfat.com

تدخل أرض الداور[1] من بلاد الترك وكابل، ثم فرق الجنود بها وابلغ فيها الغاية لأبعدها. ثم مكّنه الحجاج بن يوسف من الأموال وضم إليه الأشراف من القبائل.

قال، وجاءت[2] إخوة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، منهم قيس وإسحاق والمنذر والصباح حتى دخلوا على الحجاج فقالوا: أيها الأمير! لا توجه عبد الرحمن فى هذا الجيش، فاننا نتخوف أن يخرج عليك! قال: فتبسم الحجاج ثم قال: ليس هذا أول حسد الإخوة، وإنما أتتم حسدتموه لأنه ليس من أمكم. فقالوا: أيها الأمير! أما نحن فقد قضينا ما علينا ونحن خارجون معه[3].

قال: وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من الكوفة ومعه أشراف الناس وفرسان أهل العراق حتى صاروا إلى فارس، وبها يومئذ رجل يقال له هميان[4] بن عدى السدوسى فى عسكر لجب، غير أنه كان عاملا للحجاج فخالفه وعصى عليه وخلع الطاعة. قال: فحاربه ابن الأشعث حتى هزمه من فارس إلى كرمان وقتل عامة أصحابه، ثم بعث برؤسهم

---

(١) الداور اسم اقليم خصيب وهو ثغر الغور من ناحية سجستان ـ معجم البلدان ٤/٢٨٠.

(٢) فى الأصل: جاؤا.

(٣) فى الطبرى ٨/٤: «فأتى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث فقال له: لا تبعثه فانى أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطانا، فقال الحجاج: ليس هناك هو لى أهيب وفىّ أرغب من أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتى» انظر ابن الأثير ٤/٢٢٠ أيضا.

(٤) من الطبرى ٨/٥ وابن الأثير، وفى الأصل: هيمان.

Marfat.com

إلى الحجاج وكتب إليه يخبره بموافقته إياهم .

قال : ثم سار ابن الأشعث إلى كرمان وكتب الحجاج إلى عبد الله ابن أبي بكرة فعزله عن سجستان ، فخرج يريد العراق فأدركه الموت فمات فى الطريق .

قال : وسار ابن الأشعث إلى رُخَّج[1] فنزلها وأقام بها . وجعل الحجاج يكتب إليه ويستحثه ويأمره بالمسير إلى رتبيل والاقتحام عليه فى بلده . قال : وعبد الرحمن يكتب إليه : أيها الأمير ! لا تعجل علىّ ، فانى وجهت عيونى ليأتونى / بأخبار البلد وأنا قادم عليه إن شاء الله ولا قوة ١٠١/ الف إلا بالله . ثم كتب عبد الرحمن إلى رتبيل ملك كابل : أما بعد فانك علج قد تعديت طورك ، ودخلت فى غير حدّك ، وكسرت خراج أمير المؤمنين ، وقتلت المسلمين ، وقد أعذر من أنذر ، وأنا سائر إليك فى الحد والحديد ، والخيل والجنود ، ثم إنى لا أعاملك معاملة من كان قبلى ، لكنى أطأ بلدك ، وأقتل ولدك ، وآخذ مالك ، وأسبى حريمك إن شاء الله . قال : فلما ورد كتاب ابن الأشعث على رتبيل كتب إليه : أيها الأمير ! إنه لم يدعنى إلى قتال أصحابك إلا ما حملونى عليه وما بدأونى به من الغدر وسوء السيرة ، ولو لا ذلك لم أفعل ما فعلت ، وأنا نازل عند ما أحببت ، وغير مخالف أيها الأمير فيما أردت - والسلام . قال : ثم وجه رتبيل بكتابه إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى صار فى جمع عظيم .

---

(١) فى الأصل : روح ، والتصحيح من معجم البلدان ٤ / ٢٤١ وفيه : « رخج .... كورة ومدينة من نواحى كابل » ؛ أو هى « زرنج » ، وهى قصبة سجستان - المعجم ٤ / ٣٨٥ .

Marfat.com

قال: و عزم ابن الأشعث على الخلع و العصيان ، و كره الدخول إلى أرض الداور ، ثم إنه جلس فكتب كتابا عن لسان الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فاقتل فلانا و فلانا و ابعث برؤسهم إلىّ ! قال: ثم سمى جماعة من رؤساء العسكر ، و طوى كتابه و ختمه ، ثم تركه حتى جف ختمه ، ٥ ثم جعل يرسل إلى رجل بعد رجل من أجلاء عسكره فيخلو به فيقول: يا هذا ! هل أذنبت إلى الحجاج ذنبا؟ فيقول الرجل: لا و الله أيها الأمير ما أعرف لى ذنبا إلى الحجاج ، فيقول له: ويحك ! فهذا كتابه إلىّ فيك يأمرنى بقتلك ، و لا و الله ما كنت بالذى أقتل مثلك فاكتم على هذا ، قال: فلم يزل ابن الأشعث كذلك حتى غلظ قلوب الأشراف على الحجاج ، ١٠ ثم قال: ألا ترون أنه يكتب إلىّ و يأمرنى بالدخول إلى بلاد الداور و إلى أرض رتبيل و الإقدام عليه فى بلده ، و رتبيل فى وقته هذا نيف على مائة ألف ، و الله ما يريد بهذا إلا أن تهلكوا كما هلك جيش ابن أبى بكرة ، و أخرى فانه قد سار فيكم بما قد علمتم و شردكم فى / البلاد ، و قد ١٠١/ب نبذ كتاب الله وراء ظهره ، و أنا قد عزمت على خلعه و خلع صاحبه ١٥ عبد الملك بن مروان ، فما ذا ترون؟ قالوا: ذا إليك أيها الأمير ! و أمورنا تبع لأمرك . قال: فانى أريد أن أقوم فأخطب ، فاذا أنتم سمعتمونى أذكر بنى مروان تقوموا فتكلموا بما بدا لكم ! قال: ثم نادى ابن الأشعث فى أصحابه فجمعهم ، ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ، ثم ذكر بنى مروان و سوء سيرتهم و ما ارتكبوا من العامة ، ثم ذكر الحجاج و ما صنع ٢٠

Marfat.com

قبل ذلك بعبد الله بن الزبير و الحرم . قال : فوثب[1] أولئك الرؤساء الذين أقرأهم الكتاب الذى صنعه عن الحجاج فى قتلهم ، فقالوا : أيها الأمير ! فاخلعه - خلعه الله و خلع صاحبه من رحمته ! قال ابن الأشعث : فاننا قد خلعنا ابن مروان و خلعنا الحجاج بن يوسف ، و نحن منصرفون إلى جهادهم و محاربتهم إن شاء الله و لا قوة إلا بالله .

قال : و قد كان فى عسكر ابن الأشعث رجل يقال له مصقلة بن رقبة العبدى فأخذ على فجور فأتى به ابن الأشعث فأقام عليه الحد ، فلما كان ذلك اليوم و قال ابن الأشعث ما قال و خلع الحجاج و عبد الملك ابن مروان هرب مصقلة بن رقبة هذا و هرب[2] معه ثلاثة نفر ، منهم : غدافر بن يزيد التيمى و لاوى بن شقيق بن ثور السدوسى و قتادة بن قيس الكندى ، فهربوا حتى لحقوا بالحجاج فأخبروه بذلك . قال : و بلغ المهلب بن أبى صفرة ما قد عزم عليه ، فكتب إليه من مدينة مرو .

ذكر كتاب المهلب بن أبى صفرة إلى عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث

أما بعد يا ابن الأخ ! فانك قد وضعت رجلك فى ركاب طويل الغى لأمة محمد صلى الله عليه و سلم ، فأنشدك بالله يا ابن الأخ ألا تداركت هذا فى نفسك ، أتترك المشركين و تقاتل المسلمين ؟ لا تفعل يا ابن الأخ !

(١) فى الأصل : فوثبوا .
(٢) فى الأصل : هربوا .

Marfat.com

و اذكر بلاء الحجاج عندك ! إنه جمع لك أهل المصرين جميعا : البصرة و الكوفة ، ثم إنك تريد أن تنقص ثغورهم و تضرب بعضهم ببعض ، مهلا يا ابن ألاخ ! و احذر العار فى العاجلة و النار فى الآجلة - و السلام[1].

قال : و تواترت الأخبار إلى الحجاج بما قد / عزم عليه ابن الأشعث ١٠٢ / الف فقال : أما إن إخوته قد نصحونى فلم أقبل ذلك منهم .

قال : و عزم ابن الأشعث على المسير إلى العراق لمحاربة الحجاج ، ثم دعا [2]عبد الله بن عامر التميمى[2] فاستخلفه على سجستان و أمره بمداراة رتبيل ملك الداور، ثم جعل يجمع الناس و يَعطيهم و يعدهم و يمنيهم؛ فقال له أعشى همدان : أيها الأمير ! أما لنا منك نصيب؟ فقال له ابن الأشعث ثكلتك أمك أبا المصبح ! إن هذه أيام مداراة ، و لكن امهلنى إلى أن يثنى لى الوسادة و نظفر ببعض ما نريد ، ثم انظر بعد ذلك " هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا "[3] .

ذكر وفاة المهلب بن أبى صفرة و وصيته عند موته

قال : و حضرت المهلب بن أبى صفرة فى تلك الأيام الوفاة و هو يومئذ بمدينة مرو الروذ ، فدعا بنيه فأجلسهم بين يديه فقال : يا بنى ! إنى أوصيكم بتقوى الله و صلة الرحم ، فان تقوى الله يعقب الجنة ، و صلة الرحم تنسئ فى الأجل و تثرى المال ، و تجمع الشمل ، و تكثر

(١) انظر الطبرى ٨/ ١٠ لهذا الكتاب .

(٢ - ٢) من الطبرى ٨ / ٩ و ابن الأثير ٤ / ٢٢٤ ، و فى الأصل : بعامر بن عبد الله التيمى .

(٣) سورة ١٩ آية ٩٨ .

Marfat.com

العدد ، و تعمر الديار و تعز الجانب؛ و أنهاكم عن معصية الله و قطيعة الرحم ، فانها تعقب الذلة ، و تورث القلة ، و تقل العدد ، و تفرق الشمل، و تدع الديار بلاقع ، و تذهب بالمال ، و تبدى العورة ؛ و عليكم يا بنى باكرام قومكم، فانه ليس لكم عليهم فضل ، بل الفضل لهم عليكم إذ سودوكم و فضلوكم على أنفسهم ؛ فانظروا إن سألوكم فأعطوهم ، و إن شتموكم فاحتملوهم ؛ و احذروا الجواب ، و اتقوا زلة اللسان ، فان الرجل تزل[1] قدمه فيقوم من زلته ، و يزل لسانه فيكون فيه هلكته ؛ يا بنى ! اصطنعوا المعروف و حبوه ، و انهوا عن المنكر و اجتنبوه ، و آثروا الحق على الباطل ، و الجود على البخل ، و العرب على ما سواهم ، و سودوا كباركم ، و عرفوا فضل ذوى أنسابكم ، يعظم بذلك منازلكم ، و ارحموا صغيركم ، و وقروا كبيركم ، و أجيروا يتيمكم ، و عودوا عليه بما قدرتم ، و خذوا على أيدى سفهائكم ، و تعاهدوا فقراءكم و جيرانكم ، و اصبروا للحقوق و نوائب الدهر ؛ و عليكم فى الحرب بالأناة ، و التؤدة عند اللقاء ؛ و إياكم و الطيش و العجلة ! ١٠٢/ب و ألزموا الطاعة و الجماعة ، و إياكم و الخلاف و الفرقة ! و عليكم بحفظ القرآن و السنن و الفرائض ! و تأدبوا بآداب الصالحين من سلفكم ، و لا تجالسوا أهل الدعارة و الريبة ، و إياكم و الخفة و الخوف فى مجالسكم ! و إياكم و كثرة الكلام فى غير حاجة ! فانه لا يكاد يسلم صاحبه ، و أدوا ما يجب عليكم من حق الله ، و اعلموا يا بنى أنى قد أبلغت إليكم فى وصيتى ، و جعلت لله الحجة عليكم فى تركها ، و الثواب من الله على المحافظة

(١) فى الأصل : يزل .

Marfat.com

عليها ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته[1] .

قال : ثم توفى بمروالروذ فقبره بها ؛ فقال فيه نهار بن توسعة هذين البيتين :

ألا[2] ذهب [3]الغزو المقرّب للغنى[3] و مات الندى و الجود بعد المهلب

أقاما[4] بمروالروذ [5]رهن ضريحه[5] و قد[6] فقدا من[6] كل شرق و مغرب[7]

قال : ثم أنشأ كعب بن معدان الأشقرى[8] أيضا يرثيه و هو يقول :

ترحلت الأجياد تبغى عميدها أخا الحرب وارته السفائف و القبر

يقولون هل بعد المهلب نعمة من العيش إلا قد أتى دونها الدهر

و لا نائل إلا قليل مصدد قليل الغنى فى الناس مطلبه و عر

و هدّت لذاكَ الأرض حتى كأنها بكته[9] الجبال الصم و انصدع الفجر

و أظلمت الآفاق حتى كأنما يرى دون ضوء الشمس من دونها ستر

---

(١) انظر لوصية المهلب الطبرى ٨ / ١٩ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٠ و جمهرة خطب العرب ٢ / ٢٧٢ .

(٢) من الطبرى ٨/٢٠ و ابن الأثير ، و فى الأصل : إذا .

(٣-٣) فى ابن الأثير : المعروف و العز و الغنى .

(٤) فى ابن الأثير : اقام .

(٥-٥) من ابن الأثير : و فى الطبرى : رهنى ضريحه ؛ وفى الأصل : ما بين حانها .

(٦-٦) فى الطبرى : غيبا عن ؛ وفى ابن الأثير : غاب عنه ؛ وفى الأصل فقدوا من .

(٧) زيدت بعده خمسة أبيات فى الطبرى و ابن الأثير .

(٨) فى الأصل : الأشعرى .

(٩) فى الأصل : نبه ـ كذا .

Marfat.com

فمن ذا الذى يرجى لكل عظيمة تحل بنا أو من يسد به الثغر
بقينا بحالات[1] أبى الدهر دونها عرى الحزم والمعروف والنائل الغمر
أيرجون أن يعرى سمرقند غيرها[2] و عليا بخارستان و انقطع النهر

قال : فلما مات المهلب صار أمر خراسان إلى ابنه يزيد ، فقال[3] أصحاب ابن الأشعث : أيها الأمير ! إنك قد عزمت على المسير إلى العراق، و لو بدأت بخراسان فأخذتها و استوليت عليها فانها الثغر الأعظم ! فقال ابن الأشعث : إنه لو كان غير يزيد بن المهلب بها لفعلت ذلك ، و لكن يزيد رجل جليل القدر له عشيرة و طاعة فى قومه ، و دان[4] الناس له بالسمع و الطاعة ، و أنا أكره أن أبدأ بنفسى بالانهزام ، و لكن / أسير ١٠/الف إلى الحجاج بن يوسف ، فان ظفرت بالعراق فما[5] أيسرو الله أمر خراسان إن شا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله [العلى] العظيم .

ذكر مسير ابن الأشعث إلى العراق لمحاربة الحجاج

قال : ثم سار ابن الأشعث [6]يريد الحجاج فكان معه أخوه القاسم فلم يفارقه[6] ، قال : و سار ابن الأشعث حتى صار إلى كرمان فأقام بها

---

(١) فى الأصل : كحالات .
(٢) فى الأصل : و غيرها .
(٣) فى الأصل : فقالوا .
(٤) فى الأصل : دانوا .
(٥) فى الأصل : فلما .
(٦-٦) فى الأصل : « يزيد بن المهلب فكانوا معه و أقام معه أخوه القاسم فلم يفارقه » كذا غير واضح .

Marfat.com

أياما، ثم استعمل عليها هارون بن دراع الحنفي[1]، و خرج منها يريد أرض فارس، و قد ركب نجيبا له برجل مدلج و لبس حلة صفراء و الناس عن يمينه و شماله و هو يتمثل بقول مهلهل الثعلبي حيث يقول:

و أعز من ولد الأراقم ماجد صلت الجبين معاود الإقدام

خلع الملوك و صار[2] تحت لوائه غُرّ الورى و أكابر الأقوام

قال: و سار حتى دخل أرض فارس فأقام بها أياما، ثم رحل عنها و ركب نجيبا له برجل مدلج و عليه حلة حمراء و هو يتمثل بقول [3]الحارث بن وعلة[3] الجرمي حيث يقول:

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم حربا تزايل[4] بين الجيرة الخُلُطِ

[5]أم هل دلفت[5] بجرار له لجب [6]جم الصواهل[6] بين السارة[7] الفرط

---

(١) كذا في الأصل، وفي ابن الأثير ٤/ ٢٢٤: جعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمي - انظر الطبري ٨/ ٩ أيضا.

(٢) في الأصل: سار؛ و في الكامل للمبرد ص ١٥٥ ورد هذا البيت هكذا:

قتل الملوك و صار تحت لوائه فجر العُرا و عراعر الأقوام

انظر أيضا الأخبار الطوال ص ٣١٧ و مروج الذهب ٢/ ١٣٥.

(٣-٣) في الأصل: وعلة بن الحارث، و التصحيح من نزهة الأبصار ١/ ٧١٤ و الطبري ٨/ ١٠.

(٤) في الطبري: تفرق، وفي الكامل للمبرد ص ١٥٥ ونزهة الأبصار ١/ ٧١٥: تزيّل.

(٥-٥) في نزهة الأبصار: أم هل علوت. و في الكامل والطبري: وهل سموت.

(٦-٦) في نزهة الأبصار: يغشى المخاوف.

(٧) في الطبري و الكامل للمبرد: الجمّ و؛ و في نزهة الأبصار: السهل و.

Marfat.com

و هل تركت نساء الحى ضاحيـــة يوقدن وسط بيوت الحى بالخمط[1]

قال: الهيثم بن عدى[2] فانبأنى عبد الله بن عياش[3] [عن] الشعبى قال: كانت بفارس عجلة من بنات الفرس يقال لها[4] أمير زاد[5] وكانت من أجمل الناس، وكانت لا يبيت الرجل عندها إلا بمائة درهم، و كان مع ابن الأشعث رجل من بنى تميم يكنى أبا حراثة وكان صاحب دعابة و مضاحكة، فبات عندها و لم يكن معه شىء يعطيها، فدفع إليها سرج برذونه، فلما هم ابن الأشعث بالرحيل من فارس عرض له أبو حراثة هذا، فلما رآه ابن الأشعث قال: ما وراءك يا أبا حراثة؟ فجعل يقول:

أمير زاد ذهبتُ بالسرج فى فتنة الناس و هذا الفرج

قال: فضحك ابن الأشعث و قال: استفكوا له سرجه، قال: و بلغ الحجاج بن يوسف فقال: و يلى عليه عدو نفسه يعاقب مصقلة بن رقبة العبدى عـــلى الزنى و يستفك سرج الزناة، إنى لأرجو أن يخزيه الله إن شاء الله.

١٠

١٠٢/ب

---

(١) المصراع فى نزهة الأبصار والطبرى والكامل: «فى ساحة الدار يستوقدن بالحطب».

(٢) الهيثم بن عدى الطائى أبو عبد الرحمن المنبجى ثم الكوفى المتوفى سنة ٢٠٦هـ - انظر لسان الميزان ٦/٢٠٩.

(٣) فى الأصل: عباس، والتصحيح من لسان الميزان ٣/٣٢٢، وفيه: «روى عن الشعبى و غيره، و روى عنه الهيثم بن عدى».

(٤) فى الأصل: له.

(٥) لم نظفر بها.

Marfat.com

قال: فجمع الحجاج أصحابه فخطبهم ثم قال: أيها الناس! إن هذا الفاسق عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد خلع الطاعة و فارق الجماعة و سار إلى ما قبلكم فهاتوا آراءكم! قال: فوثب عليه سلمة بن عبد الله المنقرى قال: أيها الأمير! رضينا بالله ربا، و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا، و بالإسلام دينا، و بالقرآن[1] إماما، و بعبد الملك بن مروان خليفة، و بك أميرا. أصلح الله الأمير! إن لم يكن نبى و لا كتاب و لا إمام لما رضينا بالحائك ابن الحائك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. قال فقال الحجاج: هذا كلام حسن لا أرده عليك و لا أدخله صداى حتى أبلو ما عندك. قال: ثم عقد له الحجاج عقدا و ضم إليه خيلا، و أعطاه عشرة آلاف درهم؛ فهرب حتى لحق بابن الأشعث فصار معه.

ثم وثب فى ذلك الوقت حنظلة بن الحارث الضبابى فقال: أصلح الله الأمير! إنك قد وليت بلاد سجستان غلاما سفيها، و لم يكن لذلك أهلا، و أنا أرجو أن يدركه الله باحدى عثراته! قال فقال له الحجاج: يا حنظلة! أما بالأمس فقلت لى إنه سيد الناس و فتى العرب، و اليوم تقول إنه غلام سفيه - و الله المستعان. ثم نزل الحجاج عن المنبر و دعا بحنظلة بن الحارث هذا، فعقد له عقدا و ضم إليه خيلا و أمر له بعشرة آلاف درهم؛ فهرب حتى لحق بابن الأشعث فصار معه.

قال: و جعل الحجاج يتألف الناس و الناس دون عيونهم إلى ابن الأشعث، فلما رأى ذلك كتب إلى عبد الملك بن مروان: يا أمير المؤمنين!

---

(١) فى الأصل: بالأقران - كذا.

Marfat.com

الغوث الغوث من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث! و إنى قد
و جهت إليك لاوى[1] بن شقيق السدوسى فليسأله أمير المؤمنين عما صنع
ابن الأشعث - و السلام . قال: فلما ورد كتاب الحجاج على عبد الملك
ابن مروان و قرأه قال: لاحول و لا قوة إلا بالله، قال: هات ويحك
١ / الف٥ يا لاوى[1] / ما عندك من الخبر! قال: فجعل لاوى[1] بن شقيق يحدثه له بخروج
ابن الأشعث و ما كان منه، و عبد الملك بن مروان يتغير وجهه ساعة
بعد ساعة، ثم جعل يتمثل بقول [2]الحارث بن وعلة[2] الجرمى، هو يقول:

ما بال من أسعى لتجبر[3] عظمه حفاظا و ينوى من سفاهته كسرى
أعوذ على ذى اللب و الجهل منهم بحلمى و لو عاقبت غرّقهم بحرى[4]
١٠ أناة و حلما و انتظارا بهم[5] غدا فما أنا بالفانى[6] و لا الضرّع الغمر
و إنى و إياهم بمنزلة[7] القطا و لو لم تنبه[8] كانت[9] الطير لاتسرى

(١) و قع فى الأصل هنا «لاى» و قد مر فى ص ١١٨ «لاوى».
(٢-٢) فى الأصل: وعلة بن الحارث - خطأ.
(٣) فى الكامل للمبرد ص ١٥٥: لأجبر.
(٤) ليس البيت فى الكامل للمبرد و نزهة الأبصار ١ / ٥٠٧.
(٥) فى نزهة الأبصار: بكم.
(٦) فى نزهة الأبصار و الكامل: بالوانى. و زيد فى الكامل: «و ينشد: بالفانى»، و فى مروج الذهب ٢ / ١٣٥: بالقالى.
(٧) فى الكامل للمبرد و نزهة الأبصار و الأخبار الطوال ص ٣١٧: كمن نبّه. و ليس البيت فى مروج الذهب.
(٨) من الكامل للمبرد و نزهة الأبصار، و فى الأخبار الطوال: لم ينبّه، و فى الأصل بدون نقط.
(٩) فى الكامل للمبرد و نزهة الأبصار و الأخبار الطوال: باتت.

أظن

Marfat.com

أظن[1] صروف[2] الدهر[3] و الجهل منهم[3] ستحملهم[4] منى على مركب وعر

ألم تعلموا أنى *صبور على الأذى* و أن قناتى لا تلين على الكسر[6]

قال: ثم قام عبد الملك بن مروان فى أهل الشام خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه و قال: يا أهل الشام! إن أهل العراق قد استعجلونى قدرى قبل انقضاء أجلى، اللهم فلا تسلط علينا ظالما، و لا تسلطنا على ظلم ٥ ولىّ من أوليائك، اللهم أصيبت سيوف أهل الشام على العراق حتى يبلغوا رضاك، فاذا بلغوا بهم رضاك فلا تجاوز بهم سخطك إنك على كل شى قدير. قال: ثم نزل عن المنبر و دخل إلى منزله فجعل يعطى الناس و يجهزهم إلى العراق، و بعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فدعاه- و كان خالد بن يزيد علامة بأيام الناس عارفا بكتب الفتن، فقال له: ١٠ ويحك يا أبا هاشم! هل تتخوف اليوم علينا من الرايات السود شيئا؟

---

(١) فى الأخبار الطوال: إخال.

(٢) فى الكامل للمبرد: خطوب.

(٣-٣) فى نزهة الأبصار: و الجهل منكم؛ و فى الأخبار الطوال: للحين منهم؛ و فى الكامل للمبرد: بينى و بينهم. و فى مروج الذهب: بينى و بينكم.

(٤) من الأخبار الطوال و الكامل للمبرد، و فى نزهة الأبصار: سيحملكم؛ و فى الأصل: سيحملهم. و فى مروج الذهب: ستحملكم.

(٥-٥) فى نزهة الأبصار: تخاف عزائمى، و فى مروج الذهب: تخاف عزائمى؛ و ليس البيت فى الكامل للمبرد والأخبار الطوال.

(٦) فى نزهة الأبصار: القسر.

Marfat.com

فاننا نجد فى الكتب أن ذهاب ملكنا على أيديهم ؛ قال له خالد : و ما اسم[1] [بلد[2]] هذا الرجل الذى خرج عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : سجستان[3] ؛ قال خالد : الله أكبر لا تخف[4] يا أمير المؤمنين ما لم يأتك الأمر من قعر مرو . قال : و جعل عبد الملك بن مروان لا ينام الليل من الفكر و الغم ، و ربما هجع و أغفى ثم يستيقظ كالفزع المرعوب و هو يقول : لقد تركنى ابن الأشعث فى هجوع[5] ، اللهم أدركه و اكفنى[6] أمره كيف شئت و أنى شئت .

قال : و فصل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من أرض فارس ، ثم كتب إلى عباد / بن الحصين الحبطى[7] ، و عباد يومئذ بالبصرة ، فكتب إليه : ١٠١ / ب

أما بعد فقد عرفت رأيك و فضلك و قدرك و حالك وطاعتك فى قومك و أهل مصرك ، و قد عرفت الحجاج و سوء أثره فيكم ، فاكتب إلىّ برأيك أتبعه فانك المستمع منه و المقبول قوله - و السلام . قال : فورد كتاب ابن الأشعث على عباد بن الحصين الحبطى[7] ، و عباد يومئذ شيخ كبير

---

(١) فى الأصل : انتم - كذا .
(٢) زدنا لاستقامة العبارة .
(٣) فى الأصل : من سجستان .
(٤) فى الأصل : لا تخاف .
(٥) فى الأصل : هجاع .
(٦) فى الأصل : اكفينى .
(٧) فى الأصل : الحنظلى ؛ و التصحيح من جمهرة أنساب العرب ص ١٩٧ .

Marfat.com

لا يستمتع منه بشيء إلا برأيه . فلما ورد عليه كتاب ابن الأشعث و قرأه قال : أوه! لو قال هذا القول لى و بى حراك أو نهوض لأبليت لله وللمسلمين بلاء حسنا ! قال : ثم إنه كتب إليه : أما بعد يا ابن الأشعث ! فانى لا أرى شيئا هو لك أمثل و لا خير لك من أن لا تمكن أهل البصرة من أذنيك، و إذا رأيت رأيا فأمضه ـ و السلام .

قال : فعندها دعا ابن الأشعث برجل من أشداء أصحابه يقال له عطية بن عمرو العنبرى، فضم إليه أربعة آلاف فارس و أمره أن يسير إلى كور فارس و رساتيقها فيجبى أموالها و لا يترك أحدا من شيعة الحجاج إذا قدر عليه إلا قتله . قال : فسار عطية بن عمرو فى البلاد فجعل يجمع الأموال و يبعث بها إلى ابن الأشعث، و ابن الأشعث يفرقها فى الناس و يقوم بها و يأمرهم بالاستعداد للحرب و القتال، فأنشأ أعشى همدان يقول فى ذلك :

من مبلغ الحجاج أ ّنى قد ندبت إليه حربا
حربا مذكّرة عوا نا تترك الشبان شيبا[1]
و تجندل البطل الكمـ ـىّ و تملأ الرعديد رعبا
نبئت [2]أن إبن[2] يو سف خرّ من زلق فتبا
فابعث عطية فى الخيو ل[3] يكبّهن عليك كبّا

قال : و سار ابن الأشعث حتى نزل إلى الأهواز، و بلغ ذلك

---

(١) فى الأصل : شهبا .

(٢-٢) فى الطبرى ٨/٤١ : أن بُنىّ ؛ و فى نزهة الأبصار ١/١٨١ : حجاج بن . والأبيات التالية ليست فيها .

(٣) فى نزهة الأبصار : الجيوش .

الحجاج و هو يومئذ بالبصرة ، فدعا بالحكم بن أيوب[1] ، بن أبى عقيل فاستخلفه على الصلاة ، و جعل عبد الله بن عامر بن مسمع على شرطة البصرة ، ثم جمع الناس و خرج فى جيش كبير حتى نزل على سبعة[2] فراسخ من الأهواز . [3]فدعا بعبد الله بن رميثة[4] الطائى من أهل حمص و مطهر بن [5]حر العكى[5] من أهل الأردن ، فضم إليهما[6] ثمانية آلاف/ فارس و أمرهم بالمسير إلى ابن الأشعث جادا مجدا . ١٠/الف ٥

و هذه أول وقعة كانت لابن الأشعث مع الحجاج

قال : فسارت الخيل حتى نزلوا بساحة ابن الأشعث ، قال : و عبى ابن الأشعث أصحابه و سار حتى وقف على نهر دجيل[7] ، ثم صاح بفرسه و عبر فعبر[8] الناس معه إلى خيل الحجاج و دنا[9] القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة من النهار ، و تقدم رجل من همذان من أهل الكوفة من

---

(١) فى الأصل : أبى أيوب ، و التصحيح من تاريخ ابن عساكر ٤/٣٨٩ و الطبرى ٨/١١ .

(٢) فى الأصل : سبع .

(٣) زيد فى الأصل : و بلغ ذلك الحجاج - كذا .

(٤) من الطبرى ٨/١٠ ، و وقع فى الأصل : دميت - مصحفا .

(٥-٥) من الطبرى ، وفى الأصل : حيى العتكى .

(٦) فى الأصل : إليهم .

(٧) فى الأصل : دستر ، والتصحيح من الطبرى ٨/١٠ و ابن الأثير ٤/٢٢٠ .

(٨) فى الأصل : عبروا .

(٩) فى الأصل : دنوا .

Marfat.com

أصحاب ابن الأشعث و فى يده راية له سوداء، فجعل يحمل على أصحاب الحجاج فمرة يطاعنهم بالراية و مرة يضاربهم بالسيف، فلم يزل كذلك حتى قتل منهم جماعة . قال: فصاح به رجل منهم من أهل الشام: حسبك يا صاحب الراية من دمائنا فى هذا اليوم! قال: و كثر القتل فى أصحاب الحجاج .

قال: و بلغ ذلك الحجاج و ذلك فى يوم الأضحى و الحجاج واقف على الجسر يخطب، فصعد إليه رجل من أصحابه فأخبره بالخبر . قال: فنزل الحجاج من منبره مسرعا، ثم أمر بالأثقال و بالأموال فوضعت فى السفن، و وقف ينتظر ما يكون من أمر أصحابه؛ قال: و إنه لكذلك إذ أتاه الخبر بأن أصحابه الثمانية آلاف قد قتلوا بأجمعهم فما انفلت منهم أحد، قال: فجلس الحجاج فى سفينة و مر فى جوف الليل هاربا منهزما حتى دخل البصرة بأشد حالة تكون .

قال الهيثم بن عدى قال أنبأنى عبد الله بن عياش[1] قال: كان لأهل العراق على أهل الشام النصر و الظفر فى ثلاثة مواطن، قتلوا منهم ستة و ثمانون ألفا، منها وقعة بابلا[2] يوم [3]يزيد بن أنس الأسدى[3] رحمه [الله] حين وجه به المختار، قتل من أهل الشام ثمانية آلاف؛ و منها وقعة خازر[4]

---

(١) فى الأصل : عباس ـ خطأ .

(٢) بابلا ـ بكسر الباء و تشديد اللام مقصور ـ قرية كبيرة بظاهر حلب بينهما نحو ميل ـ معجم البلدان ٢/١٧ .

(٣ ـ ٣) فى الاصل : أنس بن يزيد السعدى ؛ والتصحيح من الفتوح ٦/ ١٤٠ والطبرى ٧/١١٣ .

(٤) فى الأصل : حارد ، و التصحيح من معجم البلدان ٣ /٣٨٨ ، وفيه « هو =

Marfat.com

مع إبراهيم بن الأشتر، قتل عبيد الله بن زياد و قتل معه نيف على سبعين ألفا؛ و منها يوم دجيل[1]، قتل منهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ثمانية آلاف.

قال: و أقبل ابن الأشعث على أصحابه فقال: يا أهل العراق! أما هذا الذى كان فليس عندى بشىء، و لكنى أريد عبد الملك بن مروان[2].

قال: ثم أقبل من دجيل[1] فى طلب / الحجاج إلى البصرة، و بلغ ذلك ١٠٥/ب الحجاج فقطع جسر الأبلة و ضم الأسواق ثم نادى فى عسكره و قال: يا أهل الشام! انظروا لا تتركوا بالمُكلاَ شيئا من العلف و الطعام إلا أخذتموه و نقلتموه إلى العسكر، فانما الناس أحد رجلين: فمن لحق ما أعطيناه من طعامه و علفه، و من لحق بعدونا فدمه حلال لنا.

قال: و أقبل ابن الأشعث و نزل بالبصرة ثم قال: علىّ بعباد بن الحصين الحبطى[3]! فانه شيخ بنى تميم، و إنى أحب أن آخذ برأيه. قال: فأتى بعباد بن الحصين يحمل فى محفة له حتى قعد بين يديه، فلما رآه رحب به و قرّبه ثم قال: يا أبا جهضم! أشر على برأيك، فقال له عباد ابن الحصين: أيها الأمير! إنك قد أسأت الرأى حين سرت من سجستان إلى العراق و لم تبدأ بخراسان فتأخذها فتكون قد جمعت أمر الثغر جميعا،

= موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد و إبراهيم بن مالك الأشتر النخعى فى أيام المختار و يومئذ قتل ابن زياد الفاسق».

(١) فى الأصل: دستر.

(٢) فى الطبرى ٨ / ١١: «خطب ابن الأشعث أصحابه فقال: أما الحجاج فليس بشىء و لكنا نريد غزو عبد الملك».

(٣) فى الأصل: الحنظلى.

Marfat.com

و أسأت أيضا حين هزمت أصحاب الحجاج بدجيل[1] و لم تنزل الأهواز فتبعث إلى البلاد فتأخذها و تترك الحجاج ههنا يموت جزعا[2]، و الآن فان الرأى عندى أن تترك المربد[3] و تضرب فيه عسكرك و تخندق على نفسك خندقا، فان الحجاج قد نزل الزاوية[4]، فان جاءتك خيل من قبله أخرجت إليها خيلا مثلها، قال فقال له عبد الحميد بن المنذر بن الجارود: ويحك يا أبا جهضم! أتخندق خندقا على المربد و فيه دور بنى أمية و دور الأزد و دور عبد القيس! لا و الله ما هذا برأى! قال: فغضب عباد بن الحصين ثم قال: ويحك يا عبد الحميد! إن الأمر عندنا أعظم من أن ينظر فى الدور، إن غلبنا الحجاج فما أقدرنا على الدور! فقال عبد الحميد: لا و لكنى أرى من الرأى أن تنزل الخريبة[5] فتعسكر بها ثم تقاتل عن البصرة كلها، قال: فوقع هذا الرأى بقلب الأشعث فأخذ به. ثم نزل الخريبة فعسكر بها، ثم خندق على نفسه خندقا، و صار إليه أشراف الناس من قريش و سائر العرب، و عزم الحجاج على حربه.

---

(١) فى الأصل: بدستر.

(٢) فى الأصل: و جزعا.

(٣) فى معجم البلدان ٨/ ١٢: «مربد البصرة من أشهر محالها وكان يكون سوق الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس».

(٤) موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين و ذلك فى سنة ٨٣ للهجرة ـ المعجم ٤ / ٣٧١.

(٥) فى معجم البلدان ٣/٤٢٦: «الخربة ـ بلفظ تصغير خربة ـ موضع بالبصرة».

Marfat.com

و هذه الوقعة الثانية بالبصرة بين ابن / الأشعث ١ / الف
و بين الحجاج بن يوسف

قال : و دنا[1] القوم بعضهم من بعض ، و الحجاج يومئذ فى ثلاثة و عشرين ألفا من أهل الشام و من تبعه من أهل العراق ، و ابن الأشعث فى زهاء عن ستين ألفا . قال : و جعل الحجاج يقول لأصحابه : أيها الناس ! إن حدث بى[2] حدث فأميركم من بعدى حكم بن أيوب[3] بن الحكم ، فان أصيب فسفيان بن الأبرد الكلبى ، فان أصيب فيزيد بن هبيرة المحاربى . قال : فزحف[4] الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خمسمائة نفر من أشد أصحابه ، منهم : عطية بن عمرو العنبرى ، و الحريش بن هلال السعدى ، و عبد الحميد ابن المنذر بن الجارود العبدى[5] ، و زياد بن مقاتل الجهدرى[6] و عبد الله ابن رزام[7] الحارثى ، هؤلاء الخمسة من فرسان أصحاب ابن الأشعث ؛ و قتل من أصحاب الحجاج أيضا جماعة ، فانتصف[8] بعضهم من بعض ، و جاء الليل فحجز بين الفريقين . فدعا ابن الأشعث بعبد الرحمن بن العباس

---

(١) فى الأصل : دنوا .
(٢) زيد فى الأصل بعده : فى .
(٣) فى الأصل : عبد الرحمن . (٤) فى الأصل : فزحفوا .
(٥) فى الطبرى ٨ / ١٢ : المنذر بن الجارود .
(٦) كذا ، و لعله : الجحدرى .
(٧) فى الأصل : دارم ؛ و التصحيح من الطبرى .
(٨) فى الأصل : فانتصفوا .

ابن

Marfat.com

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فاستخلفه على أصحابه و أمره بحرب الحجاج و أصحابه ، ثم خرج ابن الأشعث من عسكره فى جوف الليل فى ألف فارس من أبطال عسكره فسار فى الأجمة على الظهر حتى دخل الكوفة فأخذها ، و أصبح الناس و قد فقدوا ابن الأشعث فلم يعلموا ما حاله و خبره إلا الذين أعلمهم من خاصته . قال : و تزاحف[1] القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ، و أقام الحرب بين الحجاج ، و بين عبد الرحمن ابن العباس خليفة ابن الأشعث من بين يدى الحجاج و انهزم[2] أصحابه حتى صاروا إلى الكوفة ، و ابن الأشعث بها و قد احتوى على بيت مال الحجاج فأخذ جميع ما فيه ، و قد أخذ أيضا عامل الحجاج الذى كان بالكوفة و اسمه مطر بن ناجية[2] ؛ قال : فهمّ ابن الأشعث بقتله ، فقال : أيها الأمير ! فانى من شيعتك ! قال : فاستبقاه ابن الأشعث و أمره ، / فصعد المنبر ١٠٦/ب فشتم الحجاج و عبد الملك بن مروان جميعا و لعنهم ، ثم حرض على قتال أهل الشام ؛ فأنشأ رجل من أصحاب الحجاج يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

أبنى تميم ما لمنبر ملككم ما يستقر بعوده يتمرمر

إلى آخرها .

قال : و بلغ الحجاج أن ابن الأشعث قد أخذ الكوفة و احتوى على

---

(١) فى الأصل : تزاحفوا .

(٢) فى الطبرى ٨ / ١٤ : « ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة و قد كان الحجاج خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمى حليف حرب بن أمية على الكوفة » .

Marfat.com

بيت المال ، فضاقت عليه الأرض بما رحبت و لم يدر ما يصنع ، غير أنه جمع أصحابه فأعطاهم الأرزاق و أمرهم بالاستعداد ، ثم دعا بالحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيـــل و هو ختن الحجاج على أخته زينب[1] فاستخلفه على البصرة ثم سار يريد الكوفة ، حتى إذا تقارب منها عدل و ضرب عسكره بموضع يقال له دير الجماجم على سبعة[2] فراســـخ من الكوفة ، فنزل هنالك بأصحابه و أوليائه ـ و الله أعلم و أحكم .

ذكر وقائع دير الجماجم

قال : و جعل الحجاج يقول لأصحابه : هـذا موضع حسن و ليس بيني و بين أمير المؤمنين نهر يمنعني من المسير إليه ، و لي رستاقان هما[3] في يدي بابل[4] و الفلوجة[5] . قال : و بلغ ابن الأشعث أن الحجاج قد نزل بدير الجماجم ، فدعا بابن عمه عبيدالله بن إسحاق بن الأشعث فاستخلفه على الكوفة ، ثم جمع أصحابه و سار نحو الحجاج حتى نزل قريبا من دير الجماجم ، و كان بين عسكره و عسكر الحجاج بثق ماء مسدود ، إذا بثق لم يقدر أحدهم على قتال صاحبه ، فأرسل الحجاج إلى ذلك البثق ففتحه خوفا على عسكره أن يكبس في جوف الليل .

---

(١) زيد في الأصل : أيوب ـ خطأ . في تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٨٩ : « الحكم ابن أيوب بن الحكم الثقفي .... كان قد تزوج زينب أخت الحجاج » .

(٢) في الأصل : سبع ـ انظر معجم البلدان ٤ / ١٣١ .

(٣-٣) في الأصل : رستاقين هم .

(٤) في معجم البلدان ٢/١٨ : « بابل ـ بكسر الباء ـ اسم ناحية منها الكوفة و الحلة » .

(٥) انظر المعجم ٦ / ٣٩٨ .

Marfat.com

قال : و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فضم إليهم أشراف أهل الشام و أهل الجزيرة ، و وجه بهم إلى الحجاج مددا له فى سبعين ألفا ، ثم كتب إلى ابن الأشعث بالأمان له و لأصحابه على أنه يرجع عما هو عليه و يوليه أى بلد شاء ، و كتب أيضا إلى أهل العراق أنه قد بلغنى ما أنتم عليه من شتمى و خلعى ، فان كنتم إنما تريدون عزل الحجاج عنكم عزلته ، و أخرجت أهل الشام من بلادكم ، و وليت عليكم من تحبون ، و لا يرى العراق شاما[1] أبدا ـ و السلام . ١٠٧/ الف

قال : و أقبل عبد الله بن عبد الملك و عمه محمد بن مروان فى سبعين ألفا حتى نزلوا بدير الجماجم و ضربوا عسكرهم ناحية من عسكر الحجاج ، ثم بعث عبد الله بن عبد الملك بن مروان بالأمان إلى ابن الأشعث الذى كتب له عبد الملك بن مروان ، و بعث أيضا إلى أهل العراق بكتاب عبد الملك بن مروان إليهم ، فعزم[2] أهل العراق على أن يقبلوا ما فى الكتاب و أن يخذلوا ابن الأشعث ، ثم بلغهم بعد ذلك أن عبد الله بن عبد الملك و محمد بن مروان فى طاعة الحجاج و أنهم يصلون خلفه ، فغضبوا لذلك و شتموا عبد الملك و الحجاج ، و عزموا على الحرب و المناجزة .

قال : و دنا[3] القوم بعضهم من بعض ، فقال عبد الله بن عبد الملك

(١) فى الأصل : شام .
(٢) فى الأصل : فعزموا .
(٣) فى الأصل : دنوا .

Marfat.com

ابن مروان : يا أهل العراق ! أخرجوا إلينا أشرافكم حتى نكلمهم وننظر ما ذا أنتم عليـــه عازمون ! قال : فخرج[1] أهل العراق حتى وقفوا قبالة أهل الشام ، ثم انتسبوا بعضهم إلى بعض ، فلما قال عبد الله بن عبد الملك : أمير المؤمنـين ، قال[2] أهل العراق : أما عبد الملك فقـد عرفناه ، و أما أمير المؤمنين فلا نعرفه ، و قد خلعنا أبا الديان ـ يعنون بذلك عبد الملك ابن مروان . قال : فرجع[3] القوم بعضهم عن بعض ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ! أنّى ! قد آن لكم بأن القوم ما يريدون خلعى ، إنما يريدون خلع أمير المؤمنين و خلعـكم .

قال : ثم نادى الحجاج فى أصحابه ، و نادى ابن الأشعث فى أصحابه ، و دنا[4] القوم بعضهم من بعض ، و قد كان الحجاج فى ثلاثة و عشرين ألفا فجاء المدد فى سبعين ألفا فصار فى ثلاثة / و تسعين ألفا ، و ابن الأشعث ١٠/ب يومئذ فى زهاء عن ستين ألفا . فاقتتل[5] القوم هنالك قتالا شديدا لم يسمع بمثله . قال الهيثم بن عدى قال عوانة : فمن الناس من يقول إنهم اقتتلوا أربعة أشهر و أقل من ذلك ، و أما عبد الله بن عباش[6] فيذكر عن أصحابه أنهم اقتتلوا مائة يوم ، ليس من يوم إلا و ينتصف ابن الأشعث من الحجاج ،

---

(١) فى الأصل : فخرجوا .

(٢) فى الأصل : قالوا .

(٣) فى الأصل : فرجعوا .

(٤) فى الأصل : دنوا .

(٥) فى الأصل : فاقتلوا .

(٦) فى الأصل : عباس ـ خطأ .

و يزيد

Marfat.com

و يزيد يومئذ فى عسكر ابن الأشعث زهاء عن ثمانية آلاف رجل من القرآء و الزهاد و العباد ممن يرى قتل الحجاج جهادا ، منهم : محمد بن سعد[1] بن أبى وقاص ، و عبد الرحمن بن أبى ليلى[2] ، و عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى ، و عامر بن شراحيل الشعبى ، و زاذان [3]أبو عمر[3] مولى كندة ، و أبو البخترى الطائى ، و مسلم[4] بن يسار ، و سعيد بن جبير[5] ـ و أشباههم من الناس على ذلك ، مائة يوم مثل يوم واحد ما يفترون و لا يكيع بعضهم من بعض . فلما كان فى آخر الأيام اقتتلوا من صلاة المغرب إلى أن أصبحوا ، ثم رجع[6] عن بعضهم بعض[7] و قد قتل من الفريقين سبعة عشر ألف إنسان ، ثم وضعوا السلاح .

و صعد ابن الأشعث إلى منبر له فى عسكره ـ قد كان حمله قبل ذلك معه ـ فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن الحرب مجال تهلك فيها أنفس الرجال ، فان رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ظفر يوما[8] قط حتى

---

(١) فى الأصل : سعيد ـ خطأ ، انظر الطبرى ٨ / ١٧ و ابن الأثير ٤ / ٢٢٨ .

(٢) فى ابن الأثير : ليلة .

(٣-٣) فى الأصل : ابن عمرو ، و التصحيح من الطبقات لابن سعد ٦ / ١٢٤ .

(٤) فى الأصل : سليم ، و التصحيح من الطبقات لابن سعد ج ٧ ق ١ ص ١٣٥ و تاريخ الإسلام للذهبى ٣ / ٢٣٢ .

(٥) فى الأصل : جبيرة ـ خطأ ـ انظر الطبقات لابن سعد ٦ / ١٧٨ .

(٦) فى الأصل : رجعوا .

(٧) فى الأصل : بعضا .

(٨) فى الأصل : يوم .

Marfat.com

ينال منه و من أصحابه ، فان كان هذا الأمر فى قريش [1]فقد فقأتم[1] بيضة قريش ، و إن يكن فى غيركم من العرب فأنا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس[2] بن معدى كرب . أيها الناس ! إنكم لتعيرون آل مروان بأمهم الزرقاء ، و لا و الله ما كان لهم نسب قط أشرف من الزرقاء ! و إنكم تعلمون أن مروان هو الطريد بن طريد[3] رسول الله صلى الله عليه و سلم .

قال : و إنه على منبره يقول ما يقول إذ نادى منادى الحجاج بالقتال ، فزحف[4] القوم بعضهم إلى بعض ، فجعلوا يقتتلون و يتناجزون و ابن الأشعث واقف على المنبر ، و إن السهام لتأتيه من بين يديه حتى تجوزه فما يستتر منها بشىء و لا يتقيها ، لكنه ينظر إلى أصحابه كيف يقتلون . / فلم يزل كذلك حتى وقعت الهزيمة على أصحابه من خيل خرجت ١٠٨/الف ١٠
لهم فى الكمين ، فمروا منهزمين لا يقف أحد على أحد حتى دخلوا الكوفة ، فلما نظر ابن الأشعث إلى ذلك نزل عن المنبر فاستوى على فرسه ، ثم وقف على حامية الناس فى قريب من ألف رجل ، فجعل مرة يحمل عليهم فيكشفهم ، و مرة يدنو من الكوفة ، فنظر إلى أبياتها

(١-١) فى الأصل : فقد بقيتم ؛ و فى الطبرى ٨/١٦ : فمنّ فقئت . و فى ابن الأثير ٤ / ٢٢٨ : فمنى تقويت .

(٢) زيد فى الأصل : بن يزيد - خطأ ، و التصحيح من جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٩ .

(٣) فى الأصل : الطريد .

(٤) فى الأصل : فرحفوا .

Marfat.com

فكبر و دخلها بجمل يحمل نساءه و حريمه و أولاده و أمواله حتى صار إلى السوس فنزلها و معه زهاء عن عشرة آلاف من أصحابه ، و سائرهم قد تفرقوا فى البلاد .

قال : و الحجاج فى موضعه ذلك بدير الجماجم لا يبرح حتى علم أن ابن الأشعث قد خرج ، فأقبل[1] حتى دخل الكوفة و تلاحقت به الناس من دير الجماجم ، ثم دخل الحجاج إلى قصر الإمارة و دعا الناس إلى البيعة، فبايعوه من كل ناحية ، قال : و تقدميت إليه قبائل النخع لتبايعه و تطابقه و تشايعه - و الله أعلم و أحكم .

ذكر مقتل كميل بن زياد رضى [الله] عنه صاحب على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال فقال الحجاج : يا معشر النخع ! أخبرونى عن كميل بن زياد من أى قبيلة هو منكم ؟ فقالوا : من بنى الصُهبان ، فقال الحجاج : لا و الله ! لا خرجتم من الدار أو تأتونى به و إلا ضربت أعناقكم . قال فقال الهيثم بن الأسود و كان ممن يتمسك بطاعة بنى مروان : أصلح الله الأمير ! مهلا عن كميل بن زياد ، فان أمير المؤمنين عثمان بن عفان و أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان و ابنه يزيد و معاوية بن يزيد و مروان بن الحكم و أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كل هؤلاء قد عرفوا قدر كميل بن زياد ، و قد عرفوا رأيه و مذهبه فعفوا عنه، فاعف عنه أيها الأمير ! قال: فغضب الحجاج ثم قال:

(١) فى الأصل : اقبل .

Marfat.com

أما و الله يا ابن الأسود لتحسن أو لتكربنى ! فقال الهيثم بن الأسود : قد و الله حميته عنك يا حجاج ! قال : ثم خرج من عنده و أتى بكميل بن زياد رحمه الله - و الحجاج فى وقته ذلك مشغول برجل قدم إليه يقال له [1]عتيبة بن النهاس[1] العجلى ، فقال له الحجاج : / أنت [1]عتيبة بن النهاس[1]؟ ٢/ ب
فقال : نعم أصلح الله الأمير أنا [1]عتيبة بن النهاس[1] ، فقال له الحجاج : بايعت عدونا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؟ قال : نعم أيها الأمير بايعته خوفا على نفسى و أهلى و ولدى و لم أقاتل معه أحدا ، فليسعنى عفوك و اصطنعنى - فقال الحجاج : يا عبد النخع أ مقعد فى الجماعة و صحيح فى الفتنة ! فعلت بعثمان بن عفان ما فعلت ثم عفا عنك يزيد و ابنه معاوية ابن يزيد و مروان بن الحكم و أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، [2]ثم قدمت العراق فعفوت عنك و برّرتك و رفعت قدرك ، فلما نظرت إلى مطر بن ناجية - و هو أعرابى من أعراب بنى تميم - يشتمنى على المنبر و يشتم عبد الملك بن مروان نهضت معه فى ذلك و صوّبت رأيه ! قال : ثم التفت الحجاج إلى يزيد بن هبيرة المحاربى فقال له : يا يزيد ! خذه إليك فاضرب عنقه صبرا ، قال : فقدم كميل بن زياد رحمه الله فضربت

(١-١) فى الأصل : عتبة بن النهاش ، و التصحيح من الإصابة ٥ / ١٠٥ ، وفيه : «عتيبة بن النهاس - بنون و مهملة - العجلى ، واسم النهاس عبدل بن حنظلة بن يام - بتحتانية - ابن الحارث كان من كبار العجلين ، لكن ليس فيه سنة وفاته .

(٢) زيد فى الأصل : وأن .

عنقه

Marfat.com

عنقه صبرا[1] .

قال : وجعل الحجاج يؤتى برجل بعد رجل فمنهم من يراقب فيه عشيرته فيعفو عنه ، و منهم من يأمر بضرب عنقه . قال: و بلغ ذلك ابن الأشعث و هو يومئذ مقيم بالسوس فجعل يقول[2] :

فما كنا أناسا[3] أهل دين فنصبر للبلاء[4] إذا ابتلينا

[5]وما كنا[5] أناسا أهل دنيا [6]فننصرنا و إن[6] لم نرج دينا

قال فقال بكير بن هارون البجلى : أيها الأمير ! إنما الدنيا بالرأس ، فان لم تثبت الرأس فأحرى أن لا يثبت الذنب ، و لو وقفت لوقفنا معك و كنا نموت كراما و لا نترك أرضا لبقية آل ثمود ؛ قال : ثم أنشأ بكير بن هارون فى ذلك يقول :

نفينا عتاة الشام عن عقر أرضنا[7] فلا خسرنا[8] مضر و لا البيع رابح

---

(١) فى الطبرى ٨/٢٧ : قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبى من بنى عامر بن عوف ابن عم منصور بن جمهور . وفى تاريخ الإسلام للذهبى ٣/٢٩٣ : فبعث (الحجاج) إليه ابن أدهم الحمصى فضرب عنقه .

(٢) فى الطبرى : « لما مضى ابن محمد فى مفازة كرمان و أتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرا فى المفازة فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكرى » ثم وردت الأبيات . انظر أيضا ابن الأثير ٤/٢٣٤ .

(٣) فى ابن الأثير : بناس .

(٤) فى الطبرى و ابن الأثير : فى البلاء .

(٥-٥) من الطبرى و ابن الأثير ، و فى الأصل : لكنا .

(٦-٦) فى الطبرى و ابن الأثير : فنمنعها و لو .

(٧) فى الأصل : أرضا .

(٨) فى الأصل : فلا خبرنا .

تركنا لهم صحر العراق و ناقلت بنا الأعوجيات الطوال السوائح
فقل للغوانى أن تبكين غيرنا و لا تبكنا[1] إلا الكلاب النوائح
١٠ / الف / لعمرى لأهل الشام أطعن بالقنا و أحمى لما يخشى عليه الصفائح

قال: ثم دعا الحجاج بعمرو بن هانئ العنبسى فاستخلفه على الكوفة و خرج فى طلب ابن الأشعث فى زهاء عن ثلاثين ألفا، و ترك باقى جيشه بالكوفة. ثم سار يريد المدائن و قد كان بالمدائن يومئذ محمد بن [سعد بن] أبى وقاص فى قريب من عشرة آلاف من أصحاب ابن الأشعث، فلما أحس بالحجاج أنه قد وافاه ترك البلاد و خرج بمن معه هاربا حتى لحق بابن الأشعث و هو يومئذ بالسوس، قال: فوثب ابن الأشعث و قال: أنت فى عشرة آلاف فارس من نخبة أهل العراق و تهرب من بين يدى الحجاج، هلا وقفت له وقفة! فان كانت لك فذاك، و إن لم تكن لك لم يضعف أمرك! قال: فسكت محمد بن سعد[2] ابن أبى وقاص و لم يقل شيئا. قال: و جعل أعشى يضعف رأى أهل الكوفة و يخيبهم و يذكر صبر أصحاب الحجاج، فأنشأ فى ذلك أبياتا مطلعها:

أبى الله إلا أن يتم نوره و يخمد[3] نار الفاسقين فتخمدا[4]

---

(١) فى الأصل: لا تبكينا.

(٢) فى الأصل: سعيد ـ خطأ.

(٣) فى الطبرى ٨ / ٣٢ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٦ و نزهة الأبصار ٢ / ١٨٢: يطفئ.

(٤) فى الطبرى: نور الفاسقين فيخمدا.

Marfat.com

إلى آخرها . قال : و بلغ هـذا الشعر الحجاج بن يوسف فتبسم له ثم قال : "يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم" ، و الله لئن ظفرت به لأضربن عنقه . قال : و بلغ هذا الشعر ابن الأشعث فقال : مدق[1] و الله أعشى همدان! لقد وِنينا و عجزنا ، يا غلام ! احمل إليه مائة دينار .

ثم جمع ابن الأشعث عساكره و سار بهم يريد البصرة ، و بلغ ذلك الحجاج و الحجاج يومئذ مقيم بالمدائن ؛ فسار نحو ابن الأشعث أيضا يريد البصرة ، فأخذ على شاطئ الدجلة حتى انتهى إلى موضع يقال له المفتح[2] ، و بلغ ذلك ابن الأشعث فصار إليه حتى وافاه بالمفتح .

ذكر وقعة القوم بالمفتح[3]

قال : و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالا شديدا . قال الهيثم : فذكر عوانة أنهم اقتتلوا بالمفتح[3] عشرين يوما ، كل ذلك على الحجاج حتى قتل من أصحابه مقتلة عظيمة و همّ أن ينهزم ، فلما رأى ذلك بعث إلى الكوفة فجاءته الجيوش فى أربعين ألفا ، فلما رأى أصحاب ابن الأشعث ذلك كأنهم جزعوا من تلك العساكر ثم اقتتلوا ، فصارت / ١٠٩ / ب الدائرة على أصحاب ابن الأشعث ، فقتل منهم فى يوم واحد فى معركة

(١) كذا ، و لعله : مرق .
(٢) فى معجم البلدان ٨ / ١٠٦ « قرية بين البصرة و واسط و هى من أعمال البصرة » . و ذكر الطبرى و ابن الأثير : مسكن . و قال ياقوت فى معجم البلدان ٨ / ٥٦ : « و قد ذكر الحازمى أن مسكن أيضا بدجيل الأهواز حيث كانت وقعة الحجاج بابن الأشعث و هو غلط منه » .
(٣) فى الأصل : بالفتح .

Marfat.com

واحدة نيف على ثلاثة آلاف ، و أسر منهم خلق كثير . فقال الحجاج : هذا فتح الفتوح .

قال : ثم اجتمعت القراء الذين فى عسكر ابن الأشعث إلى الحسن ابن يسار[1] البصرى ، و الحسن يومئذ مقيم بالمفتح[2] فقالوا له : يا [أبا] سعيد : هات ما عندك و تكلم بما ترى! فقال الحسن : إنى أرى أنها فتنة صماء ، و ذلك أنكم لم تختلفوا فى ربّ[3] و لا نبى و لا كتاب و لا قبلة ، فرحم الله عبدا اتقى ربه و نظر ليوم معاده ! قال : فقال له الناس : أبا سعيد ! فما أغنى عنا[4] كلامك ، فكف عنا يرحمك الله ! أيقتل منا مثل أبى البخترى الطائى و عبد الله بن شداد بن الهاد و عبد الرحمن بن أبى ليلى و تقول هذه المقالة ! إليك عنى فما أنت الا رجل مرائى مداهن .

ذكر الأسارى و من قتل منهم صبرا يوم المفتح[5]

قال : ثم أمر الحجاج أن تقدم إليه الاسارى ! فأول من قدم إليه منهم الفضل بن مروان مولى بنى البكّاء و كان شريفا فى الموالى ، فقال له الحجاج : أ فضل[6] ؟ قال : نعم ، قال الحجاج : خبرنى عنك ، ألم استعملك ؟ قال الفضل : بلى استعبدتنى ، قال الحجاج : ألم أكرمك ؟ قال الفضل[7] : بل أهنتنى ! قال الحجاج : و الله لأقتلنك ! قال الفضل[7] : و الله لأخاصمنك فى دمى

(١) فى الأصل : الحسن ـ خطأ .
(٢) فى الأصل : بالفتح .
(٣) فى الأصل : ريب .
(٤) فى الأصل : عن ـ كذا .
(٥) فى الأصل : الفتح .
(٦) فى الأصل : فضيل .
(٧) فى الأصل : الفضيل .

إلى

Marfat.com

إلى ربى، قال الحجاج: إذا أخصمك، قال الفضل: الحكم إلى غيرك! فقال الحجاج: اضربوا عنقه.

قال: ثم أتى بالطفيل بن حكيم الطائى فقال له الحجاج: أطفيل؟ قال: نعم ياحجاج! طفيل، قال: ألم تقدم العراق أعرابيا لايفرض لمثلك ففرضت لك؟ قال طفيل: بلى، قال الحجاج: فما أخرجك علىّ؟ فقال: أبا محمد! إن رأيت أن تأذن لى حتى ألحق بأهلى! فقال الحجاج: و أنت مشتاق اليهم؟ فقال: نعم يا حجاج! فقال: ذهب والله عقل الرجل! سواء علىّ قتلت هذا أو قتلت مجنونا، خلوا عنه، قال: فكان ابن عياش[1] يقول: و الله لقد كان طفيل/ بن حكيم من أعقل الناس و أدهاهم، ١١٠/الف/ و لكنه أوهم الحجاج أنه قد ذهب عقله، فأفلت من يده.

قال: ثم قدم إليه أعشى همدان، فلما نظر إليه الحجاج قال: يا عدو نفسه! ألم أقدم العراق فأكرمتك، و قبلت شعرك، و جعلتك إمام قومك، و قدمتك عليهم فى الإذن؟ قال: بلى؛ قال الحجاج: فما أخرجك علىّ؟ و لست القائل فى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث:

فاذا[2] سئلت[3] المجد أين محله فالمجد بين محمد و سعيد
بين الأشج[4] و بين قيس باذخ بخ بخ لوالده و للمولود

(١) فى الأصل: عباس.
(٢) فى نزهة الأبصار ١ / ١٨٣: وإذا.
(٣) من نزهة الأبصار، و فى الأصل: سالت.
(٤) كذا فى الطبرى ٨ / ٣٣، وفى نزهة الأبصار: الأغر.

Marfat.com

قال : أصلح الله الأمير أنا القائل :

أخبثا و لؤما و ارتدادا و ذلة أهان إلهى ما أهان فأبعدا[1]

فقال : إنك لشديد التحريض على أهل العراق ، ألست القائل :

أمكن ربى من ثقيف همدان يوما إلى الليل أسلّى[2] ما كان

يا عدو نفسه ! لقد أمكن الله ثقيفا منك و لم يمكنك من ثقيف ، و الله ما مدحت بعدها أبدا ، ثم أمر به فضربت عنقه .

قال : و قدم إليه عامر بن المعتمر التميمى ، فلما رآه الحجاج قال : هذا شيخ لم يقر على نفسه بالنفاق ! فقال : بلى و الله يا حجاج و أقول : ما فارقك إلا كافر . فقال الحجاج : خلوا عنه .

قال : ثم قدم إليه أيضا رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن مالك فقال : يا حجاج ! كافنى بلاء عندك و لا تقتلنى ، فقال له الحجاج ! ما بلاؤك عندى ؟ فقال : قام فينا ابن الأشعث بسجستان فما ترك سوءا إلا قاله فيك ، ثم إنه ذكر أبويك ، فقمت إليه فقلت : أيها الرجل ! أما الحجاج فأنت أعلم ، و أما أبواه فكف عنهما فما والله فيهما من وصم و لا قادح[3]. فقال الحجاج : و من يعلم هذا منك ؟ فالتفت التميمى إلى فتى

---

(١) البيت فى الطبرى : وابن الأثير ٤ / ٢٣٧ : .

أنكثا و عصيانا وغدرا وذلة أهان الإله من أهان وأبعدا

(٢) فى نزهة الأبصار : يسلى .

(٣) فى ابن الأثير ٤ / ٢٣٨ : « قيل : وأتى الحجاج بأسيرين فأمر بقتلهما ، فقال أحدهما : إن لى عندك يدا ! قال : و ما هى ؟ قال : ذكر عبد الرحمن يوما أمك بسوء فنهيته ».

Marfat.com

من الأسارى من بجيلة . فقال : هذا يشهد بذلك و قد كان معى حاضرا فى ذلك اليوم ، قال فقال الحجاج للبجلى : هكذا كان أيها الرجل ؟ قال : نعم أيها الأمير ! لقد سمعت ذلك ؛ قال الحجاج : خلوا عنهما جميعا . قال : فقال للشاهد بعد ذلك : هل كان من هذا شىء ؟ قال : لا / و الله ! و لكنى ١١٠/ب رأيت موضعا رجوت فيه الفرج .

قال : ثم قدم إليه قيس بن مسعود بن عطارد التميمى و معه ابنه و ابن أخيه ، فلما رآه الحجاج قال : أمسعود ؟ قال : نعم أيها الأمير ! قال : ما ظننتك إلا عند صهرك أبى حفص عمر بن محمد بن الحكم بأرض البلقاء ؛ ثم قال الحجاج : اعزلوهم ناحية . فقال يزيد بن أبى كبشة السكسكى - كان جالسا عن يمين الحجاج فقال : سبحان الله ! " اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر " ؟ [فقال الحجاج] : أظننت أنى إنما عزلتهم لمصاهرتهم إيانا ، ردوهم ، فضربت أعناقهم .

قال : ثم قدم إليـــه عمران بن عصام العنبرى فقال له الحجاج : أعمران ؟ قال : نعم أيها الأمير ! قال : ألم أقدم العراق و أنت صعلوك فشرفتك ، و زوجتك سيدة النساء قومها ماوية بنت مقاتل بن مسمع و لست لها بكفوء ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : فما أخرجك على ؟ قال : الشقاء ، قال : صدقت ، ثم قدم فضربت عنقه .

فـكان آخر من قدم إليه فى ذلك اليوم رجل زعمت كندة أنه منهم ، فلما وقف بين يدى الحجاج رفع صوته فقال : ما لك يا حجاج لا جزاك الله عن الإسلام و القرآن و آية خيرا ، قال الحجاج : و لم ذلك ؟

Marfat.com

ويلك ! قال : لأنك لم تأخذ فينا بقول الله تعالى إذ يقول " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد و اما فداء حتى تضع الحرب أوزارها[1] " فنحن الذين كفروا بزعمك ، فلا و الله ما منذت و لا فديت ! قال فقال الحجاج : ما له لعنه الله فلقد خصمنى ! قال : ثم التفت الحجاج إلى جلسائه فقال : ويحكم ! أما كان فيكم أحد يتلو هذه الآية حتى تلاها هذا المنافق ؟ خلوا سبيله و سبيل من بقى من الأسارى بقول ذلك الرجل .

قال : و مر ابن الأشعث منهزما حتى صار إلى السوس ثانية فنزلها فى جميع أصحابه الذين بقوا معـــه . و أقبل الحجاج منصرفا على شاطئ الدجلة حتى صار إلى موضع مدينة واسط ، فنزل هنالك ثم قال : هذا منزل وسط بين البصرة و الكوفة و الأهواز و المدائن[2] ، ثم أمر فبنى له بها قصرا و مسجدا / فسمى واسطا إلى يومنا هذا . ١١١/الف

قال : ثم دعا الحجاج برجل من وجوه أصحابه يقال له عمارة[3] ابن تميم اللخمى فضم إليه جيشا كثيفا من أهل الشام و الجزيرة و العراق و وجه بـــه فى طلب ابن الأشعث ، فخرج ابن الأشعث للقاء عمارة ، فالتقى القوم على شاطئ نهر السوس فاقتتلوا ، و انهزم ابن الأشعث من

---

(١) سورة ٤٧ آية ٤.

(٢) انظر معجم البلدان ٨/ ٣٨٠ .

(٣) من الطبرى ٨ / ٢٧ وابن الأثير ٤ / ٢٣٣ و كذا سيأتى بعد . و فى الأصل هنا : عمار ـ خطأ .

بين

Marfat.com

بين يدى عمارة بن تميم هزيمة قبيحة ، و تبعه عمارة فلم يزل يهزمه حتى بلغ إلى سابور فارس ، و التقى القوم أيضا بسابور فاقتتلوا ، و انهزم ابن الأشعث نحو بلاد كرمان و تفرق عنه أصحابه ، و لم يتبعه عمارة ابن تميم ، و كتب إلى الحجاج يخبره بهزيمته من بين يديه ، فأمر الحجاج بالرجوع عنه .

ذكر هرب ابن الأشعث إلى بلاد كرمان

قال : و جعل ابن الأشعث يسير إلى بلاد كرمان و بين يديه رجل يمشى و قد تخرقت ثيابه و خفاه ، فنظر إليه ابن الأشعث على تلك الحالة فجعل يقول :

منخرق الخفين يشكو الوجا سكنه[1] أطراف مرو حدادِ[2]
شرذمة الخوف بلا مرة[3] كذاك[4] من يكره حرّ الجلاد
قد كان فى الموت له راحة والموت رهن[5] فى رقاب العباد[6]

قال : فالتفت إليه رجل فقال : هلا ثبت حتى نموت معك .

قال : و مضى ابن الأشعث حتى انتهى إلى مدينة بست و بها يومئذ

---

(١) فى الطبرى ٨ / ٤١ : تنكبه .
(٢) فى الأصل : و حداد .
(٣) المصراع فى الطبرى : يطرده الخوف فهو تائه .
(٤) من الطبرى ، و فى الأصل : و كذلك .
(٥) فى الطبرى : حتم .
(٦) من الطبرى ، و فى الأصل : الهاد .

Marfat.com

عامل يقال له عياض بن همیان[1] السدوسى فسكت عن ابن الأشعث حتى دخل المدينة ، ثم وثب عليه فأخذه و شده فى الحديد ، و عزم أن يوجه به إلى الحجاج . قال : فقامت إلى عياض هذا أم ولد يقال لها سهلة ، فكلمته فيه فقالت : ويحك ! تقتل مثل ابن الأشعث و قد ولاك هذا البلد ! اذكر بلاءه عندك مع أنى لست آمنه عليك . قال : و إذا الجيوش قد أقبلت حتى دخلت مدينة بُست ، فلما بلغهم أن ابن الأشعث فى الحديد هجموا على عياض بن همیان[2] فقالوا له : يا عدو نفسه ! تعمد إلى من قد أنعم عليك و جعلك عاملا على هذا البلد / فتكبله فى الحديد؟ فقال ١١/ب عياض : إنى إنما فعلت بالأمير ما فعلت و أوثقته عندى مخافة أن يدخل أرض الترك و يتركنا ههنا بلا أمير . فقال ابن الأشعث لأصحابه : خذوه إليكم و أطلقونى من هذا الحديد ، قال : فأطلقوه ، فعمد إلى عياض بن همیان[2] هذا فضرب عنقه ، و صلبه ، و أخذ أمواله و خرب منزله[3] .

---

(١) من الطبرى ٨ / ٢٨ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٤ ، و فى الأصل : عمرو .

(٢) فى الأصل : عمرو .

(٣) فى ابن الأثير : « و قد كان رتبيل ملك الترك سمع بمقدم عبد الرحمن فسار اليه ليستقبله ، فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست و بعث الى عياض يقول : و الله لئن آذيته بما يقذى عينه أو ضررته ببعض الضرر أو اخذت منه و لو حبلا من شعر لا أبرح حتى أستذلك و أقتلك و جميع من معك و أسبي ذراريكم و أغنم أموالكم ! فاستأمنه عياض فأطلق عبد الرحمن ، فأراد قتل عياض فمنعه رتبيل » أنظر أيضا الطبرى ٨ / ٢٨ .

Marfat.com

قال : و اجتمع الناس أيضا إلى ابن الأشعث من جميع البلاد و جاءته الفلول الذين فارقوه ، فصار فى سبعين ألفا أو يزيدون ، فعندها أعجبته نفسه و أشار عليه أصحابه ، بمحاربة يزيد بن المهلب ، فأبى عليهم و قال : مهلا عن يزيد ! فانه رجل لم يتحرك على فيمن تحرك و أنا أنهاكم عنه ، قال : فأبوا عليه و ضعفوا رأيه ، و قالوا : لا بد لنا من محاربته ، فقال لهم ابن الأشعث : أما إذا أبيتم علىّ فانى أجيبكم إلى ما تريدون من ذلك .

ذكر الوقعة مع يزيد بن المهلب

قال : فعقد ابن الأشعث بعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى عقدا و ضم إليه أصحابه و أمره بمحاربة يزيد بن المهلب ، قال : و خرج القوم نحو يزيد بن المهلب فى زهاء ستين ألفا ، و يزيد يومئذ بمدينة هراة من خراسان[1] ، فلما بلغه مسير القوم إلى ما قبله جمع أصحابه و سار إليهم من هراة فى جمع عظيم حتى وافاهم بموضع يقال له المنعرج[2] و دنا القوم بعضهم من بعض ، فقال يزيد بن المهلب : ويلكم يا أهل العراق ! أفسدتم علينا العراق ثم أتيتمونا و نحن فى نحر العدو ليتفرقوا

(١) هراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان - معجم البلدان ٨/٤٥١ (٢) فى الأصل : المنفرج ، و فى معجم البلدان ٢/١٩٧ : « و لما سار عتبة عن البصرة بلغ المغيرة أن دهقان ميسان كفر و رجع عن الإسلام و أقبل نحو عتبة البصرة ، و كان قد غزاها و فتحها ، فسار إليه المغيرة فلقيه بالمنعرج فهزمه و قتله ».

جماعتنا ، تبا لكم من قوم ما أضل حلومكم ! فناداه أصحاب ابن الأشعث و قالوا : أدرعنك يا مروزى ! فانا ندعوك إلى كتاب الله و سنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، ثم قال يزيد : ويلكم من هذا الذى يرغب عن كتاب الله عز و جل و سنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ! ثم قال : يا هؤلاء مهلا ! فانى قد أجلتكم ثلاثا لتنظروا فى أمركم ، فقالوا : لا و لا ساعة من نهار ؛ ثم عطعطوا و ضجوا ، فقال يزيد : اللهم ! إنى استنصرك عليهم ، ثم حمل و التقى الجمعان فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من أصحاب
١/ الف / ابن الأشعث بشر كثير ، و أسر منهم جماعة .

و فيمن أسر منهم : محمد بن سعد بن أبى وقاص ، و عياش[1] بن الأسود بن عوف الزهرى ، و [عمر بن -[2]] موسى بن [3]عبيد الله بن معمر التميمى ، و عتبة[4] بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، و جماعة من قبائل مضر و اليمن ؛ فأما اليمانية فأطلقهم يزيد بن المهلب ، و أما المضرية فشدهم فى الحديد و وجههم إلى الحجاج .

قال : فقدم بالأسارى على الحجاج ، و الحجاج يومئذ بواسط

(١) من الطبرى ٨/٣٠ وجمهرة أنساب العرب ص ١٢٢ ؛ وفى الأصل : العباس ، وفى ابن الأثير ٤ / ٢٣٥ : عباس .

(٢) من الطبرى و ابن الأثير .

(٣) فى الأصل : عبد الله - خطأ .

(٤) فى جمهرة الأنساب ص ٦٧ : « فولد عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة : عتبة ، قتله الحجاج صبرا » .

Marfat.com

العراق ، فأول من قدم إليه محمد بن سعد بن أبى وقاص و قد كان يلقب بظل الشيطان من طوله ، فلما رآه الحجاج قال : يا ظل الشيطان ! كيف رأيت صنيع الله بك ؟ ثم التفت الحجاج إلى جلسائه فقال : إن هذا رغب عن يزيد بن معاوية و زعم أنه أحق بالأمر منه ، يتشبه بالحسين ابن على و عبد الرحمن بن أبى بكر و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير ثم ما زال يركض فى الفتن إلى أن تبع حوالى كندة و صار مؤدبا للظالمين[1] . قال فقال محمد بن سعد : أيها الأمير ! إنك قد ظفرت ، فان تعف فقد أمر الله عز و جل بالعفو ، و إن تقتل فقد قدرت ؛ فقال الحجاج : أبعدوه من بين يدى و هاتوا غيره ، قال : فأتى بعتبة بن عبيد الله[2] بن عبد الرحمن بن سمرة ، فقال له الحجاج : يا ابن الفاسق الدجال ! كيف رأيت صنيع الله فيك و فى أبيك من قبل ؟ قال : فسكت و لم يقل شيئا ، فقال : أبعدوه عنى ، فأبعدوه . و أتى بعياش[3] بن الأسود بن عوف الزهرى ، فلما رآه الحجاج قال : هذا و الله المجهول فى الجماعة المعروف فى الفتنة ، و الله لقد وليت العراق سبع سنين فما علمت أن لهذا والدا يعرف . قال : و لم يزل الحجاج يوبخ رجلا بعد رجل و يقول

---

(١) فى الطبرى ٨ / ٣٤ : « قال له الحجاج : أيها يا ظل الشيطان أعظم الناس تهيا و كبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية و تشبه بحسين و ابن عمر ثم صرت مؤذنا لابن كنانة عبد بنى نصر - يعنى عمر بن أبى النصلت » .

(٢) فى الأصل : عبد الله - خطأ .

(٣) فى الأصل : بالعباس .

Marfat.com

فيه القبيح ، ثم أمر الحجاج فضربت أعناقهم إلا نفرا منهم ، سأله فيهم قوم فوهبهم لهم .

قال : ثم دعا الحجاج عمارة بن تميم اللخمى فضم إليه جيشا و أمره بالمسير إلى ابن الأشعث و أن يطلبه حيث كان ، قال فسار إليه عمارة ، و كتب ابن الأشعث إلى رتبيل[1] ملك الداور : أما بعد فان عساكر الحجاج قد سارت إلى ما قبلى ، / و إنى قد عزمت على مصالحتك على أنى ١١٢/ب قد ملكتك البلاد و لا جزية عليك ـ و السلام . قال : فأجابه رتبيل[1] إلى ذلك و كتب إليه : إن أردت هذا ففرق من كان معك فى البلاد من أصحابك و هلم إلى ، فكن عندى إلى أن تنظر ما يكون من أمر الحجاج . قال : ففرق ابن الأشعث أصحابه فى بلاد الداور ثم أقبل فيمن بقى معه حتى صار إلى رتبيل[1] ، فأكرمه رتبيل[1] و قربه و أحسن إليه .

قال : و إذا كتاب الحجاج قد ورد على رتبيل : أما بعد فان ابن الأشعث قد صار الى ما قبلك ، و قد وجهت إليك بعمارة بن تميم اللخمى فى ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخلعوا طاعة و لم يبايعوا إمام الضلالة ، يستعظمون الحرب استعظاما ، و يقدمون عليها إقداما ، فاذا قدموا بلدك فسلم إليهم ابن الأشعث و أنت آمن فى بلدك أبدا ما بقيت ، لا يؤخذ منك الجزية ، و لا يغزوك أحد من العرب ، و تعطى فى كل سنة خمسمائة ألف درهم .

قال : فلما ورد كتاب الحجاج على رتبيل[1] وثب على ابن الأشعث

---

(١) فى الأصل : زنبيل .

Marfat.com

فى ستة و عشرين رجلا من أهل بيته ، فشدهم فى الحديد . قال : و بلغ ذلك أصحاب ابن الأشعث المتفرقين فى البلاد فهربوا ، فمنهم من قتل ، و منهم من أفلت . ثم وجه رتبيل[1] بابن الأشعث و بأهله مليكة بنت يزيد العامرى و من معه إلى عمارة بن تميم اللخمى . قال[2] : و ابن الأشعث يومئذ عليل و هو مع ذلك مثقل بالحديد فلم يصل إلى عمارة بن تميم حتى مات فى بعض الطريق[3] ، فاحتز القوم رأسه و حملوه إلى عمارة ، و أقبلوا بولده و أخيه و من معه إلى عمارة .

قال : و كتب الحجاج إلى عمارة أن اضرب أعناقهم هنالك و ابعث إلىّ برؤسهم . قال : فقدمهم ابن تميم فضرب أعناقهم بأجمعهم هنالك ، و بعث برؤسهم إلى الحجاج ، فوضعت[4] بين يديه و أدخلت إليه مليكة بنت يزيد امرأة ابن الأشعث . فلما نظر إليها الحجاج قال : يا مليكة ! أملكنا أمثل أم ملك الترك ؟ فقالت : أبا محمد ! إن لم تكن فحاشا فاحذر الجواب ! قال الحجاج : قد فعلت و لم أرد بهذا شيئا مما تظنين ، و ليس لك ذنب تعاقبين / عليه يا مليكة ! ثم جهزها الحجاج ١١٣ / ا بجهاز حسن و ألحقها بأهلها . ثم وجه برأس ابن الأشعث و رأس أخيه القاسم و رؤس أصحابه إلى عبد الملك بن مروان ، فلما وضعت بين يديه

(١) فى الأصل : زنبيل . (٢) بهامش الأصل : « وفاة ابن الأشعث » .

(٣) فى الطبرى ٨/٤٠ « فألقى نفسه من فوق إجار فمات » ؛ و فى ابن الأثير ٤/٢٤٢ « فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصره فمات » .

(٤) فى الأصل « فلما وضعت » .

Marfat.com

خرّ ساجدا ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله على حسن البلاء و تظاهر النعماء ! ثم أمر برؤسهم فطيف بها فى أجناد أهـل الشام و أهل مصر ، ثم بعث بها بعـد ذلك [1]إلى بئر برهرت - برهوت حضرموت[1] فألقيت هنالك - انقضى أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

٥ ذكر مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

ثم دعا الحجاج برجلين من عتاة أصحابه : أحدهما إسماعيل بن الأوسط[2]، و الآخر المتلمس[3] بن الأحوص ، و هما جميعا من ثقيف ، فضم إليهما نفرا من ثقات أصحابه ، ثم قال : اطلبا لى الآن سعيد بن جبير ، فأتيانى به من حيث ما كان ، فانه لم يكن فيمن خرج علىّ مع ابن الأشعث أشد منه ! فخرج القوم فى طلبه فجعلوا يسألون عنه و عن موضعه ، فلا يرشدهم إليه أحد . قال : فبينما هم كذلك إذ مروا براهب فى صومعة

(١ - ١) فى الأصل : «بئر رهوت رهوت حضرموت» كذا ؛ وفى معجم البلدان ٢/١٥٧ «برهوت بئر بحضرموت..... وقال محمد بن أحمد : و بقرب حضرموت وادى برهوت و هو الذى قال فيه النبي صلى الله عليه و سلم إن فيه أرواح الكفار و المنافقين» .

(٢) فى وفيات الأعيان ٢/١١٤ : إسماعيل بن واسط البجلى ، و فى لسان الميزان ١/٣٩٥ : «إسماعيل بن أوسط البجلى أمير الكوفة ، و كان من أعوان الحجاج ، و هو الذى قدم سعيد بن جبير للقتل» .

(٣) من حلية الأولياء لأبى نعيم ٤/٢٩١ ، و فيه «ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائدا من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى المتلمس بن الأحوص ، و معه عشرون رجلا من أهل الشام من خاصة أصحابه» و فى الأصل : المسيب - كذا .

فوقفوا

فوقفوا عليه فسألوه عنه، فقال الراهب: أما سعيد بن جبير فانى لا أعرفه، و لكنى رأيت رجلا مر بى من عشية أمس عليه جبة من صوف و كساء، فتوضأ بهذه البئر ثم صلى ركعتين و مضى فى هذه البرية، فلا أدرى إلى أين صار. قال: فسار القوم عند ذلك و جعلوا يقتصون الأثر حتى وقفوا عليه، فوجدوه ساجدا، قال: فلم يشعر سعيد بن جبير إلا و القوم على رأسه فسلموا عليه، فأوجز فى صلاته ثم رد عليهم السلام. ثم قال: ما وراءكم عافاكم؟ فقالوا: نحن رسل الأمير الحجاج ابن يوسف فأجب! فقال سعيد بن جبير: و لا بد لكم من ذلك؟ قالوا: نعم. فوثب سعيد و مشى معهم حتى انتهى إلى باب الدير و ذلك فى وقت المساء، فقال لهم الراهب: أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم قد أصبناه، قال: فادخلوا إذا الدير، فهذا موضع مسبع فلم يخل[1] من السباع، و هذا وقت المساء! فبادروا و دخلوا، قال: فدخل القوم و أبى سعيد / بن جبير أن يدخل معهم، فقال له القوم: يا ابن جبير! إنا نظنك أنك قد عزمت على الهرب! فقال: لا، و لكنى لا أحب أن أدخل منزلا لا يصلى فيه أهله الخمس، فادخلوا و ذرونى ههنا على باب الدير، فانى أعطيكم عهد الله و ميثاقه أن لا أبرح مكانى هذا حتى أصبح. قال: فتركوه و دخلوا الدير، و قام سعيد يصلى و الراهب ينظر إليه من فوق صومعته، فلما مضى من الليل ما مضى إذا بالأسد و اللبوة قد أقبلا جميعا إليه و هما يزئران حتى تقاربا منه ثم شماه و تنحيا عنه فريضا قريبا منه، و الراهب ينظر إلى ذلك، فصاح بالقوم و قال: يا هؤلاء! قوموا و انظروا إلى صاحبكم! قال: فأشرف

١١٣ / ب

(١) فى الأصل «فلم يخلو» كذا.

Marfat.com

أصحاب الحجاج من فوق حائط الدير ، فنظروا إلى سعيد بن جبير قائما يصلى و الأسد و اللبوة رابضان جميعا قريبا منه ، فعجبوا من ذلك ، ثم قال بعضهم لبعض : بأى وجه نلقى غدا و قد ذهب بمثل هذا الرجل إلى الحجاج و لعله أن يقتله ! و انصرف الأسد و اللبوة و أصبح القوم ، فأول من خرج [1] إليه الراهب صاحب الدير فأسلم ، ثم خرج إليه أصحاب الحجاج فقالوا : أيها الرجل الصالح ! إن الحجاج قد أخذ علينا الأيمان المغلظة أنا إن عايناك لم نفارقك فنأتيه بك ، فرنا بما شئت ! فقال سعيد : و لا بد لكم إذا قد حلفتم أن تحضرونى إليه ، و لا راد لقضاء الله و قدره . قال : فحمله [2] القوم على دوابهم و ساروا حتى تقاربوا من واسط ، قال لهم سعيد : لا تعجلوا ، هذه واسط قد بلغناها ، و لست أشك أن أجلى قد حضر ، و لكنى ذرونى الليلة حتى آخذ أهبة الموت ، فاذا أصبحت أدخلونى على صاحبكم ! قال : فسكت القوم و خلوا عنه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : لا نطلب أثرا بعد عين ، نخاف أن يهرب ، فقال بعضهم : لا و الله لا يهرب و قد أعطاكم على باب الدير من العهود و المواثيق ثم وفى لكم بما قال و لم يهرب ! وقد رأيتم من الأسد واللبوة ما قد رأيتم ، فذروه ليلته هذه يصنع ما بدا له قال : فتركه القوم ليلته / و نزل القوم ناحية عنه ، و قام سعيد يصلى وهو مع ذلك لا يأكل و لا يشرب ، حتى إذا أصبح القوم و صلوا حملوه حتى دخلوا مدينة واسط و الناس ينظرون إليه ، فأتى به إلى باب الحجاج ، و دخل

١١٤/ الف

(١) فى الأصل : اخرج .
(٢) فى الأصل : فحملوه .

Marfat.com

إسماعيل بن الأوسط فقال: أصلح الله الأمير! قد جئتك بسعيد بن جبير، و قد و الله رأيت منه شيئا ما ظننت أن يكون لأحد فى هذا الدهر، قال الحجاج: و ما ذلك؟ فحدثه إسماعيل بما رأى من صومه و صلاته وخشوعه، و ما رأى من الأسد و اللبوة، قال: فزبره الحجاج و قال: اخرج فأتنى به، قال: فأدخل سعيد بن جبير على الحجاج، فلما نظر إليه قال: لا مرحبا بك يا رأس النفاق! فقال سعيد: المنافق من كان من شيعة المنافقين، قال الحجاج: صدقت يا شقى! قال: بل أنا سعيد بن جبير، [قال الحجاج]: بل أنت شقى بن كسير، قال سعيد: أمى كانت أعرف بى منك، قال الحجاج: لقد شقيت أمك حين ولدتك، قال سعيد: الغيب[1] يعلمه غيرك، قال الحجاج: يا عدو نفسه! ألم أقدم العراق و أنت بها فقربت منزلك و رفعت مرتبتك؟ ثم بلغنى عنك علم و فقه فزدتك فى عطائك؟ قال سعيد: قد كان ذلك يا حجاج! قال: فما الذى أخرجك علىّ؟ قال: بيعة كانت فى عنقى لابن الأشعث فلم أر نقضها. قال: فغضب الحجاج ثم قال: يا عدو نفسه! فبيعة أمير المؤمنين كانت أحرى أن تفى بها من بيعة ابن الأشعث حوالى كندة، و الله لأذيقنك حياض الموت و لأبدلنك بالدنيا [2] نارا تلظى[2]! قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. قال الحجاج: يا عدو نفسه! ما تقول فى خلفاء بنى أمية؟ قال: [لست -[3]] عليهم بوكيل، و لا أقول ما لا أعلم. قال: فأى رجل أنا عندك؟

---

(١) من حلية الأولياء ٤/ ٢٩٣ و وفيات الأعيان ٢/ ١١٤، و فى الأصل: العلم.

(٢-٢) من حلية الأولياء و وفيات الأعيان، و فى الأصل: نار لظى.

(٣) من حلية الأولياء و وفيات الأعيان.

Marfat.com

قال سعيد : يوم القيامة تعلم ذلك ! قال الحجاج : فأحب أن تعلمنى ! قال سعيد : أنا أهون على ربى من أن يطلعنى على غيبه ، قال الحجاج : فانه لا بد لك من أن تصدقنى من نفسى ، قال سعيد : لا أحب أن أكذب ،

١١٤/ب / و أنت عندى رجل سوء . قال الحجاج : خبرنى عنك ما بالك لا تضحك قط ؟ (١) قال : إنى لم أر شيئا يعجبنى فأضحك منه ، وكيف يضحك مخلوق ولا يدرى أتمسيه المنية أم تصبحه ! ثم لا يدرى بعد ذلك إلى الجنة يصير أم إلى النار ! قال الحجاج : اصدقنى هل سمعت لهوا قط ؟ قال سعيد : لا ولا رأيته . قال : فدعا الحجاج بالعود و الناى ، فضرب بالعود و نفخ فى الناى ، قال : فبكى سعيد بكاء شديدا ، فقال له الحجاج : ما يبكيك ؟ فقال : إذا أخبرك يا حجاج ! أما هذه النفاخة فانها ذكرتنى نفخة إسرافيل إذا نفخ فى الصور " ففزع من فى السموت و من فى الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين[٢] "، و أما هذه الأخشاب و الأوتار فانها قطعت و فتلت من هذه المصارين لمعصية الله و الله سائلك عنها يا حجاج ! فقال الحجاج : ما تقول فى على بن أبى طالب ؟ قال سعيد : أقول إنه فى الجنة ، قال : فما تقول فى بنى مروان فى الجنـــة هم أم فى النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة و فيها أهلها لعلمت مَن[٣] فيها . قال الحجاج : كيف شهدت لغير

---

(١) زيد فى الأصل : قال ما بلغنى ـ كذا .

(٢) فى سورة النمل آية ٨٧ : « ويوم ينفخ فى الصور . . . وكل اتوه داخرين » .

(٣) من حلية الأولياء و وفيات الأعيان ، إلا أن فيها هذا جواب سؤال الحجاج : فما قولك فى على فى الجنة هو أو فى النار ؟

Marfat.com

بنى مروان بالجنة ؟ فقال سعيد : شهدت لهم بشهادة الرسول لهم أن العشرة في الجنة . و لكن ما أنت يا حجاج و ما هؤلاء و ما سؤالك عن المغيب و قد عزب عليك علمه . قال الحجاج : الويل لك مني يا سعيد ! قال سعيد : بل الويل لمن زحزح عن الجنة و أدخل النار . قال الحجاج : خذوه ! فبادر إليه أعوان الحجاج ، قال سعيد : " بسم الله مجريها و مرسيها ان ربي لغفور رحيم[1] " ثم مضوا به ليقتل ، قال الحجاج : ردوه ! و هو يضحك ، قال الحجاج : و ما يضحكك و قد بلغني أنك لم تضحك قط ؟ قال : عجبت من جرأتك على الله و حلم الله عنك . قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه ! قال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموت و الارض / حنيفا مسلما[2] و ما انا من المشركين . قال الحجاج : ١١٥/ الف اصرفوا وجهه عن القبلة ! قال سعيد : أينما[3] تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم . قال الحجاج : اضربوا وجهه بالأرض ! قال سعيد : " منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى[4] " قال الحجاج : اضربوا عنقه ! فقدم سعيد بن جبير فضرب عنقه - رحمه الله .

قال : و اختلط على الحجاج عقله ، فلم يزل نادما على قتله حتى ربما كان يستيقظ من نومه فزعا مرعوبا و هو يقول: ما لي و لسعيد

---

(١) سورة ١١ آية ٤١ .
(٢) كذا في الأصل ، و ليس في سورة ٦ آية ٧٩ .
(٣) في سورة ٢ آية ١١٥ : فاينما - الآية .
(٤) سورة ٢٠ آية ٥٥ .

Marfat.com

ابن جبير ! قال : و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى الحجاج : أما بعد يا حجاج ! فقد بلغنى عنك سرف فى القتل و تبذير فى الأموال ، و هاتان خلتان لا احتمل عليهما أحد من الناس ، و قد حكمت عليك فى الخطأ الدية ، و فى العمد القود ، و فى الأموال أن تردها إلى موضعها ، فانها أموال الله و نحن أمناؤه عليها ، و سواء عندى يا حجاج عطاء فى باطل أو منع من حق - و السلام . ثم أثبت فى أسفل كتابه هذه الأبيات :

إذا أنت لم تترك[1] أمورا كرهتها و تأبى[2] رضائى بالذى أنا[3] طالبه
وتخشى الذى يخشاه مثلى فكن إذا كذا الدر يوما ظن بالدر حالبه[4]
و إن ترمنى غفلة قرشية [6]فيا رب يوم[6] غص بالماء شاربه
و إن ترمنى وثبة أموية فهذا و هذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمنى[7] و الحوادث جمة فانك مجزىّ بما أنت كاسبه[8]

(١) فى مروج الذهب ٢ / ١٣٧ : لم تطلب .
(٢) فى مروج الذهب : تطلب .
(٣) فى مروج الذهب : أنت .
(٤) البيت فى مروج الذهب :
وتخشى الذى يخشاه مثلى هاربا إلى الله منه صنيع الدر حالبه
(٥-٥) فى مروج الذهب : فان .
(٦-٦) فى مروج الذهب : فيا ربما قد .
(٧) فى مروج الذهب : فلا تلمنى .
(٨) زيد فى مروج الذهب :
و لا تعد ما يأتيك منى وإن تعد يقوم بها يوما عليك نوادبه

Marfat.com

و لا تمنعن الناس حقا عليته و لا تعط مالا ليس للناس واجبه[1]
[2]فانك إن تعط الحقوق فانما تزيد بـــه الأمر الذى أنا واهبه
وإنى لأغضى جفن عينى على الأذى أريد به الأمر الذى أنا راكبه
و أملى لذى الذنب العظيم كأننى أخو غفلة عنه و قد خب[3] عاربه
فان كف لم أعجل عليه و إن أبى وثبت عليـه وثبة لا أراقبـــه[4]

قال : فكتب الحجاج : أما بعد ، فقد جاءنى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه
/ سرفى فى القتل و بذرى فى الأموال ، و لعمرى ما بلغت حقوق أهل ١١٥ / ب
الطاعة و لا عقوبة أهل المعصية ! فان كان قتلى العصاة سرفا و إعطائى
المطيعين تبذيرا فليجعل أمير المؤمنين فى ذلك حدا لا أعدوه إلى غيره ،
و بعـــد يا أمير المؤمنين فانى ما قتلت إلا فيك ، و لا أعطيت إلا لك ، و ما قتلت عمدا فأقاديه و لا خطأ[4] فآتى فيـــه الدية[4] - و السلام .

ثم أجابه عن أبياته و هو يقول :

إذا أنا لم أطلب[5] رضاك و اتقى أذاك فيوما لا توارى[6] كواكبه

---

(١) البيت فى مروج الذهب :

ولاتدفعن للناس حقـا علمته ولا تعطين ما ليس لله جانبه

(٢) الأبيات الآتية ليست فى مروج الذهب .

(٣) فى الأصل : حب .

(٤-٤) فى الأصل : فانى فيه البديه - كذا .

(٥) فى مروج الذهب : لم أتبع .

(٦) فى مروج الذهب : لاتزول .

و لا أنا من يعطى الخليفة حبه يعد من الأمر الذى هو راهبه[1]
وإن قارف الحجاج فيك خطية[2] فقامت عليه فى الصباح نوادبه
إذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه و أقصى الذى تسرى إلىّ عقاربه
فمن يبغنى يوما و يرجو مروتى و يحذرنى و الدهر جم نوائبه[3]
فأمرى إليك اليوم ما قلت قلته و ما لم تقله لى فانى بجانبه[4]
فقف لى على حد الرضا لا أجوزه مدى[5] الدهر حتى يرجع الدر[6] حالبه
وإلا فذرنى[7] و الأمور فانى شفيق رفيق أحكمته[8] تجاربه

قال: فلما ورد الكتاب على عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج أن اعمل برأيك و السلام.

قال: فاستقامت العراق جميعا للحجاج فلم يكن أحد يناويه و لا يخرج عن طاعته، فأنشأ الفرزدق بن غالب يقول فى ذلك:

---

(١) البيت فى مروج الذهب:

و ما لامرئ بعد الخليفة جنة تقيه من الأمر الذى هو كاسبه

و فيه بعده:

أسالم من سالمت من ذى قرابة و من لم تسالمه فانى محاربه

(٢) المصراع فى مروج الذهب: إذا قارف الحجاج منك خطيئة

(٣) البيت فى مروج الذهب:

فمن ذا الذى يرجو نوالى و يتقى مصاولتى و الدهر جم نوائبه

(٤) ليس البيت فى مروج الذهب.

(٥) من مروج الذهب، و فى الأصل: يد.

(٦) من مروج الذهب، و فى الأصل: الدهر.

(٧) فى مروج الذهب: فدعنى.

(٨) فى مروج الذهب: أحكمتنى.

إن

إن ابن يوسف محمود صنائعه ميان معروفه فى الناس و المطر
هو الشهاب الذى يرمى العدو به و المشرفى الذى يقضى له مطر
لا يرهب الموت إن النفس بلسله و الرأى مجتمع و الجود منتشر
أحيى العراق و قد مالت دعائمه صرامة منه لا يبقى و لا يذر

ذكر خروج مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم

قال: و تحركت الروم بأرض القسطنطينية و غيرها من بلاد الروم، فاجتمعوا فى خلق عظيم و عزموا على مفاجأة المسلمين فى دارهم، و أخذ الشام من أيديهم؛ و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فنادى فى أهل الشام فجمعهم فى المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال: أيها الناس! إن العدو قد كلب عليكم و طمع فيكم، و هنتم عليه لتركتكم العمل بطاعة الله تعالى، و استخفافكم بحق الله، و تثاقلكم عن الجهاد فى سبيل الله، ألا! و إنى قد عزمت على بعثكم إلى أرض الروم فما ذا عندكم من الرأى؟ قال: فأجابه الناس بأحسن الجواب، و رغبوا فيما رغبهم فيه من الجهاد و عزموا على ذلك. قال: فعندها أمر عبد الملك بن مروان فكتب له أربعة كتب، كتاب منها إلى أبان بن عثمان - و هو عامله على الحجاز - أن يوجه إليه برؤساء أهل الحجاز و فرسانهم؛ و كتاب إلى علقمة بن مرداس الخولانى - و هو عامله على اليمن - أن يوجه إليه بفرسان أهل اليمن؛ و كتاب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان - و هو عامله على بلاد مصر - أن يشخص إليه بنفسه فى أجناد أهل مصر؛ و كتاب إلى الحجاج ابن يوسف أن يوجه إليه بأجناد العراق.

١١٦ / الف

(١) فى الأصل: إليه:

Marfat.com

ثم كتب أيضا إلى أخيه محمد بن مروان و إلى ابنه مسلمة و هما يومئذ في بلاد أرمينية و أذربيجان فأشخصهما إليه في جميع من معهما من أجنادهما.

قال: فلما اجتمع الناس من جميع الأمصار قام فيهم خطيبا، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنكم قد علمتم ما ذكر الله عز و جل في كتابه من فضل الجهاد، و ما وعد الله عليه من الثواب، ألا! و إني قد عزمت أن أغزو بكم غزوة شريفة إلى أليون[1] صاحب الروم فانه قد طغى و بغى، و قد بلغني أنه قد جمع للمسلمين جموعا كثيرة و عزم على غزوكم و مفاجأتكم في دياركم، و قد علمت أن الله تعالى مهلكه و مبدد شمله و جاعل دائرة السوء عليه و على أصحابه، و قد جمعتم من كل بلد و أنتم أهل البأس و النجدة و الشجاعة و الشدة، و أنتم من قام لله بحقه و لدينه بنصرته، و هذا ابني مسلمة و قد أمرته عليكم، فاستمعوا له و أطيعوا يوفقكم الله و يرشدكم لصالح الأمور! قال فقال الناس: سمعا و طاعة يا أمير المؤمنين! قال: فأمرهم / عبد الملك بن مروان فعسكروا ١١٦ / ب خارجا من مدينة دمشق في خلق عظيم، و خرج إليهم عبد الملك بن مروان فعبأهم هنالك، فجعل على كل قبيلة من القبائل رجلا من ساداتهم يقتدون برأيه و ينتهون إلى أمره، ثم قال لابنه: يا بني! إني قد ندبتك لهذا الأمر و شرفتك بهذا الجيش، فجعلته لك شرفا و ذكرا إلى آخر الأبد، فكن يا بني بالمسلمين بارا رحيما و أميرا حليما، و لا تكن عنيدا كفورا و لا محتالا فخورا؛ و اعلم يا بني! إن الروم سيلقونك بجيش كثير و جمع كبير، فثق بالله و استعن به و توكل عليه، فكفى به وليا و ناصرا

(١) من الكامل لابن الأثير ٥ / ١٢، و في الأصل: النون.

Marfat.com

و ناصرا ؛ و انظر يا بنى ! لا يهولنك ما ترى من جمع الروم و كثرة عددهم ، فان الله تبارك و تعالى بفضله و منّه مهلكهم و ضارب وجوههم و مرعب قلوبهم و مزلزل أقدامهم ؛ و معك يا بنى بحمد الله خلق كثير ، فاذا عزمت على حرب عدوك فاجعل عمك محمد بن مروان على ميمنتك ، و اجعل ابن عمك محمد بن عبد العزيز على ميسرتك ، و اجعل محمد بن الأحنف ابن قيس على طلائعك ، و عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان على جناحك ؛ و اعتمد فى حربك على [1]البطال بن عمر[1] فانه بطل شجاع مقدام شياع ؛ و انظر يا بنى ! لا تكسل و لا تفشل و لا تجزع و لا تهلع ، فانك إن لم تفعل ذلك و تعديت ما أوصيتك به ، استوجبت من الله المقت و من عباده البغض و من ملائكته اللعن ، فانه تعالى يقول " و من يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال او متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله و ماواه جهنم و بئس المصير[2] " .

قال : ثم أقبل عبد الملك بن مروان إلى الناس ، فقال : أيها الناس المسلمون ! أنتم إخوانى و أعوانى ، و هذا ابنى مسلمة و هو سيفى و رمحى و سهمى ، و قد رميت به فى نحر هذا العدو ، و بذلت دمه و مهجته لله عزوجل ، و رجوت أن يقضى الله به جيش الروم ، فأعينوه و اعضدوه

(١-١) هو عبد الله البطال أبو محمد ، وكان على طلائع مسلمة بن عبد الملك فى غزواته - انظر الأعلام للزركلى ٤ / ٢٠١ . وفى الكامل لابن الأثير ٥/١١٦ : البطال اسمه عبد الله أبو الحسين الأنطاكى .

(٢) سورة ٨ آية ١٦ .

Marfat.com

١١/ الف و قوموا معه ، و انصروه إذا كسل ، / و شجعوه إذا فشل ، و أيقظوه إذا غفا ، و فهموه إذا هفا ؛ فان أصيب فالأمير بعده عمه محمد بن مروان ، فان أصيب فابن عمه محمد بن عبد العزيز ، فان أصيب فاختاروا من أحببتم الأفضل فالأفضل ، و الخيار فى ذلك إليكم - و السلام .

ثم دعا مسلمة فعانقه و قبّل بين عينيه و قال : السلام عليك يا ولدى و قرة عينى و ثمرة فؤادى ! فان نفسى تحدثنى أنى لا أراك و لا ترانى بعد هذا أبدا - ثم بكى و بكى الناس لبكائه ، و ودع الناس بعضهم بعضا و رحلوا من عسكرهم يوم الجمعة ، و ذلك فى أول يوم من رجب بعد صلاة الجمعة ، و عبد الملك بن مروان معهم يشيعهم إلى أن نزلوا على فرسخين من مدينة دمشق ، فأقاموا يومهم ذلك هنالك فلما كان من الغد ودّعهم عبد الملك بن مروان و رجع إلى دمشق فى نفر من أصحابه .

و سار القوم فى الآلة و السلاح الكامل و الزى الحسن و الخيل العتاق و البراذين المطهمة حتى نزلوا بموضع يقال له مرج دابق[1] . قال : فلم يزل مسلمة هنالك نازلا و الناس يخرجون إليه و يتلاحقون به من كل موضع راغبين فى الجهاد حتى صار فى عسكر عظيم ، و وافاه الفتية المدنيون التوابون .

---

(١) فى معجم البلدان ٤/ ٣ : « دابق - بكسر الباء و قد روى بفتحها و آخر قاف قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها و بين حلب أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه ، كان ينزله بنو مروان إذا غزا الصائفة إلى ثغر مصيصة » .

Marfat.com

ذكر الفتية المدنيين التوابين و هو خبر حسن

قال : ذكر عيسى بن دأب أن هؤلاء الفتية كانوا عشرة نفر منهم سليمان بن عمرو القرشى ، و أخوه يحيى بن عمرو ، و هارون بن الحصين التميمى ، و أخوه أحمد بن الحصين ، و محمد بن زرعة العبدى ، و أحمد ابن محمد اليشكرى ، و بشر بن مطر الأزدى ، و سعيد بن إسماعيل الطائى الأسدى ، و عبد الله بن عمرو الطائى ، و يعقوب بن عبد الله[1] الأنصارى .

قال : عيسى بن دأب : و كان السبب فى توبة هؤلاء القوم أنهم كانوا بالمدينة على أمر من الأمور التى يحبها الله عز و جل ، و لكل واحد منهم جارية يهواها من بنات العرب ، فسليمان بن عمرو القرشى جاريته الذلقاء بنت أبى بهس العدوية ، و أخوه يحيى بن عمرو جاريته أم أبيها بنت أبى سلمة النهدية ، و هارون بن الحصين / جاريته أسماء بنت عمرو ١١٧ / ب ابن مبذول الغطفانية ، و أحمد بن الحصين جاريته قبول بنت المعذل الحنظلية ، و محمد بن زرعة العبدى جاريته سلمى بنت عبد العزيز العذرية ، و أحمد بن محمد اليشكرى جاريته ليلى بنت محصن السعدية ، و بشر بن مطر الأزدى جاريته حجل بنت عكاشة الباهلية ، و سعيد بن إسماعيل الأسدى[2] جاريته ظلوم بنت مرة الكلبية ، و عبد الله بن عمرو الطائى جاريته هند بنت المحكم العجلية ، و يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى جاريته الهيفاء بنت رماحس الكلبية .

---

(١) كذا فى الأصل هنا : عبد الله ، و فى المواضع الآتية كلها : عبد الكريم .

(٢) فى الأصل هنا : الأزدى ، و قد سبق آنفا : الطائى الأسدى .

Marfat.com

قال: و كان هؤلاء الفتية العشرة فى كل نعمة سابغة، لا يأتى عليهم يوم من الأيام إلا و هم أشد سرورا و أطول حبورا من يومهم الذى مضى إلى أن وقع الخبر إليهم بأن عبد الملك بن مروان قد وجه جيشا إلى بلاد الروم. قال: و أراد الله عز و جل ما أراد من الخير و أحب الله عز و جل أن ينقذهم مما هم فيه من ظلمة المعاصى إلى نور الطاعة. قال: فأول من ارتدع منهم عما هو فيه و دعته نفسه إلى التوبة و الإنابة إلى الله تعالى يحيى بن عمرو القرشى، فعزم على ذلك و جعل يسره فى نفسه و لا يذكر لإخوانه شيئا مما قد عزم عليه، و هو مع ذلك يجالسهم و يحادثهم. قال: فبينا هم ذات يوم على شرابهم و لهوهم إذ أخذوا شيئا من تناشد الأشعار التى قد أحدثوها بينهم، فجعل كل واحد منهم يقول شيئا و يحيى بن عمرو القرشى ساكت لا ينطق بشىء حتى فرغوا من نشيدهم، فأحب أن يلقى إليهم شيئا مما قد عزم عليه من أمر التوبة و نزوع ما هو عليه. فأنشأ يقول:

قالت سلوت فقلت لست بجاحد أنا و المهيمن ذى الجلال الواحد
و سلخت ودك من فؤادى مثل ما سلخ النهار من الظلام الراكد
قالت فعد فالعود عندى أحمد فأجبتها هيهات لست بعائد
إنى أخاف عذاب رب سرمد تبدو فضائحه و لست ببائد

/ قال: فلما سمع القوم من يحيى بن عمرو القرشى هذه الأبيات أنكروا ذلك منه انكارا شديدا بليغا، ثم إنهم عضوه بألسنتهم و عذلوه فأكثروا ١١٨/ الف

(١) فى الأصل: انى.

فيه من عذله و لومه ، ثم قالوا : يا هذا ! قد سمعنا منك شيئا نخاف أن يكون فيه تفريق جماعتنا و تشتيت ألفتنا ، و إننا ناشدك الله فى ذلك .

قال : فتبسم يحيى بن عمرو القرشى ثم حرك رأسه و أنشأ يقول :

إن فى اللهو ما علمت سرورا[1] [2]لا يرى فى[2] حوادث الأقدار
غير أنى تركت ذلك خوفا و حذارا[3] من شر عار و نار
فأنيبوا إلى الإله و توبوا كم إلى كم نقيم فى الإصرار

قال : فلما سمع القوم ذلك أقبل عليه سليمان بن عمرو فقال : و الله يا أخى ما عدا جميع ما تكلمت به سويداء قلبى و لقد أخذ بمجامع قلبى و عقلى حتى لقد غلب على سمعى و صدرى ، و حال بينى و بين لذتى ، و لقد علمت أن الأمر كما ذكرت و أن الرغبة فيما رغبت ؛ قال : ثم أنشأ سليمان بن عمرو يقول :

يا من يلوم مرفّقا يدعو إلى إسعاده
أبدى النصيحة إذ دعا لم يأل فى إجهاده
لا تنكروا ما قاله من بذله لرشاده
فلقد أتى بنصيحة موصولة بسداده

قال : فلما سمع القوم كلام سليمان بن عمرو و ميله إلى أخيه جعل بعضهم يقول لبعض : هذا ما كنا نحذر من تفريق الألفة و تكدير صفو العيش ،

---

(١) فى الأصل : سروا .
(٢ - ٢) فى الأصل : لم يوف .
(٣) فى الأصل : حذرا .

Marfat.com

فعند الله نحتسب ما لجمعنا به منكما ! قال : ثم انصرف القوم عن مجلسهم يومهم ذلك و هم مغمومون بأمر يحيى بن عمرو و أخيه سليمان .

فلما كان فى الليلة المقبلة اجتمعوا أيضا لمجلسوا ، فلما اطمأن بهم المجلس أقبل عليهم يحيى بن عمرو فقال : يا إخوتى و يا أخلائى و من تقر عينى بصلاحهم و اجتماع كلمتهم ! إنه قد ينبغى للراقد أن يستيقظ من رقدته و يستجلى عن غشوته ، و مهما شككتم فى شىء فلا تشكوا فى الموت ، إنه نازل بى و بكم ، و أسأل الله العصمة و التوفيق و التسديد لى و لكم - و السلام ؛ ثم أنشأ يقول :

دعوتكم للرشد و النصح جاهدا و ما زلت للاخوان مذ كنت ناصحا
١١٨/ب ١٠ / فان تقبلوا نصحى تنالوا سعادة و تأتوا طريقا بين القصد واضحا
و من يترك القصد المنير طريقه يلاقى غدا نارا و يخلد كالحا

قال : ثم أقبل عليهم سليمان بن عمرو فقال : يا إخوتى و من قد عظمت حقوقهم علىّ و ابيضت أيديهم عندى ! إنكم قد علمتم ما افترقنا عليه فى ليلتنا الماضية و ما دعاكم إليه أخى يحيى بن عمرو الناصح لكم ، الشفيق عليكم ، فان تجيبوا إلى التوبة و النزوع عما أنتم عليه فحظكم أصبتم و إلى الخير أجبتم ، و إن تقيموا على ما أرى من لغطكم و اتباعكم أهواءكم فانى أسأل الله لكم التوفيق - و السلام ؛ ثم أنشأ سليمان بن عمرو يقول :

سألت إلهى أن يؤلف بيننا على الخير كالتأليف فى سائر الدهر
فقد عشتم عصرا و عصرا و إننا لفى غمرة جهلاء نهوى و ما ندرى
نلجّج فى بحر سكارى بحيرة فحق متى لسنا نفيق من السكرى

و توبوا

Marfat.com

و توبوا تنالوا جنة الخلد إنما ينال جنان الخلد من كان ذا صبر

قال: فلما سمع بشر بن مطر الأزدى مقالة يحيى و سليمان بن عمرو و استحكم قولها فى قلبه أعجبه ذلك، ثم قال: لقد علم من أعين عقلا و أحضر همّا أين موضع الحق - و السلام؛ ثم أنشأ يقول:

لعمرى لئن بعت الهداية بالعمى و آثرت غير الحق إنى لخاسر
أأترك حظى بعد إذ أنا قادر على أخذه و الحق فيه بصائر
سأجبر نفسى عن هواها و غيها بصبر قوى الحزم و الحر صابر

قال: فلما سمع القوم مقالة بشر بن مطر الأزدى فغمهم ذلك غما شديدا. ثم أقبل هارون بن الحصين على أصحابه فقال: انا الله و انا اليه راجعون، ما أعظم الرزية بفرقتكم و أجل المصيبة بتباعدكم، و الله ما أظن هذا الأمر إلا مشتتا جماعتنا، مكدرا علينا صفو عيشنا، لأن الذى دعوتنا إليه من مزايلة ما نحن فيه شديد و هو أثبت و أرسخ من أن يزيله العظات أو أن يقلعه الصفات. قال: ثم افترقوا أيضا ليلتهم مغمومين.

فلما كان فى الليلة الثالثة اجتمعوا، فلما اطمأن بهم المجلس / أقبل ١١٩/الف عليهم محمد بن زرعة العبدى فقال: يا إخوتاه! اسمعوا منى كلامى و تدبروا بعقولكم فقد أتيتكم بأعجوبة! فقالوا: هات ما بدا لك! فقال: اعلموا أنى فارقتكم الليلة و صرت إلى منزلى أرقا شديدا، حتى إذا كان قبيل الصبح أغفيت إغفاء، فاذا أنا بآت قد أتانى فى منامى و هو يقول: هذه الأبيات:

يا تارك القصد بعد معرفة و سالكا غيره من الطرق

يحيي و أصحابه على رشد كما جلى الليل ساطع الفلق
فلا تكونن كالمقيم على دحض مزلّ[1] أشفى على غرق

قال: فلما سمعت ذلك استيقظت[2] فزعا مرعوبا حتى كاد الخفقان أن ينزع قلبي حتى سكنني من كان بحضرتي. قال: فأقبل عليه يعقوب بن عبد الكريم الأنصاري فقال: يا أخي! فكأني و الله و إياك إنما كنا على أمر واحد غير أن الألفاظ مختلفة، و ذلك أني قمت عن مجلس حين افترقنا بالأمس و بي من الفرقة و الأسف لتشتيت الفرقة ما لا أبلغ وصفه حزنا على إخواني، و ما رأيت من مفارقتهم لنا و نقضهم علينا ما نحن فيه من الألفة و المودة، فأتيت إلى منزلي و ظللت عامة ليلي أدير عيني على الغمض فلا أقدر على ذلك، فبينا أنا كذلك بين النائم و اليقظان[3] إذ أنا بهاتف يهتف بي و هو يقول:

يا خائضا في غمرة[4] الجهل و حائدا عن واضح السبل
لست على شيء فلا تكذبن في راجع التوبة في مهل
من قبل يوم معظم هائل يشيب رأس المرضع الطفل

فلما سمعت ذلك استيقظت[2] و ما معي شيء من عقلي، فهذا و الله يا إخوتي ما رأيت. فلما سمع القوم ذلك عجبوا و جعل بعضهم يقول لبعض: كيف حتى خص محمد بن زرعة و يعقوب بن عبد الكريم بهؤلاء الهواتف

(١) في الأصل: منزل - كذا.
(٢) في الأصل: استيقضت - كذا بالضاد.
(٣) في الأصل: اليقضان - كذا بالضاد.
(٤) في الأصل: غرة - كذا.

Marfat.com

من بيننا هـذا سكون لنا بنا . قال: ثم أقبل سعيد بن إسماعيل الأسدى على محمد بن زرعة و هو يقول:

لو لا الذى أضمرت من غدره ما راعك الهاتف إذ يهتف
خصصت بالهاتف من بيننـا مالك فى قولك لا تنصف
/ و الله رب العرش يا إخوتى فانـى مجتهـدا أحلـف ٥ ١١٩/ب
لا خنت من أهوى و لا شتمته جهـرا و لا مثلى به يوصف

قال: ثم أنشأ هارون بن الحصين التميمى و هو يقول:

أبالأحلام أسلو عن هواى لأقوام أتوا بالـترّهات
أتونا يزعمون بأن آت أتى بنصيحة عنـد البيات
يحضهم على هجـر و غـدر و قطع الحبل منّـا و الشتات
فمن يك راغبا عن وصل ألف فلست براغب حتى الممـات

قال: و تفرق القوم أيضا ليلتهم تلك و قد وفّى الله عز و جل للتوبة خمسة نفر: [ابنى] عمرو، و بشر بن مطّر الأزدى و محمد بن زرعة العبدى و يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى، و بقى منهم خمسة: هارون بن الحصين [و أحمد بن الحصين] و عبـد الله بن عمرو الطائى و سعيد بن إسماعيل الأسدى و أحمد بن محمد اليشكرى . قال: و جعل هؤلاء الخمسة الذين قد تابوا يدعون الله و يتضرعون فى أن يراجع بقلوب إخوانهـم إلى ما هم عليه من التوبة، فلم يزالوا كذلك إلى أن استجاب الله منهم دعاءهم

Marfat.com

فى إخوانهم و أقبل بقلوبهم إلى طاعته، و كتب هارون بن الحصين إلى يحيى بن عمرو القرشى بهذين[1] البيتين:

نفسى الفداء لمن جلى الإله به عنا العمى و وقاه مورد التلف
قد كان ما بيننا فى الدين مختلفا فاليوم نحن جميعا غير مختلف

قال: ثم كتب أخوه محمد بن الحصين إلى سليمان بن عمرو أيضا بهذين[1] البيتين:

أتتنى منك موعظة يقوّم نصحها أودى
فجئتك تائبا فى اليو م خوفا من عقاب غد

قال: ثم كتب أحمد بن محمد اليشكرى إلى محمد بن زرعة العبدى[2] بهذين البيتين:

نفسى فداؤك من فتى منح النصيحة جاهدا
فأطيع رأيك لا أرى للناصحين معاندا

قال: ثم كتب عبد الله بن عمرو الطائى إلى بشر بن مطر الأزدى بهذين البيتين:

لقد قرأت كتابا منك هيّجنى يدعو إلى الله إسرارا و إعلانا
أجبته و دعوت الله مجتهدا كما نكون على الخيرات أعوانا

قال: ثم كتب سعيد بن إسماعيل الأسدى إلى يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى بهذين البيتين:

١٢٠/الف أتانى كتاب منك فيه مواعظ تخط على خير و تدعو إلى رشد
فأبصرت ما فيه من الحق و الهدى و فارقت من أهوى على أجهد الجهد

(١) فى الأصل: بهذه.
(٢) فى الأصل هنا: العنبرى.

Marfat.com

فلما وصلت هذه الأبيات من هؤلاء الخمسة إلى إخوانهم فرحوا لذلك واستبشروا ، و اشتد سرورهم ، ثم إنهم ابتهلوا إلى الله عز و جل فى أن يقوى عزمهم على ما عزموا عليه من التوبة ، فاستجاب الله لهم ذلك . قال : إنهم تواعـدوا أن يجتمعوا فى مشربة لهم فيكلم بعضهم بعضا ، فاجتمعوا فى مشربتهم تلك . قال : و هى مشربة معروفة بالمدينة يقال لها مشربة التوبـة و هى مشربة على العطارين بالمدينة . قال : فلما اجتمعوا هنالك اعتنقوا و بكى بعضهم إلى بعض لطول الفرقة و ما كانوا عليه من التباعد ، و حمدوا الله على ما ألف بينهم من التقوى ، و سألوه التوفيق و العصمة مما هم عليه . ثم أقبل عليهم يحيى بن عمرو القرشى فقال : يا إخوتى! إنكم قد علمتم ما قد وعد الله عز و جل عباده . . . . . [1] . .

/ قال : ثم حمل على العلج فضربه ضربة على فخذه فقطعها ، فسقط العلج ميتا . قال : و إذا بعلج آخر يقال بولص قد بدر إلى أحمد بن الحصين ، قال : فنظر إليه أحمد فقصد نحوه و هو يقول : ١٢١/ الف

دونك حربا لا تقيه ترمى صبرا على المكروه منى نفسى
كيما أنال منزلا فى القدس فانما الدنيـا كسـيوم أمس

قال : و اختلفا بطعنتين طعنه العلج فى خاصرته جدله قتيلا ـ رحمه الله .

قال : فلما قتل هارون بن الحصين و أخوه أحمد خرج من بعدهما سعيد بن إسماعيل الأسدى نحو ذلك العلج و هو يقول :

---

(١) بياض فى الأصل قدر نصف صفحة مع صفحة كاملة (أى نصف صفحة من ١٢٠/ الف و صفحة ١٢٠ / ب كاملة) .

Marfat.com

يا بولص الروم إليك نفسى قد طال فى ظل الخطايا حبسى
اليوم أحمى إخوتى بالحمس كيما يكون بطن سبع رمسى

قال : و التقيا بضربتين ، ضربه الأسدى ضربة جدله قتيلا . قال : و خرج من بعده علج آخر يقال له قسطنطين الأصغر ، قال : فقصده الأسدى و هو يقول :

يا أيها الداعى إلى الجلاد فى حومة الأبطال و الأنجاد
أتاك ليث سلس القياد ذو صولة يكرهها الأعادى

ثم تطاعنا برمحيهما فلم يصنعا شيئا ، و تضاربا بسيفهما فلم يصنعا شيئا ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه حتى سقطا عن فرسيهما إلى الأرض ، فشد عليه العلج بخنجر كان معه فوجأه فى نحره فقتله ـ رحمه الله . قال : و خرج من بعده يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى نحو القسطنطين هذا العلج و هو يقول :

لتذهبن اليوم نفسى أسفا إذ كنت بعد خمسة مخلفا
قد نلت من لذة عيشى ما صفا حسبى الذى عاينت حسبى و كفا

ثم حمل الأنصارى على قسطنطين العلج فقتله . ثم وقف و دعا إلى البراز فلم يخرج إليه أحد ، و كاعت الروم بعد قتل قسطنطين .

قال : و جعل مسلمة بن عبد الملك و من معه من المسلمين يتعجبون من إقدام هؤلاء الفتية على / الموت و صبرهم على الحرب ، و كل واحد ١٢١/ب منهم يتلو صاحبه . قال : و التفت بشر بن مطر الأزدى إلى إخوته الذين بقوا معه يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى و أحمد بن محمد اليشكرى

Marfat.com

و محمد بن زرعة العبدى . فقال : يا إخوتى ! إنه قد قتل منا خمسة و مضوا لسبيلهم و نحن ههنا أربعة و نرجو أن نلحق بهم عن قريب إن شاء الله ، و لكن هل ترون ما أرى؟ فقالوا : و ما ترى يرحمك الله؟ فقال : ويحكم ! إنى رفعت رأسى إلى السماء أنظر إلى هذه الغمامة التى[1] قد أظلت هذا العسكر فرأيت عجبا عجيبا ، و ذلك أنى رأيت رجالا لم أر[2] مثلهم و لا مثل صورتهم ساعة قط ، و معهم خيام بيض لم أر[2] على حسنها شيئا ، و نظرت إلى نسوة يطلعن علينا من هذه الغمامة و يضحكن إلى إخواننا هؤلاء الذين قتلوا ، فهذا ما رأيت . قال : فعند ذلك اقشعرت جلود القوم و وقفت شعورهم ، و اشتاقوا إلى ما شوّقهم إليه صاحبهم بشر بن مطر الأزدى ، ثم غلبتهم أعينهم بالبكاء و الترحم على إخوانهم ، و جعل بعضهم يقول لبعض : إنه يجب علينا الآن أن لا نقصر فى جهاد هؤلاء القوم الكفار ، فعسى الله أن يجمعنا مع إخواننا فى مستقر رحمته .

قال : فكان أول من تقدم منهم إلى الحرب يومئذ بشر بن مطر الأزدى و هو الذى رأى ما رأى ، فجعل يرتجز و يقول أبياتا مطلعها :

من كان فى شك و فى تعامى[3] فقد رأيت الحور فى الغمام
صبرا لهذا يا بنى الكرام حتى تحلّوا ساحة السلام

---

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) فى الأصل : لم أرى .

(٣) فى الأصل : تعمى .

Marfat.com

قال : ثم تقدم محمد بن زرعة العبدى و هو يقول :

إن كان لا بد مصيرى للفنا فما مقامى بعد خمس ههنا

إن نلتُ ما أبغى فقد نلت المُنى جنات عدن ليس فيها من عنا

قال : ثم تقدم أحمد بن محمد اليشكرى و جعل يرتجز و يقول :

لا خير فى العيش بعد صحبى حسبى من [1]العيش حسبِ[1] حسبى

لا أرجع اليوم واقِض[2] نحبى ثم أخلّ فى جنان ربى

١ / الف / قال : ثم حمل هؤلاء الفتيـــة فاقتتلوا قتالا شديدا . و جعل يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى يرتجز و يقول :

هيهات منى سفهى و طيشى أقصد للحصن أمام جيشى

قد ذهب السادة من قريش لا خير لى من بعدهم فى العيش

قال : ثم حمل يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى حملة يريد باب الحصن ، قال : و لحقه إخوته الثلاثة حتى صاروا إلى باب حصن طوانة[3] ، فحملوا يقاتلون أشد القتال . قال : و صاح مسلمة بالمسلمين فحملوا و انكشفت الروم من بين أيديهم كشغة قبيحة .

قال : و جعل قوم يقاتلون و قوم ينقبون السور نقبا واسعا ، و بادر يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى فدخل الحصن من ذلك النقب

(١ - ١) فى الأصل : العيشة حسبى .

(٢) فى الأصل : اقضى .

(٣) بلد بثغور المصيصة - معجم البلدان ٦ / ٥٠٦ . و فى الطبرى ٨ / ٦٤ : فتح الله على المسلمين حصنا من حصون الروم يدعى طوانة فى جمادى الآخرة سنة (٨٨ هـ) .

و جعل

و جعل يقاتل أهل الحصن وحده ، فلم يزل كذلك حتى قطعت إحدى قدميه و وثب قائما على تلك الحالة يقاتلهم على فرد قدم و هو يقول :

أضرب بالسيف على فرد قدم و الحر لا يجزع من وقع الألم
و الموت بعد الألف أشفى للقرم مع الذى أرجوه من بارى النسم
أرجو جنانا حققت كل النعم مع فتية كانوا لعمرى كالبهم
فى مجمع الحرب إذا الحرب اضطرم خوفا من الله العزيز ذى النقم

قال : فلم يزل الأنصارى يقاتلهم وحده و يدفعهم عن ذلك حتى دخل إليه إخوته الثلاثة ، فأعانوا و دفعوا الروم عن ذلك النقب ، ثم إنهم كبروا و صاحوا بأصحاب مسلمة ، فدخل الناس من ذلك النقب و فتحوا باب الحصن ، و الأنصارى ينزف الدم من رجليه حتى مات - رحمه الله ! و قتل إخوته الثلاثة الذين كانوا معه - رحمة الله عليهم أجمعين !

قال : و اشتغل المسلمون[1] بالغنائم و جمعها ، فجمعوا شيئا كثيرا و خيلا و بغالا و حميرا و ذهبا و فضة و أثاثا فاخرة . قال : فجمع مسلمة هذه الغنائم ، فأخرج منها الخمس و قسم باقى ذلك على المسلمين ، ثم وجه بالخمس إلى أبيه عبد الملك بن مروان و كتب إليه يخبره بما فتح الله على يديه / من حصن طوانة ، فأنشأ أعشى تغلب[2] يقول أبياتا مطلعها : ١٢٢ / ب

خير لمسلمة البنان[3] فانه فضلت أنامله الأكف و طالها

---

(١) فى الأصل : المسلمين .

(٢) فى الأصل : أعشى بن تغلب - خطأ . هو ربيعة بن يحيى بن معاوية ، من بنى تغلب ، كان نصرانيا ، و على النصرانية مات فى سنة ٩٢ هـ .

(٣) فى الأصل : البنا - كذا .

Marfat.com

إلى آخرها .

ذكر مسير مسلمة بن عبد الملك إلى عمورية[1] بعد فتح طوانة

قال : ثم نادى مسلمة فى أصحابه بالسير إلى عمورية ، و بلغ شمعون صاحب عمورية بأن العرب قد سارت إلى ما قبله ، فجمع من كان حوله من القرى و الحصون الصغار فأدخلهم عمورية ، ثم دعا بطريقا من بطارقته يقال له ورسيب ، فضم إليه أربعة صلبان . تحت كل صليب عشرة آلاف ، و أمره أن يكون على مقدمته . قال : فسار ورسيب فى أربعين ألفا على مقدمة[2] شمعون . و أقبل شمعون من ورائه فى ثمانين ألفا . و بلغ ذلك مسلمة ابن عبد الملك فعبى أصحابه ، ثم دعا بالبطال بن عمرو ، فأمره أن يتقدم بين يديه ، قال : فسار البطال فى المقدمة و معه عشرة آلاف من المسلمين لا يرى منهم إلا الحدق ، حتى إذا أشرف على عمورية إذا ورسيب قد استقبله فى أربعين ألفا من النصرانية .

قال : و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ، فأسرع القتل فى المشركين . قال : و حمل ورسيب على البطال و هو لا يعلمه ، و علم البطال أنه ورسيب فحمل عليه ثم ضربه ضربة على قونس بيضته ، فقدّ البيضة و الهامة ، و خر ورسيب قتيلا . ثم جال البطال فى ميدان الحرب و هو يقول :

قد يقتل المرء بلا ذنوب و ربما كان أخا تكذيب
لا سيما مثل الشقى ورسيب جدلته بصارم قضيب
مهند ذى صنعة و شوب ليس بمفلول و لا خشيب

قال : و بلغ ذلك شمعون صاحب عمورية بأن ورسيب قتل ،

---

(١) بفتح أوله و تشديد ثانيه ، بلد فى بلاد الروم - معجم البلدان ٦ / ٢٢٦ .
(٢) فى الأصل : مقدمته - خطأ .

Marfat.com

فزحف بخيله و رجله يريد لقاء المسلمين ، و أرسل البطال بن عمرو إلى مسلمة فخبره بذلك ، فأقبل مسلمة فى جماعة من المسلمين ، حتى صاف الروم و صهلت الخيل و تداعت الفرسان ، و أقوت الخيلان / و الجيشان ، ١٢٣/الف
و استبشر المسلمون بما وعدهم الرحمن ، من الخلود فى الجنان . قال : و تقدم عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان العبدى أمام المسلمين و هو يرتجز و يقول :

أنا ابن عبد القيس جدى صعصعه ذو البأس و الإقدام عند المعمعه
إذا التقى الأبطال وسط المعمعه و الروم قد سارت إلينا بجمعه
و من يخاف الله فالله معه

ثم حمل فقاتل ساعة و رجع مجروحا . و تقدم عبد الله بن جرير بن عبد الله البجلى و هو يقول :

أنا ابن ذى الفضل فتى بجيله جرير شيخى و له فضيله
فضيلة عظيمة جليله من النبى صاحب الوسيله

ثم حمل على جميع الروم فقاتل و رجع مجروحا . قال : و تقدم محمد بن مروان أخو عبد الملك بن مروان و هو يقول :

أنا ابن مروان إذا الهيج اضطرم أكز فى الحرب كليث مقتحم
بصارم عضب حسام ذى صرم كذاك شيخى كان قدما و الحكم

قال : ثم حمل فقاتل ، و حمل عليه شمعون بنفسه فطعنه طعنة منكرة ، فرجع محمد بن مروان إلى صفه و هو لما به . و تقدم محمد بن عبد العزيز

Marfat.com

و هو يرتجز و يقول :

أنا ابن ذى الفضل الكريم الماجد عبد العزيز القرم ذى المحامد

و فى يمينى مرهف الحدائد يخترم الروس مع القماحد

ثم حمل فقاتل ساعة و رجع مجروحا . قال : و ترجّل مسلمة بن عبد الملك فنزل عن فرسه و نزل الناس معه ، و اختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا ، و صبر القوم بعضهم لبعض ، و صاح صائح من المسلمين : أيها الأمير ! البشرى فقد قتل الله شمعون . قال : فكبر مسلمة و كبر المسلمون معه ، و إذا البطال قد أقبل و فى يده رأس شمعون حتى ألقاه بين يدى مسلمة . قال : فعند [ذلك] وثب مسلمة و استوى على فرسه و استوى الناس معه على خيولهم ثم حمل و حمل الناس /معه ، و انهزمت الروم و ولوا الأدبار ، و أذعنوا بالذل ١٢١/ب ١٠ و الصغار ، و تسارع الناس إلى باب عمورية فدخلوها بالسيف عنوة ، فقتلوا مقاتلتها و غنموا أمتعتها و أموالها . قال : و كانت غنائم عمورية يومئذ تزيد على مائتى ألف مثقال من الذهب و الفضة سوى الأمتعة و البغال و الحمير . قال : فأخرج مسلمة من ذلك الخمس و وجه به إلى أبيه عبد الملك بن مروان ، و كتب إليه يخبره بفتح عمورية ، و قسم باقى الغنائم فى أصحابه .

١٥

قال : ثم سار مسلمة من عمورية يريد القفورية[1] و بين يديه رجل

---

(١) كذا فى الأصل ، ولم أجده فى معجم البلدان . و قال ياقوت فى معجمه ٤ / ٣٢٨ : « و فى أخبار بلاد الروم اسماء عجزت عن تحقيقها و ضبطها فليعذر الناظر فى كتابى هذا ، و من كان عنده أهلية و معرفة و قتل شيئا منها علما فقد أذنت له فى إصلاحه مأجورا » و بهامشه « قتل أرضا أى خبرها و علمها » .

من

Marfat.com

من المسلمين و هو يقول أبياتا مطلعها :

أبلغ يديك و خير القول أصدقه أما أبيت عميـــد الروم ألبونا

إلى آخرها . قال : و سار المسلمون حتى إذا أشرفوا على القفورية نظروا فاذا هم بنقفور الأكبر قد خرج إليهم فى زهاء سبعين ألف عنان سوى الرجالة . قال : و كان نقفور هذا ختن ملك الروم على ابنة أخ له ؛ فلما نظر إلى جيش المسلمين صاح بأصحابه أن احملوا ! ثم حمل و حمل معه أصحابه ، و انكشف القوم من بين أيديهم كشفة قبيحة و قد قتل منهم جماعة . قال : و نادى مسلمة فى أصحابه بأعلى صوته : يا أهل الشام ! لا شام لكم ، و يا أهل العراق ! لاعراق لكم ، و يا أهل مصر ! لا مصر لكم إن أتيم وليتم الأدبار ، اليوم يعلم الله منكم حسن الصبر و اليقين . قال : و نادى محمد بن مروان و قال : يا أهل الإسلام ! أما تستحيون أن ينهزم[1] أهل الدين و القرآن من بين أيدى الكفرة و عبدة الصلبان ! أما ترغبون فيما رغبكم فيه ربكم و أتاكم به نبيكم النصر ! و الله ينصركم و يثبت أقدامكم .

قال : فعندها صدقت عزيمات المسلمين و تراجعوا إلى الروم ، و التحم القتال ، و حمل نقفور وحده من بين أصحابه على مسلمة بن عبد الملك فضربه ضربة على بيضته نكسه إلى الأرض ، ثم صاح بالروم فحملوا على المسلمين حملة كادوا أن يزيلهم[2] عن مواقفهم غير أنهم ثبتوا للروم و أشرعوا الرماح فى / وجوههم و رشقوهم بالسهام ، و رجعت الروم إلى ورائها ، ١٢٤ / الف

(١) فى الأصل : تنهز - كذا .

(٢) فى الأصل : يزيلوهم .

Marfat.com

و وثب مسلمة فاستوى على فرسه ثم نادى بأعلى صوته : أيها الناس ! إلىّ إلىّ ! أنا مسلمة بن عبد الملك ! يوجب الله لكم الرضوان . قال: فاجتمع عليه الناس ثم تواصوا بالصبر ، و وغط بعضهم بعضا ، و حملوا على الروم كحملة رجل واحد و وضعوا فيهم السيوف . قال : و كان نقفور أول قتيل . قال : و علمت الروم بقتل نقفور فولوا الأدبار و السيف يأخذهم، حتى صارت القتلى بينهم كالتلول بعضهم على بعض . قال: و سبق البطال ابن عمرو و جماعة من المسلمين إلى باب مدينة نقفور[1]، فهجموا على أهلها فقتلوا من قدروا عليه ، و أقبل مسلمة فى جماعة من المسلمين حتى أحاطوا بالمدينة ؛ فاجتمعوا عليها و غنموا ما فيها . قال : و بلغت غنائم نقفورية[2] مائة و ثمانين[3] ألف مثقال من الذهب و الفضة سوى الدواب و الأمتعة و الرقيق . قال : و عرض مسلمة إصحابه ، فاذا قد قتل منهم فى نطوانة و عمورية و النقفورية ثمانمائة إنسان ما بين فارس و راجل . قال : فأخرج مسلمة الخمس من تلك الغنائم فوجه بها إلى أبيه عبد الملك بن مروان ، و قسم باقى ذلك على المسلمين .

ثم نادى بالرحيل و سار يريد السماوة الكبرى[4]، فأنشأ بعض المسلمين

(١) كذا فى الأصل هنا ، وقد سبق : قفورية .

(٢) ما وجدنا فى معجم البلدان مدينة نقفور ولا نقفورية .

(٣) فى الأصل : ثمانون .

(٤) فى معجم البلدان ٥ / ١٢٠ « السماوة ماءة بالبادية ..... و بادية السماوة التى هى بين الكوفة والشام قَفْرَى ..... وقال السكرى : السماوة ماءة لكلب » و ليس فى المعجم موضع من بلاد الروم اسمه السماوة .

Marfat.com

يقول أبياتا مطلعها :

أى هـــذا الأمير عمرك الله و لا زلت فى الورى منصورا

إلى آخرها . قال : و سار المسلمون نحو السماوة و بها يومئذ بطريق من البطارقة الرومية يقال له إفريطون فى ثمانين ألفا من الروم ، و قد حصن السماوة قبل ذلك ، و نصب على سورها عشرين منجنيقا و ثلاثين عرادة . قال : فنزل مسلمة و المسلمون على السماوة ثم أمر بمجانيقه ، فنصبت عليها من كل جانب ، و ترامى الفريقان رميا متداركا ، و دام الحرب بينهم أربعين يوما ، لايفترون من ذلك ليلا و لا نهارا .

فلما كان بعد ذلك أقبل / بطريق من بطارقة الروم يقال له قرطس ١٢٤ /و إلى مسلمة بن عبد الملك حتى وقف بين يديه فى جوف الليل فكفّر له[1] و قال : أيها الأمير ! إن السماوة حصن حصين ، و فيها خلق كثير ، و ليس يتهيأ لك أن تفتحها إلا أن يفتح لك من داخلها فتدخلها ، و إن إفريطون هذا صاحب السماوة قد أساء إلىّ و غضبنى على ابنة لى فأخذها منى قهرا و قد عزمت على أن أفتح لك هذا الباب الذى هو مقابلك ، فاذا أصبحت فعبئ أصحابك و اقترب من باب المدينة و ألق[2] الحرب بينك و بين الروم ، و قدم أبطال عسكرك بين يديك فانى فاتح لك هذا الباب الذى هو مقابلك ؛ قال فقال له مسلمة : إن أنت فعلت ذلك حملتك و كسوتك و برزتك

---

(١) كفر له : خضع كما يكفر العلج للدهاقين ، يضع يده على صدره و يطأطئ رأسه و يتطامن تعظيما له .

(٢) فى الأصل : القى .

بعشرين ألف درهم و خلطتك بأصحابى . قال فقال له قرطس : أيها الأمير ! إذا دخلت المدينة فافعل من ذلك ما أحببت . قال : ثم رجع قرطس إلى المدينة .

فلما كان من غد عبى مسلمة أصحابه كما كان يعبيهم من قبل ذلك ، ثم دنا من باب المدينة و هى السماوة ، و بين يديه البطال بن عمرو فى فرسان من أصحابه . قال : ثم عطعطت الروم و كبر المسلمون ، فاختلط الفريقان و اشتبك الحرب على باب المدينة ، و فتح ذلك البطريق الباب ، و اقتحم المسلمون معه فجعلوا يقتلون و يأسرون . قال : و فتح إفريطون بابا آخر من أبواب السماوة و خرج هاربا على وجهه و معه خلق كثير من أصحابه حتى صار إلى المدينة من مدن الروم يقال له المسيحية[1] . قال : فضم المسلمون ما كان فبلغت غنائمها ألف ألف و ثلاثمائة ألف مثقال من الغنائم و الذهب و الفضة و الأمتعة و الدواب و الرقيق ، فأخرج مسلمة من ذلك الخمس و وجه به إلى أبيه عبد الملك بن مروان ، و قسم باقى ذلك على المسلمين ؛ فأنشأ بعض المسلمين يقول أبياتا / مطلعها : ١٢٥ / الف

نحمد الله ذا المعارج و الطو ل و ذا الكبرياء و السلطان

إلى آخرها .

قال : و اقترب المسلمون من المسيحية ، و بلغ ذلك إفريطون صاحب السماوة ، فنادى فى جميع النصرانية فاجتمعوا إليه ، فخرج بهم من المسيحية و بين يديه بطريق يقال له شماس فى ثلاثين ألفا و إفريطون من ورائه

(١) لم نجده فى معجم البلدان .

Marfat.com

فى أربعين ألفا . قال : فدنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالا شديدا ، و حملت الروم بأجمعها على عساكر المسلمين حملة فهزموهم حتى ألحقوهم بالسماوة و قد قتل منهم جماعة ، ثم رجع المسلمون عليهم فهزموهم حتى ألحقوهم بالمسيحية ، و اشتبك الحرب على باب المسيحية . قال : و جعل شماس البطريق يحمل على المسلمين حملة بعد حملة فيقتل و يرجع إلى أصحابه حتى قتل نفرا من المسلمين . قال : و حملت قبيلة من الروم على الضحاك بن يزيد السلمى فقتلوه و قتلوا معه جماعة من المؤمنين ، و تقدم إفريطون صاحب السماوة فى جمهور بطارقة الروم ، فجعل يقاتل يكافئ المسلمين . قال : و قصده محمد بن عبد العزيز على فرس له أصدى و هو يرتجز و يقول :

قد علم الروم و من والاها و كل علج أقلف سواها
إنى إذا الحرب خبت لظاها ألقيت أخراها على أولاها

قال : و اختلفا بطعنتين طعنه إفريطون طعنة قتله . قال : فاغتم المسلمون لقتل محمد بن عبد العزيز غما شديدا ؛ و تقدم البطال بن عمرو حتى وقف حذاء إفريطون و هو يقول :

لا بد من عرض و من مقام على مليك صمد منعام
فجاهدى يا نفس لا تلامى بكل عضب ذكر حسام

ثم حمل البطال على إفريطون و التقيا بطعنتين طعنه البطال طعنة جدله قتيلا ، ثم نزل فاحتز رأسه و رفعه على رأس رمحه ثم كبر و كبر المسلمون معه . قال : و نظرت الروم إلى رأس إفريطون / و قد رفع فانكسروا ٢٠ ١٢٥ /

Marfat.com

لذلك انكسارا ، و ألقى الله تعالى فى قلوبهـــم الرعب فولوا الأدبار و كبستهم خيل المسلمين و أخذتهم السيوف ، فقتل منهم خلق كثير ، و انهزم الباقون على وجوههم و سلموا مدينة المسيحية بجميع ما فيها ، فدخلها المسلمون عنوة فقتلوا من قتلوا و احتووا على غنائمها ، فبلغت غنيمة المسيحيـة نيفا على مائتى ألف مثقال من الذهب و الفضـة سوى الأمتعة و الدواب و الرقيق .

قال : و هجم عليهم الشتاء بالثلوج و الأمطار و البرد الشديد ، فأقام المسلمون بالمسيحية تلك الشتوة و هى مدينة من مدن الروم حصينة عامرة كثيرة البساتين كثيرة الخير ، حتى إذا انحسر عنهم الشتاء زحفوا منها يريدون مدينة بدروق [1] و بها يومئذ بطريق يقال له لبوس ، وكان لبوس عظيم القدر عند ملك الروم ، فلما بلغه مسير المسلمين إلى ما قبله بعث إلى ملك الروم يخبره بذلك و سأله المدد ؛ فأمده ملك الروم بخمسين ألفا ، و اجتمع إليه أيضا نيف على ثلاثين ألفا ، فصار لبوس فى نيف على ثمانين ألف فارس . قال : و دنا منهم المسلمون و القوم قد أعدوا على سور المدينة المجانيق و العرادات . قال : فكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، فامتلأت قلوب الكفار رعبا و خوفا ، و تقدم لبوس بطريق بدروق حتى وقف بين يديه و بين يدى أصحابه عن يمينه صليب و عن يساره صليب .

قال : و نظر إليه البطال بن عمرو و قد انبرى من بين أصحابه فأقبل إلى مسلمة بن عبد الملك فاستأذنه فى الخروج إليه ، فقال له مسلمة : أذنت

(١) ما وجدناه فى معجم البلدان .

Marfat.com

لك ، و لكن انظر أين تضع رمحك ! فقال البطال بن عمرو : كفيت أيها الأمير ! ليس مثلى من يحتاج إلى الوصية فى مثل هذا الوقت . قال : ثم جعل البطال بن عمرو يرتجز و يقول :

قل للأمير ذى الصيال[1] مسلمه و ابن الكرام السادة المكرمه
و مقعص الأبطال يوم الملحمه إنى أنا البطال جدى علقمه
/ كم ساعد و بيضة و جمجمه طرحتها عند هياج الغمغمه ١٢٦/ الف
و أسمرٍ روّيته من غلصمه و أنت محمود بكل مكرمه

قال : ثم رفع رأسه وخرج من الصف فجال جولة ، ثم حمل على قلب الروم و أمكنته الفرصته من لبوس فلم يكذب أن حمل عليه فضربه بسيفه ضربة فلق تاجه و هامته ، فخر لبوس قتيلا ينحط[2] فى دمه . قال : و ولت النصرانية من غير قتال و أخذهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و مر الباقون على وجوههم لا يعرجون على شىء حتى لحقوا بحر القسطنطينية . قال : و اقتحم المسلمون على مدينة بدروق فاحتووا على غنائمها فكانت أموالا كثيرة يجل وصفها عن شرحها . فأخرج مسلمة منها الخمس فوجه به إلى عبد الملك ابن مروان ، و قسم الباقى فى المسلمين ، فأنشأ البطال بن عمرو يقول :

لقد علم الروم الأراجس أننا قتلنا لدى الهيجاء منها رئيسها
تركنا لبوسا فى القتام مجدلا فقبّح ربى ذو[3] الجلال لبوسها

(١) فى الأصل : الصال .
(٢) و فى الأصل : يتنحط ـ كذا .
(٣) فى الأصل : ذى .

Marfat.com

و نحن أبدنا فى العجاج كماتهم و نحن هزمنا جيشها و حميسها
ونحن إذاما الحرب ثبت وأرهجت نخوض لظاها عنوة و وطيسها
و نحن قسمنا فيئها و نساءها ببدروق لما أن أثرنا شريسها
و كان لبوسا كهفها و عمادها و كان لعمرى ليثها و همموسها
و كانت له الأبطال تسطو لأنه إذا ناب أمر لم تجده حميسها
و سوف تكر الخيل فينا شوازبا عناجيج تبدى فى الغبار جميسها
نريد بها أليون[1] كيما نثيره ونشفى لدى الحرب العوان نفوسها

قال: و سار المسلمون يريدون بحر القسطنطينية، حتى إذا دنوا من خليج البحر لاحت لهم المدينة فنظروا إليها و إلى سورها، غير أنها فى جزيرة و ليس لها طريق إلا من جانب واحد و قد أوقف أليون[1] ملك الروم المقاتلة على ذلك الطريق لكيلا يخلص أحد إلى الجزيرة.

قال: فجمع مسلمة من كان فى يديه من الروم و أمرهم باتخاذ السفن
١٢٦/ب / و عزم على العبور إلى القوم. قال: فأخذ القوم فى اتخاذ السفن ففرغوا منها بعد ثلاثة أشهر، ثم نادى مسلمة فى الناس، فركبوا فى السفن مع دوابهم و أثقالهم و رفعت الشرع، و سار القوم يريدون الجزيرة. و بلغ ذلك أليون[1] ملك الروم فأمر بمراكبه، فحمل فيها المقاتلة بالآلة و السلاح الشاك و النيران و نصاحات[2] النفط. قال: فلم يشعر المسلمون و هم يسيرون فى ذلك الخليج إلا و مراكب الروم قد وافتهم فى الآلة و السلاح و الأعلام و المطارد. قال: و كبر المسلمون و عطعطت الروم، و دنت

(١) فى الأصل: النون.
(٢) فى الأصل: نصاجات.

Marfat.com

المراكب بعضها من بعض ، و هبت الريح و نصحت[1] الروم ، فأشعلت النيران و رجعت على الروم فاحترقت بعض مراكبهم . قال : و انكشفت المراكب الباقيـــة بين أيدى المسلمين مفلولين حتى صاروا إلى ساحل الخليج . قال : و سار مراكب المسلمين سيرا قاصدا حتى حطت بساحة الجزيرة ، فخرج المسلمون من المراكب و أخرجوا أثقالهم و دوابهم ، فصاروا مع الروم فى جزيرتهم . قال : و مدينـــة القسطنطينية فى وسط الجزيرة و سائر الجزيرة لزروعهم و مواشيهم . قال : فجعل مسلمة يدور فى الجزيرة مع جماعة من أصحابه يطلب موضعا يبنى فيه بناء له و لأصحابه ، حتى إذا أصاب موضعا كما يريد أمر الناس ، فبنوا مدينة حذاء مدينة القسطنطينية و حصنوها و غلقوا عليها الأبواب ، و سموها مدينة القهر . قال : و الروم فى خلال ذلك يحاربون المسلمين و يطمعون أنهم يمنعوهم من البنيان ، و المسلمون يحاربونهم[2] و يبنون ، حتى إذا فرغوا من المدينة نادى مسلمة فى أصحابه فركبوا ، ثم زحف بهم فى خيله و رجله حتى دنا من باب القسطنطينية . قال : و خرجت الروم فى التعبية و الآلة و السلاح ، فاقتتل القوم قتالا شديدا .

قال : و إذا ببطريق من بطارقة الروم يقال له بوقاس قد خرج من صف الروم ، فجعل يحمل على المسلمين فلا يلحق أحدا إلا قتله . قال : فتحاماه الناس و خافوه / و كاعوا عنه لما يرون من بأسه و شدته ، قال : ١٢٧/ الف

(١) فى الأصل : نصجت .

(٢) فى الأصل : يحاربوهم .

و نظر إليه البطال بن عمرو فتهيأ للحملة عليه ثم جعل يقول :

يا لك يوما ما رأينا قبله فيما مضى من الحروب مثله
يوما عبوسا قد أرانا حمله و قد أتى بوقاس يبدى جهله
هذا لأنى قد أردت قتله إن الجهاد قد عرفنا فضله

قال : ثم حمل عليه البطال فالتقيا بضربتين ضربه البطال ضربة جدله قتيلا . ثم إنه حمل و حمل الناس معه ، و ولت الروم الأدبار ، فأخذهم السيف حتى ألحقوهم بمدينتهم ، و رجع المسلمون مظفرين حتى دخلوا مدينة القهر و قد غنموا دوابا و سلاحا كثيرا و سلبا .

ثم أمر مسلمة أصحابه بالغرس فغرسوا الأشجار من الكروم و أنواع الفواكه ، و عزموا على المقام هنالك إقامة من لا يريد الرجوع إلى بلاد الإسلام أبدا . قال : و ليس من يوم إلا و الحرب يقع بين المسلمين و الكفار ، فيقتل من الفريقين و ينتصف بعضهم من بعض ، و كلما اجتمع عند مسلمة شيء من الغنائم يخرج منها الخمس فيوجه به إلى أبيه عبد الملك بن مروان و يقسم باقى ذلك فى المسلمين .

و ههنا تقع أخبار يزيد بن المهلب و ما كان من أمره ثم نرجع إلى أخبار قسطنطينية و انصراف المسلمين عنها إن شاء الله تعالى

قال : فكان مسلمة بن عبد الملك مقيما بأرض الروم و يزيد بن المهلب يومئذ بخراسان ، و قد أحبه الناس حبا شديدا و مالوا إليه بالسمع

Marfat.com

و الطاعة ، حتى أنهم كانوا لا يحلفون إلا بحياته مثلا ، فأقام يزيد بذلك ما شاء الله أن يقيم ، ثم إنه تغير على بنى عمه و غيرهم من أجناد خراسان ، فجعل يبغضهم و لا يقبل فيهـــم وصية أبيه ، حتى أبغضه أهل خراسان و جعلوا ينظرون إليه بغير العين التى كانوا ينظرون بها إليه قبل ذلك ، ثم أنشأ رجل منهم فى ذلك يقول[1] :

و ما كنا نؤمل من أمير كما كنا نؤمل من يزيد
/ فأخلف[2] ظننا فيه و قدما زهدنا فى معاشرة الزهيد ١٢٧/ب
إذا لم يعطنا نَصَفا أمير مشينا نحوه مثل[3] الأسود
و لا يرضى الدناءة غير نكس قضيب الباع يرهب للوعيد[4]
[5]نجىء فلا نرى[5] إلا صدودا على أنا نسلّم من بعيد
فنرجع[6] خائبين بلا نوال[7] فما بال التجهّم[8] و الصدود

---

(١) هو نهار بن توسعة كما فى الطبرى ٨/١١٦ و ابن الأثير ٥/١١ .

(٢) فى الطبرى و ابن الأثير ٥/١٢ : فأخطأ .

(٣) فى ابن الأثير : مشى .

(٤) ليس البيت فى الطبرى و لا ابن الأثير .

(٥-٥) فى ابن الأثير : نجيب و لا نرى .

(٦) فى الطبرى و ابن الأثير : ونرجع .

(٧) من الطبرى وابن الأثير ، و فى الأصل : بلا سوال .

(٨) من الطبرى و ابن الأثير ، و فى الأصل : التهجم .

Marfat.com

فمهلا[1] يا يزيد [2]و مل[2] إلينا و ذرنا من صنيعك بالعبيد[3]
و لا تظهر عداوتنا فانّا نسل عليك صارمة الحديد[4]

قال: و أقبل إليه ابن عم له يقال له ثابت بن كعب الأزدى، و كان من فرسان أهل خراسان و شعراتهم، فقال: أصلح الله الأمير! إنى أرى قومى من الأزد و غيرهم من أجناد خراسان قد خشنت صدورهم عليك لما يرون من جفائك لهم، و قد كانوا قبل اليوم متشوقين إلى ولايتك عليهم، فلا يكونن جزاؤهم منك الجفاء و العقوق، فان الأيام عوج رواجع و أنا لك ناصح - و السلام عليك؛ ثم أنشأ يقول:

أبا خالد إن الأمور التى ترى عوار فلا يبقى لشىء خلودها
ألم ترها تمضى بقوم أعزة ذوى أسرة لم تغن عنها جنودها
و أسورة كانوا ملوكا فأصبحت أحاديث شىء قد أرنقت حدودها
و إنك فى أمر العشيرة كلها للابس أثواب العقوق جديدها
تهين ذوى الأحساب منهم و تصطفى لئامهم "إذ كان" ذاك بعيدها
رأيت ذوى الاحساب عاصت حدودهم لذاك[6] و فات للئام حدودها

قال: فقال له يزيد بن المهلب: يا ثابت! فانى أعتبكم من كل ما كرهتم و أكون لكم من الأمر بحيث ما أحببتم إن شاء الله.

---

(١) من الطبرى و ابن الأثير، و فى الأصل: نهلا.
(٢-٢) فى الطبرى وابن الأثير: أنب.
(٣) المصراع فى الطبرى و ابن الأثير: ودعنا من معاشرة العبيد.
(٤) ليس البيت فى الطبرى و لا ابن الأثير.
(٥-٥) فى الأصل: ادل - كذا، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٦) فى الأصل: لذلك.

Marfat.com

قال: و بلغ ذلك الحجاج بن يوسف فأحب أن يعزل يزيد بن المهلب عن خراسان فلم يقدر عليه، و كان الحجاج قد أذل أهل العراق بأجمعهم من البصرة و الكوفة إلا يزيد بن المهلب و أهل بيته، فانه[1] لم يقدر عليهم حيلة واحدة لميل عبد الملك إليهم، و أخرى لامتناعهم بخراسان.

قال: فرأى / الحجاج أن يتزوج إليهم، فتزوج لأخت يزيد بن المهلب ٥ ١٢٨ / الف وكان لها مال و شرف و كمال، فزفت إليه من البصرة إلى واسط العراق.

قال: و بلغ ذلك يزيد بن المهلب فكأنه أحس بالشر من قبل الحجاج.

قال: و جعل الحجاج يكتب إليه و يأمره أن ينصرف من خراسان إلى ما قبله، و يزيد يعتل عليه بحروب خراسان، حتى إذا كان فى آخر خلافة عبد الملك بن مروان دعا الحجاج بالمفضل بن المهلب فولى الرى وما والاه من البلاد. ثم كتب إلى أخيه: إنى وليت أخاك المفضل الرى و قد أمرته أن يتسلم خراسان منك فيكون خليفة لك بها إلى أن تنصرف[2] إليها، فاذا ورد عليك كتابى هذا فسلم العمل إلى أخيك المفضل و اقدم إلىّ، فانى احتجت إلى مناظرتك فى أمر مهم و الحظ فيه لك - و السلام.

فلما ورد هذا الكتاب على يزيد دعا برجل من أجلاء عرب خراسان يقال له حضين[3] بن المنذر الربعى، فقال: يا حضين[4]! إنه قد كثرت على

(١) فى الأصل: فانهم.

(٢) فى الأصل: ينصرف.

(٣) من الطبرى ٨ / ٤٣ و ابن الأثير ٤ / ٢٤٢، و فى الأصل: الحصين.

(٤) فى الأصل: حصين.

Marfat.com

كتب الحجاج يأمرنى بالمصير إلى ما قبله، و هذا أخى المفضل قد نزل الرى و قد أمرنى الحجاج أن أسلم إليه أمور خراسان، فهات ما عندك من الرأى، فقال له حضين[1] بن المنذر: لا و الله أيها الأمير! ما أشير عليك بالمصير إلى الحجاج، لأنى أخاف عليك الحبس و الغرم، و لعله أن يقتلك و لا يبالى، و لعله إنما ولى أخاك المفضل الرى و نواحيها مكيدة لك حتى تقع فى يده، فاتق[2] الله فى نفسك و أقم بموضعك هذا فانه خير لك، و اعتل على الحجاج بحروب الترك و السغد فانه يكف عنك، فان هو فعل و إلا فاخرج عليه و حاربه و تمسك بما فى يدك من بلاد خراسان، فانك إن حاربته أعانك الناس عليه لبغضهم إياه و كراهتهم لولايته. قال فقال له يزيد: ويلك يا حضين[3]! أما قولك بأنه يحبسنى و يغرمنى فانى ما لا أشك فى هذا، و أما أن يقدم[4] علىّ بالقتل فما أظنه يروم ذلك و أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان حى، لأنه / قد علم بأنى ١٢٨/ب و أبى و أهل بيتى من صنائع أمير المؤمنين، و بعد فانا أهل بيت قد بورك لنا فى الطاعة، فنحن نكره القطيعة، و قد كان أبى أوصانى قبل ذلك و أوصى إخوتى أن لا نخرج أبدينا من الطاعة و لا نفارق الجماعة، و لابد لى من المصير إلى الحجاج على أىّ الأحوال. قال: ثم تجهز يزيد

(١) فى الأصل: الحصين.
(٢) فى الأصل: فاتقى.
(٣) فى الأصل: حصين.
(٤) فى الأصل: تقدم.

Marfat.com

ابن المهلب و خرج من بلاد خراسان فى غلمانه و مواليه و بنى عمه ، وسار يريد العراق حتى صار إلى الرى و نزلها ، فقدم أخوه المفضل إلى خراسان.

قال : و بلغ الحجاج أن يزيد بن المهلب قد صار [فدعا قتيبة بن مسلم - [1]] فعقد له عقدا و ضم إليه جيشا و ولاه خراسان ، و قال له : سر و انزل همدان ولا تعلم أحدا أنك متوجه إلى خرسان ، و لكن ألق[2] ٥ الخبر إلى الناس أنك على عمل الماهين ، فاذا علمت أن يزيد بن المهلب قد توجه إلى ما قبلى فسر أنت إلى خراسان و خـــذ المفضل بن المهلب و من قدرت عليه من آل المهلب و احملهم إلىّ ، و انزل خراسان فجاهد الكفار الذين بها من الترك و السغد و الرقس[3] ، وكن بها إلى أن يأتيك أمرى إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال : فخرج قتيبة بن مسلم حتى نزل ١٠ همدان ، و رحل يزيد بن المهلب من الرى فصار إلى همدان و بها قتيبة ابن مسلم ، [فخرج] من همدان حتى وافى الرى ، و صار يزيد بن المهلب إلى حلوان و نزل الموت بعبد الملك بن مروان .

ذكر موت عبد الملك بن مروان و وصيته عند موته إلى أولاده

قال : فلما نزل الموت بعبد الملك بن مروان دعا بأولاده و جلسائه ١٥ فأجلسهم بين يديه ثم قال : يا بنى ! أوصيكم بتقوى الله ، فان التقوى أزين حلية و أحسن حلة[4] ، و ليعطف الـكبير منكم على الصغير ، و ليعرف

---

(١) الزيادة لاستقامة العبارة .

(٢) فى الأصل : القى .

(٣) كذا فى الأصل ، و سيأتى فى ص ٢٠٨ بلفظ « البرقس » و لم نظفر به .

(٤) فى ابن الأثير ٤ / ٢٤٩ : كهف .

الصغير منكم حق الكبير؛ و إياكم و الاختلاف و الفرقة! فان بهما هلك الملوك الماضين و ذوى[1] العز المتكبرين؛ و انظروا ابنى مسلمة حفظه الله إذا قدم من أرض الروم، فاعرفوا له حق الجهاد فى سبيل الله؛ وكذلك فاعرفوا لأخى محمد بن / مروان حقه و سنه؛ و أكرموا الحجاج بن يوسف ١٢ / الف فانه وطأ لكم البلاد، و أذل لكم العباد، و عقد لكم القناطر، و داس لكم رقاب العرب، وكفاكم المؤن و شدة الفتن؛ و انظروا يا بنى أن تكونوا بنى أم برة[2]، لا تدب العقارب بينكم، وكونوا فى الحرب أعوانا و على المعروف إخوانا، و ضعوا ذخائركم عند ذوى الميراث منكم، فانها أصون لاحسابكم؛ و اشكروا لما يسدى إليكم؛ وكونوا ذوى حلاوة فى مرارة، و لين فى شدة؛ ألا! و إنى قد استخلفت عليكم ابنى[3] الوليد من بعدى، فاسمعوا و أطيعوا؛ و إذا هلك فابنى سليمان، فاذا هلك فاختاروا من شئتم و أحببتم من أولادى أو من خيار بنى أمية؛ ثم أنشأ يقول:

انفوا الضغائن و التخاذل بينكم ... فى الغائبين و فى الحضور الشهد[4]

بصلاح ذات البين طول بقائكم ... إن مدّ فى عمرى و إن لم يمدد

حتى تلين قلوبكم و جلودكم ... لمسود[5] منكم و غير مسود

---

(١) فى الأصل : ذو.

(٢) فى ابن الأثير : بنى أم بررة .

(٣) فى الأصل : ابن ـ خطأ .

(٤) البيت فى مروج الذهب ٢ / ١٥٧ :

انفوا الضغائن عنكم و عليكم ... عند المغيب و فى حضور المشهد

(٥) فى مروج الذهب : بمسود .

فلمثل

Marfat.com

فلمثل ريب الدهر ألف بينكم بتـــواصل و تراحـم[1] و تودد
[2]و تكون أيديكم معـا فى أمركم ليس اليدان فى التعاون كاليد
لا تقطعوا أرحامـــكم فـــتفرقوا ليس الجمـــيع كواحد متفـــرد
ان القـــدَاح إذا جمعن فرامها بالكسر[3] ذو حنق و بطش أيـد
عزت فلم توهن[4] و إن هى بددت فالوهن و التضييـع[5] للتبـــدد ٥

قال: فأجابه الوليد و هو يقول:

انى لما أوصيتـــنيه لحـافظ أرعاه غـــير مقصر فى المحتـد
و أكون للأعداء سما ناقعـا و لذى القرابـة كالحميـــد الأيد
و لكل إخوانى و جل عشـــيرتى أرعى المغيب فى حفظهم فى المشهد
و أقوم بعدك فى الرعيـــة بالذى أوصيتـــنى بهـم بحسن تودد ١٠

قال: فقال له عبد الملك: أحسنت يا بنى! و أرجو أن تكون عندظنى بك، فانظر يا بنى من مال[6] عنك برأسه هكذا فكن[7] كما قال حسان

---

(١) فى مروج الذهب: ترحم.
(٢) ليس البيتان الآتيان فى مروج الذهب.
(٣) من مروج الذهب، و فى الأصل: فالكسر، و البيت فى المروج:
إن القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذوحنق وبطش باليد
(٤) فى مروج الذهب: فلم تكسر.
(٥) فى مروج الذهب: التكسير.
(٦) فى الأصل: ماك ـ كذا.
(٧) فى الأصل: وكن.

Marfat.com

ابن ثابت :

١٢٩ / ب / بنو الحرب لا نعي بشيء نريده ولا نحن مما يحدث الدهر نجزع

لنا ميت فى كل يوم فلا نرى لنا مقلة فى سالف الدهر تدمع[1]

قال : ثم جعل عبد الملك بن مروان يردد هذا البيت و هو يقول :

فهل من خالد إن نحن متنا و هل بالموت للأحياء عار[2]

قال : ثم رفع صوته و قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ! و فارق الدنيا[3] ، فكانت خلافته [4]ثلاث عشرة[4] سنة و ستة أشهر - و الله أعلم .

قال : و صار الأمر من بعده إلى ابنه الوليد ، و بلغ ذلك يزيد ابن المهلب فاغتم غما شديدا و علم أن الحجاج قد خدعه و أخرجه من خراسان و ولى قتيبة بن مسلم ، فجعل يقول لمن معه : إن الحجاج بن يوسف لم يكن ليقدم علينا بسوء و أمير المؤمنين حى ، و الوليد لا يعرف حقنا ما كان أبوه يعرفه لنا من قبل .

---

(١) لم نظفر بالبيتين فى ديوانه المطبوع . وفى تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٢٨١ « يا وليد و يدك على من ناواك فلا تسمعن فيه قول أحد و أنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا مت إلى البيعة فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ».

(٢) فى تاريخ الإسلام وسمط النجوم العوالى ٣/١٧٠ :

فهل من خالد إما هلكنها و هل بالموت يا للناس عار

(٣) و ذلك فى يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ هـ .

(٤-٤) فى الأصل : ثلاثة عشر .

Marfat.com

قال: و بلغ المفضل[1] بن المهلب أن قتيبة بن مسلم قد ولى خراسان فكأنه اتقى على نفسه أمرا من الأمور، فخرج عن خراسان هاربا حتى لحق بالبصرة فنزلها عند أخيه مروان بن المهلب .

قال: و سار يزيد بن المهلب نحو العراق و هو فى ذلك مغموم لا يدرى كيف يقع من الحجاج، حتى إذا تقارب من أرض واسط أمر الحجاج باستقباله، فاستقبله الناس بالكرامة و البر حتى دخل على الحجاج فأكرمه و بره و أنزله و خلع عليه، فكان يزيد يغدو على الحجاج و يروح و الحجاج لا يساله عن شىء .

ذكر دخول قتيبة إلى خراسان أميرا عليها ثم نرجع إلى خبر يزيد بن المهلب

قال: و دخل قتيبة بن مسلم بلاد خراسان فنزل مدينة مرو، فلم يكن بخراسان قيسى إلا استبشر بولايته و لا يمانى إلا كره ذلك .

قال: و جعل قتيبة يأخذ كل من كان يهوى إلى المهلب يحبسهم و يعذبهم و يطلب منهم الأموال ظلما و عدوانا، فأنشأ رجل من أهل خراسان يقول:

/ أبا خالد ضاعت خراسان بعدكم و قال ذوو الحاجات أين يزيد ١٣٠/الف
فلا مطر المروان بعدك قطرة و لا اخضر فيها بعد عزلك عود
ينقص من دهرى عظيم فقصرت لنا فى الأمور النائبات حدود
شددت لها أزرى و أيقنت انها جدود علت من فوقهن جدود

(١) فى الأصل: الفضل .

Marfat.com

لعل الذى ولّى و كان ربيعنا تردده أيامه فيعود

قال : و كان الفرزدق بن غالب أيضا ممن يكره ولاية قتيبة بن مسلم وهو الذى يقول :

بكت جزعا مروا خراسان إن رأت بها باهليا بعد آل المهلب
تبدلت الحول القصار أنوفها بكل فنيق[1] يحمل السيف أغلب
أغر كأن البدر تحت ثيابه نجيب إلى الأم النجيبة و الأب
فوارس ضرابون و الخيل تلتقى عليها غبيط من دم متصبب

و قال أيضا نهار بن توسعة الشاعر فى ذلك :

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بها و كل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قردا يطيف به[2] كأنما وجهه بالخل منضوح[3]

قال : فلما استقر قتيبة بن مسلم بخراسان أقبل رجل من عبد القيس يقال له تمامة بن القعقاع[4] حتى دخل على قتيبة فقال : أصلح الأمير ! أتأذن لى فى الكلام و أنا آمن ؟ قال قتيبة : و من أنت ؟ قال ، أنا رجل من ربيعة من عبد القيس و أنا أحد بنى لكيز ، فقال : قل ما تشاء و أنت آمن ؛ فأنشأ العبقسى يقول :

---

(١) فى الأصل : فسق .

(٢) المصراع فى المؤتلف ص ١٩٣ و البدء و التاريخ ٦ / ٣٧ : « فاستبدلت قتبا جعدا أناماه » إلا أن فى البدء و التاريخ « بعده » موضع « قتبا » .

(٣) زيد فى البدء و التاريخ بعده :

الجوع يهبط فى عمياء مظلمة لا مشع الله أهل الجوح ما الجوح

(٤) كذا فى الأصل و لم نظفر به .

Marfat.com

تعلم أبا حفص بأنا رعية وأنك راع فانظرن كيف تصنع
و إنا أناس أهل فخر و نجدة على حدثان الدهر لا نتضعضع
و أنت أمير و الأمير مسلط يضر إذا ما شاء يوما و ينفع
فان لعبد القيس جأواء فخمة ترى الموت فى حافاتها الدهر يلمع
و فتيان صدق من لكيز كأنهم أسود فمنها[1] حاسر و مقنع
إذا الملك الجبار لم يعط حقهم مشى نحوه منهم همام سميدع
فلله عطبا إذا مس أعظما يرى و حواليه ذئاب و أضبع
/إذا الذئب ولّى عامرا عاد شلوه جوامع تستهوى إليه و تجمع ١٣٠/ب
فان تعطنا[2] نصفا و تكرم[3] سراتنا نجدنا إلى ما شئت نسعى و نخضع
و يأتيك منا عصبة عبقسية لباسهم ما حاك كسرى و تبع
هُم يردون الموت دونك محسرا رماحهم دون الأعادى شرع
و قد علمت قيس بن غيلان أننا كرام يمانا و مع الرب أروع
أبونا الذى لم يعط يوما دنيّة ومات و ريب الدهر بالناس يجمع

قال: فقال له قتيبة: أ فرغت من شعرك؟ قال: نعم أصلح الله الأمير! فقال: أما و الله لو لا ما أعطيتكم من الأمان لأخرجت لسانك من قفاك! اخرج من بين يدى عليك لعنة الله و على من جرأك على مثل هذا الكلام. ثم قال قتيبة: يا أهل خراسان! احذروا أن يصيبكم

(١) فى الأصل: منها.
(٢) فى الأصل: يعطنا.
(٣) فى الأصل: يكرم.

Marfat.com

منى فاقرة فانه ليس بعد السوط إلا السيف . قال : فتقدم إليه رجل من رؤساء أهل خراسان و شعرائها يقال له حنظلة بن عرادة التميمى فأنشأ يقول :

أتيت خراسان ابن عمرو و أهلها حيارى و نار بينهم تتحرق
فأطفأتها و العدل منك سجية و أنت لعمرى للسداد موفق
فمرنا أبا حفص بما شئت إننا إلى كل ما تهوى نخب و نسبق
فأنت لنا راع و نحن رعية وكفاك بالإحسان فينا تدفّق
فلا تأخذنّا يا قتيبة بما مضى من الجهل إن الحر يعفو و يرفق

قال : فسكن غضب قتيبة و أمر لقائل هذه الأبيات بجائزة ، و قرقراره بمدينة مرو مجاهدا للترك و السغد و البرقس[1] .

رجعنا إلى خبر يزيد بن المهلب و الحجاج بن يوسف

قال : ثم دعا الحجاج بيزيد بن المهلب فطالبه بأموال خراسان و أخرج عليه أشياء لم يكن يزيد يعرفها حتى طالبه بسبعة آلاف ألف درهم ، فأنكر يزيد ذلك ، فدعا له الحجاج بالدهق[2] فوضع على ساقيه ، فلما مسه ألم الدهق رفع صوته فصاح ، و سمعت أخته هند صوت أخيها فصاحت و رفعت صوتها بالصراخ ، و وثب الحجاج فدخل إليها / فقال : ١٣١/ الف

(١) كذا فى الأصل ، و قد مضى فى ص ٢٠١ : الرقس . و فى البدء و التاريخ ٦ / ٣٨ : « خرج قتيبة بن مسلم إلى ما وراء النهر و صار إلى مدينة بخارا وكانوا قد ارتدوا بخاشت الترك و السغد و الشاش و فرغانة و أحدقوا به أربعة أشهر ثم هزمهم » .

(٢) الدهق ـ محركة : خشبتان يغمز بهما ساق المجرمين .

تصيحين : يا هنـد و ترفعين صوتك بالصراخ و أخوك قد كسر أموال خراسان على أمير المؤمنين ! أنت طالق إن صحت بعدها ، قال : فرفعت صوتها صائحة ، فقال الحجاج : و أنت طالق إن صحت بعدها ! فقالت : لا والله أو ثلاث ! فطلقها ثلاثا فبانت منه ، ثم ندم بعد ذلك أشد الندامة و أمر بيزيد إلى السجن و ضيق عليـه و جعل يستأديه الشيء بعد الشيء حتى استأداه أربعة آلاف ألف درهم و بقيت عليه ثلاثة آلاف ألف ، ولم يقدر يزيد على أن يؤدى ذلك ، و أيس الحجاج أن يستأديه أكثر من ذلك .

ذكر هرب يزيد من السجن إلى بلاد الشام و اتصاله بسليمان بن عبد الملك

قال : و كان يزيد بن المهلب مكرما للسجان و جميع من فى السجن ، و كان له مع ذلك طباخ و موائد منصوبة ، فلم يزل كذلك حتى استمال قلوب أهل السجن ؛ ثم إنه كتب إلى أخيه مروان بن المهلب و من بالبصرة من إخوته و أهل بيته و مواليه فأمرهم أن يكونوا على أهبة الهرب . قال : ثم إنه كان يدعو بالسجان فى كل وقت فيبره و يخلع عليه و يعده من نفسه بالجميل ، و السجان يجيبـه إلى ذلك و يمايله حتى بذل له يزيد ألف دينار على أن يعمل فى خلاصه ، فأجابه السجان إلى ذلك ، ثم إنه وعده أن يهرب معه فى ليلة كـذا و كـذا . فلمـا كانت تلك الليلة قعد السجان عـلى باب السجن ، ثم بعث إلى منزله فأتى بشراب فجعل

Marfat.com

يشرب و يسقى أعوانـــه و من يلوذ به حتى أسكرهم و مضى من الليل بعضه، ثم بعث إلى يزيد بن المهلب أن قم فهذا وقتك، قال: فوثب يزيد ثم دعا بثياب طباخه فلبسها و غطى رأسه و خرج من باب السجن و لم يمنعه مانع، فلما مر على السجان و أعوانه نظروا إليه فقالوا للسجان: ما أشبه مشيه هذا بمشية يزيد بن المهلب، فضحك السجان ثم قال: أخطأتم، هذا طباخ يزيد بن المهلب.

١٣/ب قال: و مضى يزيد بن المهلب /حتى صار إلى شاطئ دجلة، و ذلك فى جوف الليل، لم يعرف ذلك الزورق من كثرة الزوارق، قال: و إذا بالسجان قد انسل من بين أصحابه و أقبل إلى شاطئ الدجلة فنظر إلى يزيد هنالك قائمـا فأخذ بيده و أقبل به حتى قعدا جميعا فى الزورق، ثم قال السجان للملاح: ادفع و لا تقف، فدفع الملاح زورقه و ذلك فى أوان المد و زيادة الماء، فلم يصبح القوم إلا و هم على البطائح، فعدا لهم الملاح عن البطائح حتى خرج بهم إلى الشط. ثم دعا يزيد برجلين من تلك الناحية وكتب معهما كتابا إلى البصرة إلى إخوته و بنى عمه و مواليه و أمرهم أن يلحقوا به، قال: و أقبلت إليه الخيل حتى وافته فى موضعه ذلك. قال: فركب يزيد و ركب معه إخوته و بنوعمه و مواليه و ركب معه السجان أيضا، و سار فى جميع من معه يؤم الشام و قد أمن الحجاج.

قال: و أصبح الحجاج فاتصل به الخبر، و طلب السجان فلم يقدر عليه و ضاقت عليه الأرض بما رحبت، و خاف أن يكون قد رجع إلى

Marfat.com

خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم أن كن على حذر فان يزيد بن المهلب قد هرب من سجنى و لا أدرى أين توجه و أخاف أن يفسد عليك خراسان إن دخلها . قال: و مر يزيد و من معه يؤم أرض الشام و هو لا يعرف الطريق . قال : فبينا هو كذلك إذ مر برجل من العرب راكب فرس له قد عارضه ، فلما نظر إليه يزيد أمره بالوقوف ، فقال له يزيد : ممن الرجل؟ قال : رجل من اليمن ، قال : حياك و قربك ! من أين أنت ؟ قال: من أهل هذا البلد ، قال: و أين لك الأهل ؟ قال: فى حى كذا و كذا ، قال : و تخبر الطريق إلى أرض الشام؟ قال : أنا من أخبر الناس بالطريق ، قال : فما اسمك ؟ قال : عبد الرحمن بن عاصم[1] ، قال : يا عبد الرحمن ! هل لك أن تكون دليلا إلى أرض الشام إلى أرض فلسطين ، و لك عشرة آلاف درهم ، و أحملك و أخلع عليك ؟ فقال : من أنت ؟ قال: أنا رجل / ما شددت إزارى منذ عقلت العقل إلا و أنا ١٣٢/الف أمير و أخو أمير ، و ربما كنت أسيرا ؛ قال فقال له الرجل : فأنت إذا يزيد بن المهلب ! قال: أنا يزيد بن المهلب ، و إنما هربت من سجن الحجاج أريد ابن عم لى بأرض فلسطين يقال له زهرة بن عبد الرحمن الأزدى و أحببت بأن أكون فى ناحية و يكون هو الذى يأخذ لى الأمان من القوم[2] ، فقال عبد الرحمن بن عاصم هذا : أيها الأمير ! فأنا أوردك

(١) اسم الدليل فى الطبرى ٨ / ٧٢ : عبد الجبار بن يزيد بن الربعة .

(٢) فى الطبرى وابن الأثير ٤/٢٦٢ : « و مضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهب بن عبد الرحمن الأزدى و كان كريما على سليمان » .

Marfat.com

إلى أرض فلسطين من موضعك هذا فى سبع ليال ، أسير بك ليلا و أنزل بك نهارا . قال يزيد : الله أكبر فسر بنا ، قال : فسار الدليل بين يدى يزيد فكان يسير به ليلا و ينزل به نهارا ، و لا يصبح به إلا على ماء من مياه العرب ، حتى إذا تقارب من أرض الشام و نظر إلى قصور الشام [و] فلسطين أدركهم الماء ذات ليلة ساروا وهم لا يشكون أنهم يصبحون فى الموضع الذى يريدونه ، حتى كان قبيل الصبح صاح يزيد بالدليل : ويحك يا عبد الرحمن ! إنى أرى النعاس قد غلبنا فكم بيننا و بين الموضع ؟ قال : ثلاثة أميال ، قال : فانزل بنا حتى نرقد فى ليلتنا هذه فقد أضر بى السهر ! قال : فعدل به الدليل إلى قصر هنا لك فى البرية فأنزله قريبا من باب القصر ، فنزل يزيد و نزل من كان معه ، و نام القوم فلم ينتبهوا إلا و الشمس على ظهورهم ، فاستيقظ القوم و علموا أنه قد فاتهم الصلاة فنظروا إلى ساقية هنالك فتوضأوا منه و صلوا ؛ و أشرفت امرأة من القصر و معها جارية لها مملوكة فنظرت الجارية إلى يزيد بن المهلب فقالت لمولاتها : ما أشبه هذا الرجل بيزيد بن المهلب ! فقالت لها مولاتها : أو تعرفين يزيد بن المهلب فقالت ، وكيف لا أعرفه و قد كنت لبعض مواليه . قال : فرفع يزيد رأسه إليها و هو متلثم ، قال : أيتها الجارية ! ما اسمك ؟ قالت : فلانة ، قال : فلمن / هذا القصر ؟ قالت : ١٣٢ / ب هذا قصر زينب بنت يوسف أخت الحجاج امرأة أبى عقيل الثقفى ، فقال يزيد : انا الله و انا اليه راجعون ! ما يفارقنا الحجاج حيث ما ذهبنا ، ثم قال للدليل : ارحل بنا ويحك ! قال : فرحل القوم حتى دخلوا

Marfat.com

أرض فلسطين .

ثم صار يزيد إلى زهرة[1] بن عبد الرحمن الأزدى ، فنزل عليه و حدثه بقصته مع الحجاج و قال : أسألك أن تسير الآن إلى سليمان ابن عبد الملك بن مروان فتأخذ لى منه الأمان حتى أكون فى ناحيته ، فلا يقدم على أمير المؤمنين و لاأخاف صولة الحجاج . قال : فركب ٥ زهرة بن عبد الرحمن إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان فخبره بقصة يزيد و سأله أن يكون فى ناحيته حتى يأخذ له الأمان من الوليد بن عبد الملك . قال : فآمنه سليمان ، فصار إليه يزيد فقربه و أدناه و خلع عليه و أقام عنده مدة مديدة .

و بلغ ذلك الحجاج فكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتابا : أما ١٠ بعد يا أمير المؤمنين فان يزيد بن المهلب قد كان تغلب على بلاد خراسان فجبى أموالها ، و أنى بعثت إليه فأشخصته إلى ما قبلى فطالبته بسبعة آلاف ألف درهم ، فأنكر ذلك فحبسته ، و أنه هرب من سجنى و صار إلى أرض الشام ، ثم أنه قد اتصل الآن بأخى أمير المؤمنين و ولى العهد سليمان ابن عبد الملك ، و أمير المؤمنين أعلى عينا ـ و السلام . ١٥

قال : فلما ورد كتاب الحجاج على الوليد بن عبد الملك كتب إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب إليه : أما بعد يا أمير المؤمنين إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه و أباه و إخوته من صنعائنا قديما وحديثا ، و لم أجر عدوا لأميرالمؤمنين ، و قد كان الحجاج عذبه فى حبسه و أرهقه و أغرمه

---

(١) فى الطبرى و ابن الأثير : وهيب .

أربعة آلاف ألف درهم ظلما و عدوانا ، ثم طالبه بعد ذلك بثلاثة آلاف
١/ الف ألف درهم، و قد صار هذا الرجل إلىّ مستجيرا فاجرته، / و أنا أغرم عنه
هذه الثلاثة آلاف ألف درهم ، فان رأى أمير المؤمنين أيده الله أن
لا يخزينى فى ضيفى فعل منعما إن شاء الله .
٥ قال : فكتب إليه الوليد أنه لا بد من أن توجه به إلىّ ! قال : فعاوده
سليمان فى ذلك ، فأبى الوليد ذلك و قال : و الله لتوجهن به إلىّ مكبلا
مغلولا . فلما ورد الكتاب على سليمان بن عبد الملك دعا بابنه أيوب
فقيده ، ثم دعا بيزيد فقيده ، ثم شد يد هذا مع هذا بسلسلة و غلهما جميعا
بغلين و حملهما إلى الوليد بن عبد الملك وكتب إليه : أما بعد يا أمير المؤمنين
١٠ فانى قد وجهت إليك بيزيد بن المهلب فابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد
ثانيا و اجعلنى إذا شئت ثالثا - و السلام [1] . قال : فلما دخل يزيد بن
المهب وأيوب بن سليمان فى سلسلة مع يزيد استحيى لذلك ثم قال : قد أسأنا
إلى أبى أيوب إذ بلغنا به هذا المبلغ . قال : و ذهب يزيد بن المهلب ليتكلم
و يحتج عن نفسه فقال له الوليد : اسكت فقد قبلنا عذرك و عرفنا ظلم
١٥ الحجاج . ثم قال : يا غلام ! علىّ بالحداد ، فدعا بالحداد و أطلق عنهما جميعا
و وصل أيوب بن سليمان بثلاثين ألف درهم و ردهما إلى سليمان .
ثم كتب إلى الحجاج : أما بعد فانه لا سبيل لك على يزيد بن المهلب ،
فانظر لا تعاودنى بعد هذا اليوم - و السلام . قال : فصار يزيد بن المهلب ،
عند سليمان بن عبد الملك بن مروان فى أفضل المراتب و أعلى المنازل .

(١) ذكر هذا الكتاب مفصلا فى الطبرى ٨/ ٧٣ .

ثم

Marfat.com

ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم و سنرجع إلى خبر يزيد بعد[1] إن شاء الله تعالى

قال: و استولى قتيبة على خراسان و دان له الناس بالسمع و الطاعة، فلم يكن بخراسان أحد يتقى من ناحيته إلا رجلان: أحدهما يقال له نيزك[2] البرقشى، و كان تركيا غير أنه أسلم على يدى بعض ولاة خراسان / و كان ٥ ١٣٣/ب مع ذلك شريرا غدارا، و الآخر عثمان بن مسعود التميمى، وكان أيضا شريرا قتالا و كان متزوجا إلى الترك، و هو الذى قتل موسى بن عبد الله ابن خازم السلمى من قبل. قال: فاتقى قتيبة بن مسلم من هذين الرجلين، غير أن نيزك[2] البرقشى قدم على قتيبة فصالحه عن أرضه و بلاده و صار معه و ناصحه؛ و أما عثمان بن مسعود فكأنه تأبى على قتيبة أن يصير إليه. ١٠ قال: و جعل قتيبة يكتب إليه و يلطفه فى كتبه و يخدعه بالهدايا، فلم يزل كذلك حتى صار إليه فقربه قتيبة و أدنى مجلسه و ألطفه. قال: و دخل المجشر[3] بن مزاحم السلمى على قتيبة مسلما، فنظر إلى عثمان بن مسعود جالسا عن يمينه، فأحب أن يحرضه عليه فقال: أبا عمرو! و ما فعل موسى ابن عبد الله بن خازم السلمى؟ فقال عثمان أعن ابن عمتك تسألنى؟ فقال: ١٥ نعم، عنه أسألك، قال: استودعته نهر بلخ، و أيم الله لو كنت حاضرا فى ذلك الوقت لألحقتك به! قال: فعلم قتيبة بن مسلم أن الرجل قتال سفاك

---

(١) فى الأصل: بعدها.

(٢) فى الأصل: يترل - كذا؛ و فى الطبرى ٨/٦١ و ٤/٢٥٣: نيزك طرخان.

(٣) فى الأصل: المحسن، و التصحيح من الطبرى ٨/٨٤.

Marfat.com

للدماء ، فقال له : أبا عمرو ! إن الأمير الحجاج بن يوسف قد كتب إلىّ فيك يأمرنى بازعاجك إلى ما قبله ، فسر إليه فانه قد علم حسن بلائك و ما كان من نكايتك فى العدو ، فانه يحب أن يراك و يكافئك على ذلك و بلغ بك ما أنت أهله فى طاعتك و أثرك . فقال له ابن مسعود : نعم أيها الأمير ! و لكنى انصرف فأتأهب لذلك ، فقال قتيبة : و ذاك لك .

قال فقال المجسر[1] بن مزاحم : أيها الأمير ! إن صار إلى منزله لم يرجع إليك أبدا ، و لم تره إلا فى الخيل و الكتائب ، فان بنى تميم يحمونه ، و له فى الناس صنائع ليس لأحد مثلها ؛ فقال له قتيبة بن مسلم : و ما هذه الصنائع التى له عند الناس ؟ قال : فوثب عثمان بن مسعود / و خرج فلم يحب أن ١٣٤/ الف يسمع ذلك ، فقال قتيبة : ويحك ! فما هذه الصنائع ؟ فانه قد وثب و لم يحب أن يسمعها ، فقال من حضر : أيها الأمير ! إنه أهديت إليه جارية حسناء و عنده قوم من بنى عمه فأراد أن يدفعها إلى رجل منهم ثم قال : إن هذا لقبيح أن أدفعها لرجل و أترك الباقين ! و كانوا ثمانين إنسانا فأمر لكل واحد منهم بجارية و وصيف ، و له مثل ذلك كثير فى الناس أيها الأمير ! قال : فقال قتيبة : ردوه ، فلما ردوه إلى قتيبة أمر به فقيد ، ثم حمله على البريد و وجه به إلى الحجاج و كتب إليه : أيها الأمير ! اكفنى عثمان بن مسعود أضبط لك خراسان إن شاء الله و لا قوه إلا بالله العلى العظيم . قال : و أدخل عثمان بن مسعود على الحجاج فنظر إلى رجل بهى جميل تام من الرجال ، فتأمله الحجاج ساعة ثم أمر به فقيد بقيد ثقيل ، ثم دعا به بعد ذلك بأيام فدخل على الحجاج و هو يحجل فى قيده

(١) فى الأصل : المحسن ـ كذا .

Marfat.com

و ذلك كأن ليس فى رجله شىء، فقال له الحجاج : ارتفع ! قال : فطفر [ابن] مسعود طفرة بقيده فاستوى مـــع الحجاج على سريره، فقال الحجاج : ما كنت أظن أن أحدا يقدر هذا، فقال عثمان : أيها الأمير ! إن السلاح أثقل من هذا القيد و أنا أثب على الفرس و معى سلاحى، فقال الحجاج : إنى لم آمرك أن ترتفع معى على سريرى، إنما أمرتك أن ترتفع فى المجلس ؛ ثم أمر به الحجاج إلى السجن ثانية و أمر أن يزاد فى حديده. قال : ثم جعل يستأديه[1] حتى أخذ منه مالا عظيما، ثم لا يدرى ما فعل به الحجاج بعد ذلك ـ و الله أعلم[2].

ذكر مغازى قتيبة بن مسلم بخراسان

قال : و عزم قتيبة على الغزو، فقام فى الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن الله عز و جل إنما أحلكم هذا المحل ليعزبكم دينه و لتذبوا عن حرمات المسلمين، و قد أمركم بالصبر و وعدكم النصر، و وعد المجاهدين منكم فى سبيله أفضل الثواب و أعظم الذخر، فتنجزوا / موعد ربكم و وطنوا أنفسكم على مضض الألم، و إياكم و الهوينا ١٣٤ / ب و الفشل - و السلام[3]. قال : فاستخلف على مدينة مرو[4] و خرج يريد

(١) فى الأصل : يستاذنه.

(٢) كذا هنا، و سيأتى فى ١٣٨/ب من الأصل أن الحجاج لم يزل يعذب و يستأدى حتى مات فى السجن من شدة العذاب.

(٣) انظر الطبرى ٨/ ٥٩.

(٤) فى الطبرى و ابن الأثير ٤/ ٢٥٢ : « استخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله ابن عمرو و على الخراج عثمان بن السعدى ».

Marfat.com

بخارستان ، حتى إذا صار بالطالقان[1] أقبل إليه دهاقين بلخ فعبروا معه النهر ، ثم سار قتيبة بن مسلم فى عسكر لجب حتى صار إلى بخارستان فنزل عليها ، و خرج إليه ملكها فصالحه و أعطاه الرضى و أخذ منه قتيبة الرهائن .

ثم سار يريد بيكند[2] مدينة من أدانى بخارا و بها يومئذ خلق كثير من الترك و السغد و البرقس . قال : فسار إليهم قتيبة حتى نزل بساحتهم و نظر إلى عساكرهم ، فلما أصبح وثب فعبى أصحابه ميامن و مياسر و قلبا و جناحا و كمينا ، ثم زحف بهم إلى الكفار .

قال : و قد كان قتيبة وجه إلى الكفار بجاسوس يقال له تنذر[3] ليأتيه بأخبارهم ، قال : و علمت به الترك فأخذوه و أتوا به إلى ملكهم خاقان ، فقالوا : أيها الملك ! هذا رجل منا و هو عين لقتيبة بن مسلم علينا فمرنا فيه بأمرك ، قال فقال له خاقان : ويحك يا تنذر ! أنت رجل منا فما الذى يحملك على أن تكون عينا لقتيبة علينا ؟ فقال تنذر : أيها الملك ! إن الرجل لمحسن إلىّ جدا ، و لكن لك علىّ أن أرده عنك مع جيشه هذا الذى أتاك به ، قال فقال له خاقان : إن فعلت ذلك يا تنذر فلك عندى عشرة آلاف درهم و غلام و جارية ، و إن أنت مضيت ولم تفعل

(١) فى الأصل : بالطقان ـ كذا ، و التصحيح من الطبرى و ابن الأثير .

(٢) بالكسر و فتح الكاف و سكون النون ـ بلدة بين بخارى و جيحون على مرحلة من بخارى ـ معجم البلدان ٢ / ٣٣٩ .

(٣) من الطبرى ٨/٦٢ و ابن الأثير٤/٢٥٤ ، و فى الأصل بالمواضع كلها بغير نقط .

ذلك ثم وقعت فى يدى ضربت عنقك ؟ قال فقال تنذر : كفيت أيها الملك ! ذرنى و قتيبة . قال : ثم رجع تنذر إلى قتيبة فتقدم إليه سرا من أصحابه فقال له : أيها الأمير ! إنه قد غرك الحجاج و ألقاك إلى التهلكة ، و هذا عامل يقدم عليك من قبل الوليد بن عبد الملك ، فلا تحارب هؤلاء القوم فى يومك هذا فانك لا تدرى كيف يكون الأمر بينك و بينهم ! ٥ قال : فتبسم قتيبة من ذلك ثم قال : يا عدو الله ! و ما الذى أتاك بهذا الخبر دونى ، أهذا شىء دبرته على أن أصرف / جيشى هذا عن الترك فى ١٣٥ / الف يومى هذا ؛ قال : ثم قدمه قتيبة فضرب عنقه صبرا[٢] . فرأى المسلمون قد راعهم ما فعل قتيبة بجاسوسه هذا ، فقال قتيبة : أيها الناس ! ما لى أراكم قد راعكم قتل[٣] تنذر هذا عبد أحانه الله و قد كنت أظنه ناصحا للمسلمين ١٠ [بل كان] غاشا لهم[٤] ، فذروا عنكم ما كان منى إلى تنذر ، و عليكم بجهاد عدوّكم .

قال : فدنا القوم بعضهم من بعض ، و تقدم خاقان ملك الترك و هياطلتهم . قال : فالتفت قتيبة إلى رجل من أصحابه يقال له وكيع بن

---

(١) فى الطبرى «فقال تنذر : هذا عامل يقدم عليك و قد عزل الحجاج فلو انصرفت بالناس إلى مرو » انظر ابن الأثير أيضا .

(٢) فى ابن الأثير «فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس» انظر أيضا الطبرى.

(٣) فى الأصل : قتلى .

(٤) فى الطبرى ٨ / ٦٢ : « مايروعكم من قتل عبد أحانه الله ؟ قالوا : إنا كنا نظنه ناصحا للمسلمين قال : بل كان غاشا فأحانه الله بذنبه » .

Marfat.com

أبى سود التميمى ، فقال : يا وكيع ! كم تقدر هؤلاء الكفار يكونوا ؟ فقال : أيها الأمير ! أقدر أنهم يزيدون على ثمانين ألفا ، فقال قتيبة : صدقت ، قد خبرت أنهم سبعة و ثمانون ألفا و لكن ما عندك الآن فيهم؟ فقال وكيع : أيها الأمير ! عندى كل ما تحبه منى ، فقال قتيبة : أحسنت ، و لكن لا تعجل بالحملة حتى أنظر ما يكون . قال : ثم تناوش القوم ساعة و كانت بينهم مناولة فأخذت السيوف من الكفار مأخذها فقتل منهم جماعة ، ثم التفت وكيع إلى قومه من بنى تميم فقال : يا معشر المسلمين ! انظروا من كان منكم يريد الموت فليتبعنى ، و كان كارها فليثبت فى مكانه . قال : فأجابته بنو تميم بأحسن الجواب ، فتقدم وكيع فى زهاء عشرة آلاف من بنى تميم و مواليهم ، و ساعدتهم بنو بكر بن وائل ، و قصرت عنهم قبائل العرب من اليمن حسدا منهم لهم ، فلم يساعدوهم على القتال . قال : فدنت منهم الترك فاقتتلوا قتالا شديدا ، و اختلط القوم من وقت بزوغ الشمس إلى زوالها ، ثم صاح وكيع بن أبى سود بأصحابه و حمل و حملوا معه حملة منكرة ، و صدقوهم الضرب و الطعن ، فولت الترك من بين أيدى المسلمين و أخذهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و انهزم الباقون أقبح الهزيمة . فأنشأ نهار بن توسعة التميمى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

لعمرى لقد فازت تميم بذكرها و سائر أحياء العراق وقوف

إلى آخرها . قال : و مضت الترك و السغد هاربين على وجوههم نحو الجبال و الغياض قد ألقى الله تبارك و تعالى الخوف و الرعب فى قلوبهم .

ذكر غنائم بيكند وما وجد فى خزائنها

قال: و دنا قتيبة من مدينة بيكند فنزل عليها، ولم يزل محاصرا لها حتى فتحها بالسيف، فقتل مقاتلتها و هدم سورها حتى وضعها بالأرض ثم جمع غنائمها، فأخرج منها الخمس فوجه به إلى الحجاج، و كتب إليه يخبره بفتح بيكند، ثم قسم باقى الغنائم فى المسلمين. قال: و قوى المسلمون بما أصابوا من غنائم بيكند، و تنافسوا فى شراء السلاح حتى بلغ الرمح سبعين درهما، و بلغ الدرع سبعمائة درهم. و بلغت السيوف أثمانها على أقدارها؛ قال: و جلبت إليهم الدواب من كل بلد، و أصاب قتيبة فى خزائن بيكند سلاحا كثيرا، فقسمه بين المسلمين؛ و أصاب أيضا خزانة مقفلة فأمر بفتحها ففتحت. فأخرج منها من آنية الذهب و الفضة ما لا يحصى؛ و أصابوا أيضا فى هذه الخزانة[1] صنما عظيما من ذهب، فأمر قتيبة باذابته فأذيب فخرج منه خمسون و مائتا ألف دينار[2]. قال: و أصابوا فى هذه الخزانة لؤلؤتين عظيمتين فعجب قتيبة من كبرهما و ضيائهما؛ ثم دعا بسدنة بيت النار، فقال: خبرونى كيف وقعت هاتان اللؤلؤتان إلى بلدكم هذه؟ فقالوا: أيها الأمير! إنا نظرنا ذات يوم إلى طائرين قد وقعا[3] على بيت النار و الأصنام فألقيا هاتين اللؤلؤتين من

(١) زيد فى الأصل: أيضا.

(٢) فى الأصل «مائتان ألف دينار» و فى الطبرى ٨/٦٣: «فخرج منه خمسون و مائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال».

(٣) فى الأصل: وقعتا.

Marfat.com

من مناقرهما ثم طارا ؛ قال : فعجب قتيبة من ذلك ، ثم بعث بهاتين اللؤلؤتين إلى الحجاج و كتب إليه بخبرهما، فكتب إليه الحجاج : إنى قد فهمت ما ذكرت من أمر هاتين اللؤلؤتين ، و إن أعجب من أمرهما و أمر الطائرين سخاء[1] نفسك لنا بهما أبا حفص - و السلام .

قال : و كان عامة أهل بيكند يومئذ بالصين فى تجارات لهم ، فلما رجعوا نظروا إلى بيكند فطلبوا نساءهم و أولادهم ، فجعلوا / يشترونهم من المسلمين بالمال الجزيل . قال : و كانت امرأة رجل منهم قد وقعت مع ابنين لها إلى رجل من المسلمين يقال له عبـــد الله بن سليمان الغنوى ، فطلبها زوجها و طلب أيضا ابنيها منه ، و استام عليه الغنوى عشرة آلاف درهم ، فقال له التركى : يا هذا! أنا أتزوج امرأة غير هذه فتلد لى فى سنتين غلامين ، و لا أعطيك عشرة آلاف درهم ؛ فقال له الغنوى : ذاك إليك فاصنع ما بدا لك . قال : فاشترى التركى امرأته و ابنيـه بعشرة آلاف درهم ، ثم لقى الغنوى بعد ذلك فقال له : أيها العربى ! إنك لو أبيت على أن لا تبيعنى أهلى و ابنى إلا بأربعمائـة ألف درهم لأخذتهن و طابت نفسى به .

١٣/ الف

قال : و عمر أهل بيكند مدينتهم ثانية باذن قتيبة و نزلوا بها على أنهم يؤدون إليه فى كل سنة شيئا معلوما ، فصالحهم على ذلك و كتب عليهم بذلك كتابا .

---

(١) فى الأصل : و صخا .

قال

Marfat.com

قال : ثم سار قتيبة من يكند إلى نومشكث[1]، فلما دنا منهم خرجوا إليه فصالحوه على مال يعطونه كل سنة على أنهم يكونون فى طاعتـــه، فقبل قتيبة ذلك منهم .

ثم قفل يريد مرو فاذا بطرخان[2] ملك السغد و كور بغانون[3] ملك الترك قد أقبلا فى مائتى ألف يريدون قتاله . قال : و قد كان قتيبة فى الجيش و خلف أخاه عبد الرحمن بن مسلم على الساقة، فلما نظر إلى جيش الكفار قد وافاه فى ذلك الخلق العظيم أرسل إلى[4] قتيبة فأعلمه بذلك، فرجع قتيبـــة إلى ورائه، و التقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا إلى الليل، ثم ناجزهم فى اليوم الثانى فقاتلهم، فكانت الدائرة على الكفار، فقتل منهم مقتلة عظيمة و انهزموا، و تبعهم قتيبة و المسلمون فقتلوهم قتالا ذريعا، و غنم المسلمون غنائم[5] كثيرة، ثم رجع قتيبة إلى مرو ثم كتب إلى الحجاج خبره بوقعته هذه و كيف رزق عليهم الظفر، فوجه إليه بالخمس - و الله أعلم .

---

(١) من الطبرى ٨ / ٦٦ و ابن الأثير ٤ / ٢٥٦، و فى الأصل : بومشكت . و ليس ذكره فى معجم البلدان .

(٢) وقع فى الأصل : بطرحون - مصحفا .

(٣) من الطبرى، و فى الأصل : لور معاينون . و فى ابن الأثير : كور نعابون .

(٤) فى الأصل : إليه .

(٥) فى الأصل : غنائما .

Marfat.com

ذكر مسير قتيبة بن مسلم إلى بخارى

قال: ثم جمع قتيبة بن مسلم المسلمين و سار إلى بخارى، و بها يومئذ ملك عظيم / الشأن يقال له معاينون بن راع[1] فى نيف على أربعين ألفا، ١٣٦ / ب و نزل عليهم قتيبة بجيشه و دام الحرب أياما كثيرة لا يفترون من الحرب، حتى إذا عضهم السلاح و وجدوا ألم الجراح أرسلوا إلى قتيبة يسألونه الصلح على أنهم يعطونه مائتى ألف درهم و يعينونه بأنفسهم، فرضى قتيبة منهم بذلك، فأخذ منهم ما صالحهم عليه. قال: و قد كان قتيبة أخذ منهم رجلا أعور أسيرا فكان شيطانا من شياطينهم، فقدمه ليضرب عنقه فقال: أيها الأمير! لا تقتلنى و أنا أفدى نفسى بما قيمته ألف ألف درهم؛ قال قتيبة لأصحابه: ما ترون فيما يقول هذا الكافر؟ فقالوا: أيها الأمير! هذا الذى قد بذله رغبة و زيادة فى الغنيمة فخذ منه ما قد بذل و لا تقتله، فقال قتيبة: لا والله لا تروع[2] باسمه مسلمة أبدا! ثم قدمه فضرب عنقه.

قال: و خرج أهل بخارا إلى قتيبة فصاروا معه فى عسكره، فأنشأ المغيرة بن حبناء التميمى يمدح قتيبة بن مسلم و هو يقول أبياتا مطلعها:

عفت الديار بسفح طود شمام إلا بقيـــة أثلـب و تمـام

---

(١) كـذا فى الأصل، و فى الطبرى ٨ / ٦٨ و ابن الأثير ٤ / ٢٥٧: وردان خذاه، و كذا فى دائرة المعارف للبستانى (بخارى).

(٢) فى الأصل: لا يروغ.

Marfat.com

إلى آخرها[1].

ذكر نيزك البرقشى و هربه من عسكر قتيبة

قال: و هرب نيزك البرقشى من عسكر قتيبة فى جوف الليل مع رجل من وجوه الترك يقال له باذان يريد إلى قلعة باذغيس، قال: فطلبه قتيبة فلم يقدر عليه فعلم أنه قد هرب، فوجه الخيل فى طلبه فلم يقدر عليه، فأقبل نيزك إلى قلعته فدخلها، و هى قلعة حصينة لا ترام و لا يقدر عليها أحد. و اسمها براسكين[2]، و هى التى يقول فيها الشاعر حيث يقول:

براسكين من حل ذروتها حاز الـــبلاد فان شاء جار او ظلما
منيعـــة لم يرمها قبله أحد تخالها كوكبا فى الجو قد نجما
تخال نيرانها من بُعد منظرها بعض النجوم إذا ما ليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت بساحتها حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
/ قد ذل نيزكها من بعد عزته و جاءها[3] عارفا بالذل مهتضما ١٣٧ / ال

قال: و سار قتيبة فى عسكره و جنده حتى نزل على القلعة، قال: و سمعت ملوك خراسان بأن قتيبة قد سار إلى نيزك، و نيزك قد كان يسىء إليهم و يغير عليهم و لم يكن لهم فيه حيلة لحصانة قلعته. فلما سار إليـــه قتيبة زحفت معه ملوك خراسان و دخلوا فى طاعته و رغبوا فى معاونته، قال:

---

(١) وردت الأبيات فى الطبرى ٨ / ٧٨ و مطلعها:

لمن الديار عفت بسفح سنام إلا بقيـة أيصرٍ و ثمـام

(٢) كذا فى الأصل، و لم نظفر بها.

(٣) فى الأصل: جاه - كذا.

Marfat.com

و أقبل قتيبة حتى نزل أسفل القلعة و معه أهل بخارا و أهل مرو و الطالقان و الفارياب و أهل بلخ و سرخس و ما ولاها . قال : ثم دعا قتيبة برجل من أصحابه يقال له سليم بن عبد الله و كان يقال له سليم الناصح ، فارسله إلى نيزك يدعوه إلى الطاعة و يعذله على هربه و يضمن له على قتيبة ما أحب . قال : فأقبل سليم الناصح هذا حتى صعد الجبل و صار إلى باب القلعة ، ثم استأذن على نيزك فأذن له ، فدخل فلما نظر إليه نيزك قربه و أدناه ثم قال : ما وراءك يا سليم الناصح ؟ فقال له سليم : ويحك ما الذى حملك على الهرب من العسكر و أنت أنت و قدرك عند الأمير هو القدر الذى علمت ؟ فقال نيزك : و يحك يا سليم ! إنى لم أكن آمن على نفسى من قتيبة مع إكرامه إياى ، لأن العربى بمنزلة الكلب ، إن ضربته نبح ، و إن أطعمته بصبص ، و إن غزوته فقاتلته ثم صالحته فأعطيته شيئا رضى[1] ، هذا رجل قدم إليه فلان الأعور قيل له ألف ألف درهم على أن لا يقتله فلم يقبل ذلك منه و قتله ، فلما رأيت ذلك منه لم آمن على نفسى و هربت ، فهات الآن ما عندك يا سليم ! فقال سليم : عندى و الله أنه جال فى جيشه كله و قد حفت معه ملوك خراسان من جميع البلاد و لا أظنه نازحا عن موضعه هذا ، و أظنه يشتو فيه هذا الشتاء هلك أم سلم ، و أنا أرى لك من الرأى أن تنزل من قلعتك هذه و لا يعلم أحد بنزولك حتى تدخل إلى عسكره فتضع يدك فى يده ، فقال نيزك : ويحك يا سليم[1] إن نفسى لتأبى ذلك ، / فقال سليم : إنى ما جئتك ١٣٧/ب

(١) فى الأصل : و رضى .

إلا

إلا ناصحا مشيرا عليك، فأما إذا أبيت فانى منصرف عنـــك ؛ قال : ثم وثب سليم لينصرف، فقال له نيزك : فنغديك إذا يا سليم ! [قال : إنى لأظنكم فى شغل عن تهيئة الطعام و - [1]] معنا طعام كثير ، ثم قال سليم لغلامه : يا غلام ! ائتنا بالطعام الذى حملناه معنا من العسكر ؛ قال : فجاء الغلام بطعام كثير لا عهد له بمثله ، فلما نظرت الأتراك إلى ذلك الطعام و حسنه وكثرته بادروا إليه فانتهبوه . قال : فاغتم نيزك لذلك ، فقال له سليم : يا أبا الهياج ! إنى لك من الناصحين ، أرى أصحابك هؤلاء إن طال بهم الحصار أن يستأمنوا قتيبة و يسلموك ، فقال نيزك : أو أنزل إلى قتيبة من غير أمان و ظنى به أنه قاتلى ؟ قال سليم : يا هذا ! فانه قد آمنك و إنما هو الذى أرسلنى إليك أفتتهمنى ؟ قال نيزك : لا أتهمك ؛ فقال أصحابه مثل قول سليم و قالوا : أقبل منه قوله فانه ناصح لك . قال : فدعا نيزك بدابته فركب و ركب معه أصحابه ، و خرج من باب القلعة حتى إذا صار إلى الدرجة التى ينتهى منها إلى قرار الأرض ضرب قلبه ، فالتفت إلى سليم الناصح فقال : يا سليم ! من كان لا يعلم متى يموت فأنا أعلم متى أموت ، إذا عاينت قتيبة فأنا ميت ! فقال له سليم : كلا يا أبا الهياج ! لا يكون إلا خيرا إن شاء الله . قال : و سار نيزك حتى إذا خرج من فم الشعب وقع التكبير فى عسكر المسلمين ، ففزع الأتراك لذلك التكبير ثم تخلفوا عن نيزك ، فقال نيزك : أما هذا أول الشر ، فقال له سليم : لا عليك يا أبا الهياج ! فان تخلف هؤلاء عنك فهو خـــير لك من مسيرهم معك فسر .

(١) من الطبرى ٨ / ٧٦ .

Marfat.com

قال : فسار نيزك حتى إذا دخل العسكر و نظر إليه قتيبة كلمه بلغة الباذغيسية ثم قال : مرحبا برجل غدار ! ثم أمر به فحبس فى خيمة لقتيبة و قيد بقيد ثقيل ، و كتب إلى الحجاج يخبره بأمر نيزك هذا ، فكتب إليه الحجاج أن اقتله فانه رجل سوء غدار عدو لأهل الإسلام . قال : فورد كتاب الحجاج على قتيبة بعد أربعين يوما ، / فلما ورد عليه الكتاب ١٣٨/ الف ٥ دعا به قتيبة فأقبل يحجل فى قيده حتى وقف بين يديه ، فقال له قتيبة : يا نيزك ! أ لك عندى أمان ؟ فقال : لا و لكن عند سليم الناصح أمان ، فقال قتيبة : كذبت يا عدو الله لا أمان لمثلك و قد رجعت عن دين الإسلام غير مرة ، ثم قال قتيبة لأصحابه : ما تقولون فى نيزك ؟ قال : فصاح الناس من كل جانب فقالوا نقول إنه كافر فاسق مرتد غدار ! قال : فدعا قتيبة بالسيف ليضرب عنقه ، فقال له نيزك : إنى إنما نزلت إليك بكتاب الله ، قال قتيبة : و أنا أقتلك بحكم الله ، قال نيزك : فانى أفدى نفسى منك بمال ، قال قتيبة : و ما مبلغ ما تفدى نفسك منى ؟ قال : ألف ألف درهم ، قال قتيبة : زدنى ، قال : ألف ألف درهم ، قال : زدنى ، قال : ثلاثة آلاف ألف درهم ؛ فلم يزل حتى بذل له عشرة آلاف ألف درهم ، فقال قتيبة : أين هذا المال ؟ قال : فى القلعة ، قال : القلعة[1] و ما فيها لنا ، و الله لو لم يبق من أجلى إلا ثلاث كلمات لقتلتك[2] . قال : ثم قدمه فضرب عنقه صبرا ، و قتل معه سبعمائة رجل

(١) فى الأصل : بالقلعة .
(٢) فى الطبرى ٨/٧٧ : لقلت : اقتلوه اقتلوه اقتلوه .

من أصحابه على دم واحد ؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء التميمى[1] فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

لعمرى لنعمت [2]غرة [3]الجند غزوة قضت نحبها من نيزك فاشمعلت[4]

إلى آخرها .

قال : ثم بعث قتيبة إلى قلعة نيزك فاحتوى على ما فيها من الأموال و الأسلحة و الأثاث . و احتوى أيضا على أهل نيزك و ولده و خدمه ، فأخرج من ذلك كله الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و وجه إليه برأس نيزك و رأس ابن أخيه عثمان و برؤس القوم الذين قتلهم مع نيزك و قد علق فى آذانهم الرقاع بأسمائهم ، فلما وردت الرؤس على الحجاج و نظر إليها دعا بعثمان بن مسعود التميمى من الحبس ، فأقبل يحجل فى قيوده فقال له الحجاج : أتعرف هذه الرؤس يا عثمان؟ قال : نعم أيها الأمير ، هذه رؤس أصحاب نيزك / الذين كانوا معه و كانت نعمة الله عليهم سابغة ، / ١٣٨ و هذا رأس نيزك البرقشى صاحب قلعة باذغيس ، و هذا رأس ابن أخيه عثمان ابن سور ، فقال الحجاج : ويحك يا عثمان ! اترك تسمى أولادها بعثمان؟ فقال : لا ، و لكن سمى هذا باسمى لأنى كنت مصاهرا لهم ، قال الحجاج : فهل رأيت أحدا أعظم غنى ممن قتل هذا - و أومأ الحجاج إلى نيزك ؟ فقال :

---

(١) فى ابن الأثير ٤ / ٣٦٥ : نهار بن توسعة .

(٢) فى ابن الأثير : نعمت .

(٣) فى الطبرى و ابن الأثير : غزوة .

(٤) فى الطبرى وابن الأثير : و تعلّت .

Marfat.com

نعم أيها الأمير . من قتل صاحب هذا الخاتم ، فقال : هذا خاتم موسى ابن عبد الله بن خازم السلمى - ثم رمى بالخاتم إليه ، فنظر إليه الحجاج فاذا خاتم من ذهب فصه ياقوت أحمر ، فقال الحجاج : صدقت يا عثمان ! إن من قتل صاحب هذا الخاتم هو أعظم غنى من قاتل نيزك .

خبر المنطقة

قال : ثم أقبل الحجاج على عثمان بن مسعود فقال له : يا عثمان ! إنه قد كتب إلينا قتيبة بهذه المنطقة يذكر أنه منطقة نيزك فانظر إليها ، قال : فنظر عثمان بن مسعود إلى المنطقة فقال : أيها الأمير ! ليست هذه منطقة نيزك ، هذه منطقة رجل من عظماء الترك يقال له جيغويه[1] و منطقة نيزك موصولة و هى نصف منطقة فيروز ، و ذلك أن منطقة فيروز لما قتل سقط عن فرسه فى نهر خزار[2] فانقطعت منطقته فذهب السيل بنصفها مما يلى الأبرين و صار إلى نيزك موصولة . قال فقال رجل ممن حضر مجلس الحجاج : كُذبت أيها الأمير ! هذه منطقة نيزك ، فقال له عثمان : إذا عرب يا لكيع ! ما أنت و هذا ؟ و ما يدخلك فيما ليس من أمرك ؟ ما علمك بالملوك و لباسهم ؟ أنت تأكل الضب و اليربوع و الجرذ و القنفذ ، أنا أعلم منك بأمور الملوك و دأبهم . قال : فضحك الحجاج ثم قال : ردوه إلى الحبس ! فردوه إلى الحبس ، فلم يزل يعذب فى الحبس و يستأدى حتى مات فى السجن من شدة العذاب ، فهذا أصح خبر ورد علينا من أمر عثمان بن مسعود التميمى - و الله أعلم .

---

(١) فى الأصل : جعوه ، و التصحيح من الطبرى ٨ / ٧٨ .

(٢) فى معجم البلدان ٤/٣٢٨ : « خزار موضع بقرب وخش من نواحى بلخ ».

ثم

Marfat.com

ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم

/ قال : فلما قتل قتيبة نيزك البرقشى دخل من ذلك على أهل خراسان ١٣٩ / الف فرح و سرور شديد ، و قالت الشعراء فى قتيبة أشعارا كثيرة ، و مدحه نهار بن توسعة بهذه الأبيات :

أصبت و وفقت ابن عمرو و لم تزل على كل حال [قد] توفق للرشد ٥
قتلت عدو الله نيزك بعد ما أتى و جنود المسلمين على حقد
فكم ثم كم من غمرة قد عقرتها و كم عاند فى القوم قوّمت للقصد
و لم مقتر أنعشته يا ابن مسلم و أعطيته الآمال فى طلب الحمد
و كم من عظيم البال يحتال فى الوغى نزلت صريعا للدرين و للّحد
و كم بائس أغنيته بعد عيلة فأصبح ذا مال كثير و ذو لبد ١٠
و من متلد دغدغت بالسيف ماله و قدما قديما كان يأوى إلى صفد

ذكر مسير قتيبة إلى مرو الروذ و الطالقان و الفاريات و الجوزجان فى وقت واحد

قال : ثم سار قتيبة يريد مرو الروذ ، و بها ملك يقال له باذام ، و قد كان باذام هذا أعان نيزك البرقشى على قتيبة فقتله و قتل ولدا له كبيرا ١٥ و قتل له أخا صغيرا ، و علق رأسه فى عنق أمه ثم أمر بقتلها بعد ذلك فقتلت ، فقال له المجسر[1] بن مزاحم السلمى : أيها الأمير ! لو كنت وهبت

(١) فى الأصل : المحشر ، و التصحيح من الطبرى ٨ / ٨٤ .

Marfat.com

هذه المرأة لرجل من أصحابك و لم تقتلها كان ذلك عندى أحسن ! قال: فنظر إليه قتيبة نظرة ظن أنه سيقتله ، ثم سكت و نادى فى أصحابه و سار إلى الطالقان ، و بها يومئذ من صعاليك الترك فحاربهم قتيبة يوما واحدا فظفر بهم ، فقتل منهم جماعة و صلبهم ، ثم استعمل على من بقى منهم أخاه عمرو بن مسلم ؛ و سار يريد الفارياب ، فلما دنا منها تلقاه ملكها مذعنا مقرا له بالسمع و الطاعة ، فلم يهيجه[1] قتيبة و لم يؤذه[2] و رده إلى بلده مكرما ؛ ثم سار منها إلى الجوزجان ، فتلقاه أهلها سامعين مطيعين ، و هرب ملكها إلى الجبل ، فلم يطلبه قتيبة و لم يؤذ أحدا من أهل الجوزجان ، غير أنه استعمل عليها عامر بن مالك الجمانى أحد بنى تميم و همّ أن يسير إلى غيرها فجاء إليه ملك الجوزجان سامعا مطيعا فصالحه قتيبة عن أرضه .

١٣٩ / ب

قال : فمضى ملك الجوزجان إلى بلاده فشد عليه رجل من أصحابه فقتله ، و بلغ ذلك قتيبة فطلب ذلك الرجل حتى وقع فى يده . فأخذه قتيبة فطلاه بالنفط ثم صلبه و أحرقه بالنار[3] . قال : و جعل قتيبة يقتل ويأمر

---

(١) فى الأصل : فلم يهجيه .

(٢) فى الأصل : ولم يؤذيه .

(٣) فى ابن الأثير ٤ / ٢٦٥ : « أرسل ملك الجوزجان يطلب الأمان فأمنه على أن يأتيه فطلب رهنا و يعطى رهائن فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلى ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته و قدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان ، فقال أهل الجوزجان إنهم سموه فقتلوا حبيبا ، و قتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده » انظر أيضا الطبرى ٨ / ٧٨ .

و ينهب حتى أذل الترك إذلالا ما أذلهم أحد قبله مثله قط ، فأنشأ نهار ابن توسعة فى ذلك يقول :

أراك الله فى الأتراك حكما كحكم فى قريظة[1] و النضير

قضاء من قتيبة غير جور به يشفى الغليل من الصدور[2]

قال : ثم جمع قتيبة من كان فى يده من أسارى الترك ، فكانوا نيفا على ثمانين رجلا من سادات الترك و ملوكهم ، فكبلهم بالحديد و استوثق منهم بالأغلال ، و وجه بهم إلى الحجاج مع أموال كانت عنده من أموال الخمس ، فأنشأ حاجب بن ذبيان المازنى يقول أبياتا مطلعها :

كم من كمى تركت مجندلا شلوا طريحا للذئب و الرخم

إلى آخرها .

قال : ثم رجع قتيبة إلى مرو فنزلها و أرسل إلى امرأة نيزك البرقشى فخطبها ليتزوج بها ، فأرسلت إليه : أيها الأمير ! إنك لست بخليفة و لا أنت الحجاج ، إنما أنت أمير من أمراء خراسان مثل يزيد بن المهلب و غيره ، و قد قتلت زوجى و ولدى و احتويت على أموالى ثم بعثت إلىّ تخطبنى ، أفما تخاف أن أعمل فى قتلك فآخذ بثأرى منك ؟ قال : فعلم قتيبة أنها قد صدقت فى قولها و أنصفت و حققت فلها عنها و تركها .

---

(١) فى الأصل : قريضة ـ كذا بالضاد .

(٢) زيد فى الطبرى ٨ / ٧٨ :

فان يرَ نيزك خزيا و ذلا فكم فى الحرب حمق من أمير

ذكر مسير قتيبة إلى بلاد سجستان ثم منها إلى بلخ

قال: ثم جمع قتيبة أصحابه و سار بهم يريد سجستان ، و بها يومئذ ملك يقال له رُتبيل [1] فى نيف عن سبعين ألفا من الكفار ، فأقبل حتى نزل عليها ، ثم أمر أصحابه بالغارة ، فجعلوا يغيرون يمنة و يسرة على بلاد سجستان
١٤٠/ الف ٥ / حتى ملأوا أيديهم من الغنائم . قال : و كره رُتبيل ملك سجستان حرب قتيبة و علم أنه لا يقوم له و لا لأصحابه ، فأرسل إليه يسأله الصلح ، فأجابه قتيبة إلى ذلك ، و وقع الصلح بينهما على خمسمائة ألف درهم و مائتى رأس من الرقيق جوار و غلمان ، فأخذ قتيبة منهم ذلك ، فأخرج منه الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و قسم باقى ذلك فى المسلمين .

ذكر مسير قتيبة إلى بلخ و ما والاها من الكور

قال : ثم نادى قتيبة فى أصحابه بالرحيل و سار حتى نزل على بلخ ، و بها يومئذ ملك يقال له الشاه بن نيزك فى جمع عظيم ، فلما بلغه نزول قتيبة بساحته خرج إليه ، و وقع الحرب بين الفريقين فاقتتلوا ، فقتل من المسلمين نيف على سبعمائة رجل ، و قتل من الكفار بشر كثير ، و أسر منهم ألف رجل أو يزيدون ، فقدمهم قتيبة و ضرب أعناقهم صبرا ، ثم إنه جلس و دعا بالطعام و جعل يتغدى و القتلى بين يديه و هو لا يكترث لذلك . قال : و نظر أهل بلخ إلى ذلك من قتيبة فاتقوا و خافوا على

(١) فى الأصل فى المواضع كلها : زنبيل .

أنفسهم

Marfat.com

أنفسهم خوفا شديدا و طلبوا الصلح ، فأجابهم قتيبة إلى ذلك ، فوقع الصلح بين قتيبة و بين أهل بلخ على ثلاثمائة ألف درهم و ثلاثمائة رأس من الرقيق ، فأخذ قتيبة منهم ذلك و كتب لهم كتابا بالصلح ، ثم أخرج من ذلك المال الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و قسم باقى ذلك فى المسلمين ؛ فأنشأ زياد الأعجم يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

إن خير الولاة حر كريم يد من كان قبله حين كيدا

إلى آخرها .

ذكر مسير قتيبة إلى خوارزم

ثم سار قتيبة بجيشه حتى نزل على خوارزم ، و بها يومئذ ملك يقال له جنغان[1] فى أربعمائة ألف عنان من أصناف الكفار ، و قال : و لجنغان أخ يقال خرزاد قد غلبه على أمره فليس له معه أمر و لا نهى ، و كان يجب أن يقدم قتيبة إلى البلد ، فسكت حتى جاء قتيبة / و نزل حذاء /١٤٠ خوارزم ، و كتب إليه جنغان يعلمه أنه قد بذل له مائة ألف رأس و متاعا سماه له فى كتابه على أن يدفع إليه أخاه و يملكه فى بلاده ؛ قال : فأرسل بكتابه إلى قتيبة سرا و لا يعلم به أحد من أهل خوارزم . قال : و بعث إليه بثلاثة[2] مفاتيح من الذهب ، فقدم رسول جنغان على قتيبة و قد عزم على الحرب ، فلما قرأ الكتاب أجابه إلى ما سأل ، ثم إنه أظهر فى عسكره

---

(١) فى ابن الأثير ٤ / ٢٧٣ : خوارزم شاه .

(٢) فى الأصل : بثلاث .

أنه يريد السغد ، و وقع الخبر بذلك بخوارزم ، فقال خرزاد لأهل مملكته : إن قتيبة يريد السغد و قد أمنتم من حربه و أن يغزوكم فى هذه السنة .

ثم نادى قتيبة بالرحيل نحو بلاد السغد قبل يومه ذلك ، ثم رجع إلى بلاد خوارزم ، فلم يشعر القوم إلا و قتيبة قد وافاهم ، ففزعوا لذلك فزعا شديدا ، ثم اجتمعوا إلى جنغان فقالوا : أيها الملك ! ما عندك من الرأى ؟ [قال] : ههنا لأخى خرزاد فصيروا إليه . قال : فاجتمع القوم إلى خرزاد فقالوا : إن هذا الرجل قد نزل بساحتنا يريد هلاكنا فهات ما عندك من الرأى ، قال : فعلم خرزاد بأن أخاه قد كاتب قتيبة فهمّ بقتل أخيه ، ثم خشى أن يقتله أهل البلد فلم يقتل أخاه ، ثم نادى فى الناس و خرج حتى نزل بموضع يقال له فنك[1] ، و نزل[2] قتيبة قريبا منه . قال : و خوارزم يومئذ ثلاث مدائن يحيط لها مياه الفارقين . قال : و وقع الحرب بين الفرقين و سلم جنغان إلى قتيبة مدينتين من مدن خوارزم و صار معه فى عسكره ، و بقى خرزاد فى المدينة الثالثة و طلب الأمان ، ثم بعث إلى قتيبة : أنا أيها الأمير عبدك فاصطنعنى و استبقنى ، فنعم العبد أنا لك ! فقال قتيبة لرسوله : ارجع إليه فقل عنى : إن رضى أخوك[3] جنغان بذلك آمنتك و استبقيتك ، فكلمه و اطلب إليه فى ذلك . قال :

---

(١) فى معجم البلدان ٦/٤٠٢ : فنك ـ بالفتح أولا و ثانيا و كاف ، قرية بينها وبين سمرقند نصف فرسخ .

(٢) فى الأصل : ترك .

(٣) فى الأصل : أخوه .

Marfat.com

فأرسل إليه خرزاد : أيها الأمير ! إنه ليس فى عسكرك أحد يطمع أن يعيش خمسين سنة ، و قد علمت / أن مصيرى إلى الموت ، و ليس مثلى من ذلك ١٤١/ الف لأخيه ، و إنما أحببت أن أكون لك لا لغيرك ، و القتل أحب إلىّ من الطلب إلى أخى ، فان مت أو قتلت فانه قد مات من كان أنبل منى و أشد منى تملكا و تجبرا - و السلام .

قال : و وقع الحرب بين أهل خوارزم و بين قتيبة ، فلم يكن إلا ساعة حتى أخذ خرزاد أسيرا ، فأتى به إلى قتيبة حتى وقف بين يديه ، فقال له قتيبة : كيف رأيت ما أنزل الله بك يا خرزاد ؟ فقال : أيها الأمير ! لا تلمنى فانى ما ضربت بيدى إلى سيفى إلا لتحكم بينى و بينك فخذلنى سيفى و لم يطاوعنى ، قال قتيبة : هذا يكون ، ثم قدمه فضربت عنقه صبرا . فقال جنغان : أيها الأمير ! إنك لم تشف صدرى بعد ، قال قتيبة : فما تريد يا جنغان ؟ قال : أريد أن تقتل كل من كان معه علىّ ، قال : فجمعهم قتيبة و هم خلق كثير من الأسارى فسلمهم إلى جنغان ، فقدمهم جنغان فضرب أعناقهم صبرا ، ثم أخذ أموالهم فدفعها إلى قتيبة ، ثم وفى بما كان ضمن له .

قال : فأخرج قتيبة من ذلك الخمس فوجه به إلى الحجاج . و قسم باقى ذلك فى المسلمين ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى[1] يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

إنى رأيت أبا حفص يزينه[2] أيامه و مساعى الناس تختلف

إلى آخرها .

---

(١) فى الأصل : الأشعرى .

(٢) فى الطبرى ٨ / ٨٤ : تفضله . و فيه عشر أبيات .

Marfat.com

ذكر مسير قتيبة إلى السغد من بعد فتح خوارزم و ما والاها

قال : فلما فرغ قتيبة من أمر خوارزم قام إليه المجسر [1] بن مزاحم السلمى فقال : أيها الأمير ! ههنا سر بينى و بينك ! قال : فتنحى معه ناحية ثم قال : هات ما عندك ، فقال : إن أردت السغد يوما من الدهر فاليوم ، فانه ما بينك و بينه إلا مسيرة عشرة أيام ، قال فقال قتيبة : هل أشار عليك بهذا أحد ؟ قال : لا ، [قال : فأعلمته أحدا ؟ قال : لا ، قال : ـ[2]] فوالله لئن تكلم بهذا غيرك من الناس لأضربن عنقك . قال : ثم دعا قتيبة بأخيه عبد الرحمن بن مسلم فقال له : قدم الأثقال إلى مرو ، / فنادى عبد الرحمن ١٤١/ب بالرحيل إلى مرو ، فارتحل الناس و مضت الأثقال بين يديه و تبعها الناس يريدون إلى مرو ، حتى إذا أمسى عبد الرحمن بن مسلم و هو فى المسير أتاه كتاب أخيه قتيبة بن مسلم أن انظر إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو و سر أنت فى الخيل و الرجال إلى السغد ، و اكتم ذلك فانى من ورائك بالأثر إن شاء الله تعالى . قال : فأمر عبد الرحمن بن مسلم بالأثقال فمضت إلى مرو ، و انصرف هو فى الخيل و الرجال نحو سمرقند ، و قام قتيبة فى الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ، و قال : أيها الناس ! إن الله عز و جل قد فتح عليكم من البلاد ما علمتم ، و أنا أرجو أن يكون سبى سمرقند كسبى بنى قريظة [3] و النضير ، فأبشروا ثم أبشروا - و السلام .

(١) فى الأصل : المحسن - و التصحيح من الطبرى ٨ / ٨٤ .

(٢) الزيادة من الطبرى ٨ / ٨٥ .

(٣) فى الأصل : القريضة .

Marfat.com

ذكر كتاب الحجاج إلى قتيبة

قال: و إذا كتاب الحجاج قد ورد على قتيبة: أما بعد فانى لست بآئس إذ فتح الله علينا و عليك خوارزم و أغنمنا أموالها و خزائنها و غنائمها أن يفتح الله عليك و علينا ما بعدها، و قد بلغنى أنك تريد المسير إلى سمرقند و أنا أنشدك أن غزوت بالمسلمين . . أنا أسأل الله أن يعز نصرك . و أن يحسن عاقبتك، و أن يمدك بالملائكة المردفين، و أن يرعب قلوب أهل سمرقند . و أن يخالف بين كلمتهم، و أن يلقى بأسهم بينهم، و أن يورثنا أرضهم و ديارهم و أموالهم، و أن يجعل دائرة السوء عليهم، إنه على كل شىء قدير - و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

قال: فلما ورد كتاب الحجاج على قتيبة نادى فى الناس فجمعهم و أقرأهم الكتاب، ثم ندبهم للمسير إلى سمرقند فخف معه الصغير و الكبير من جميع مدائن خراسان، خرج معه السوقة بالعصى و المقاليع فضلا عن غيرهم . قال: فسار بهم قتيبة حتى قطع البلاد ثم سار إلى سمرقند فنزل عليها .

ذكر نزول قتيبة على سمرقند و محاربته أهلها

قال: فنزل قتيبة على سمرقند و بها يومئذ ملكها غوزك بن / أخشيد ١٤٢ / الف السغدى فى ثلاثين و مائة ألف من السغد . قال: فأحدق قتيبة بأبوابها، و خرجت إليه السغد فى الآلة و السلاح و العدة الكاملة، و اشتبك الحرب بين الفريقين فاقتتلوا مرارا، كل ذلك ينتصف بعضهم من بعض؛ فلما كان

بعد ذلك بأيام أقبل نفر منهم حتى وقفوا على سور المدينة ، ثم تكلم رجل منهم بالسغدية فقال : يا معشر العرب ! على ما ذا تقاتلونا و تدخلون على أنفسكم المشقة و العناء فى أمر لا تصلون إليه؟ إنا قد وجدنا فى بعض كتبنا أن مدينتنا هذه لا يفتحها إلا رجل اسمه أكاف الجمل ، فانصرفوا عنا و لا تتعبوا خيلكم و تقتلوا أنفسكم ، فقال قتيبة : ما الذى يقول هؤلاء القوم ؟ فقال رجل ممن يفهم كلامهم : إنهم يقولون كذا و كذا ؛ فقال قتيبة : الله أكبر ! فأنا والله أكاف الجمل ، أنا قتيبة و القتب قتب الجمل . قال : ثم جد فى حربهم ، فقتل منهم فى ذلك اليوم خلق عظيم .

قال : و كتب ملك سمرقند إلى ملك الشاش بأن العرب قد قاتلونا و قاتلناهم ، فان هم ظفروا بنا ساروا إليكم فانظروا لأنفسكم فانما نحن الجنة دونكم ، فان وصل إلينا عنوة أنتم أذل و أهون . فاجتمع أهل الشاش على نصرة أهل سمرقند ، ثم إنهم أرسلوا إلى غوزك بن أخشيد أن اشغلهم أنت بالقتال حتى نبيت نحن عسكرهم . قال : و جعل أهل الشاش ينتخبون أهل النجدة و الشجاعة من أهل بلدهم ، ثم إنهم ساروا مجمعين على بيات العسكر عسكر قتيبة ، و اتصل الخبر بقتيبة ، فانتخب من عسكره سبعمائة رجل ، كل رجل منهم يحتاج إلى رجال ، ثم قال لهم : اعلموا أن أهل الشاش قد ساروا إلى ما قبلكم يريدون أن يبيتوكم بزعمهم ، فاخرجوا إليهم الآن فاكمنوا لهم فى موضع كذا و كذا ، و ذبوا عن دينكم و أحسابكم - و السلام .

قال : فخرج المسلمون و ذلك فى وقت المغرب ، فنزلوا على فرسخين

Marfat.com

من عسكر قتيبة على /طريق القوم الذى وصف لهم . قال : و رئيس المسلمين ١٤٢ / ب
يومئذ صالح أخو قتيبة ، ففرق أصحابه ثلاث فرق فجعلهم كمناء : كمينا عن يمينه، و كمينا عن شماله ، و وقف هو فى الفرقة الثالثة على قارعة الطريق ، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه إذا أهل الشاش قد أقبلوا فى الآلة و العدة التامة الكاملة ، قال : فلما نظروا إلى المسلمين حملوا عليهم و اختلط القوم ، و خرج عليهم الكمينان عن يمينه و يساره فانطووا عليهم ، و صبر الفريقان بعضهم لبعض ساعة ، و شد على رجل من أهل الشاش عظيم القدر فيهم فضربه ضربة على قرطه فأطار رأسه ، و وقعت الهزيمة على الكفار ، فانهزموا و السيف يأخذهم ، فما أفلت منهم إلا الشديد[1] .

قال : و أسر منهم جماعة ، و انصرف المسلمون إلى قتيبة فخبروه بذلك ، فقال قتيبة : جزاكم الله من قوم خيرا فلقد جاهدتم فأحسنتم الجهاد ، و أبليتم فأحسنتم البلاء . قال : ثم قدم هؤلاء[2] الأسارى فضرب أعناقهم عن آخرهم ؛ ثم أقبل على كعب بن معدان الأشقرى[3] فقال له : يا كعب ! ألست القائل فى المهلب بن أبى صفرة هذه الأبيات[4] :

---

(١) كذا فى الأصل ، و لعله : اليسير .

(٢) فى الأصل : هولائك .

(٣) فى الأصل : الأشعرى .

(٤) فى الطبرى ٨ / ٨٩ و ابن الأثير ٤ / ٢٧٦ : « دعا قتيبة نهار بن توسعة حين صالح أهل السغد فقال : يا نهار ! أين قولك » و قد مضى البيتان الآتيان فى ص ١٢١ لنهار بن توسعة ، و هو الصحيح انظر الشعر و الشعراء ص ١٣٠ .

Marfat.com

[1] ألا ذهب الغزو [1] المقرّب للغنى [2] و مات الندى و الجود بعد المهلب
أقاما [3] بمرو الروذ [4] رهن ضريحه [4] و قد [5] فقدا من [5] كل شرق و مغرب

فقال: بلى أيها الأمير! أنا قائل هذا. و أنا الذى أقول فيك:

فما [6] كان [7] مذ كنا و لا كان [7] قبلنا و لا [8] كائن كالباهلى ابن [8] مسلم
أعم [9] لأهل الأرض بأسا و نائلا و أقسم فينا مغنما بعد مغنم

قال: فأمر له قتيبة بجائزة سنية، و أقبل حتى نزل على سمرقند، فوضع عليها المجانيق فجعل يحاربهم أشد الحرب. قال: فأرسل إليه غوزك بن أخشيد ملك السغد: أيها الأمير! أنت إنما تقاتلنى باخوانى من العجم،

(١-١) من الطبرى و ابن الأثير و الشعر و الشعراء، و فى الأصل: إذا ذهب العرف.
(٢) فى الشعر و الشعراء: للتقى.
(٣) فى الأصل: أقاموا، و التصحيح من الطبرى و ابن الأثير، و ليس البيت فى الشعر و الشعراء.
(٤-٤) من الطبرى و ابن الأثير، و فى الأصل: ما يبرحانها.
(٥-٥) فى الطبرى و ابن الأثير: غيبا عن.
(٦) فى الطبرى و ابن الأثير: و ما.
(٧-٧) فى الشعر و الشعراء: فيمن كان فى الناس.
(٨-٨) فى الطبرى و ابن الأثير و الشعر و الشعراء: هو فيما بعدنا كابن.
(٩) من الطبرى و ابن الأثير، و فى الأصل: أهم. و البيت فى المراجع المذكورة:

أعم لأهل الترك قتلا بسيفه و أكثر فينا مقسما بعد مقسم

و فى ابن الأثير «الشرك» مكان «الترك». و فى الشعر و الشعراء «أشد على الكفار قتلا بسيفه».

فأخرج

فأخرج إلىّ العرب حتى تعلم كيف / أحاربهم ! قال : فغضب قتيبة لذلك ١٤٣ / الف
ثم نادى فى المسلمين فانتخب الأبطال من عسكره فقدمهم إلى الحرب ، و أمر أصحاب المجانيق بالرمى ، فكان المسلمون يرمونه بحجارة المجانيق و السغد يرمونهم بالنشاب ، فلم يزل المسلمون كذلك حتى ثلموا السور برمى الحجارة. قال : و صاح القوم بقتيبة أن ارجع عنا اليوم فانا نصالحك غدا ، فقال قتيبة : إنه قد جزع السغد فانصرفوا عنهم على كفرهم. قال : 'فانصرف المسلمون' عنهم إلى عسكرهم .

ذكر صلح قتيبة بن مسلم على سمرقند و دخوله و المسلمين إياها

قال : فلما كان من غد دنا قتيبة من السور و وقع الصلح بين القوم ، فصالحهم قتيبة على ألفى ألف درهم عاجلة و مائتى ألف درهم فى كل سنة ، و على ثلاثة آلاف رأس من الرقيق ليس فيهم صبى و لا شيخ ، و على ما فى بيوت النيران من حلية الأصنام ، و على أنهم يبنون لقتيبة فى المدينة مسجدا ، و على أنهم يخلون المدينة فلا يكون فيها مقاتل ، و يدخلها قتيبة و أصحابه و يصلى و يخطب و يتغدى بها ثم يخرج ؛ فأجابه غوزك بن أخشيد إلى ذلك على أنه يدخل من باب كس و نسف و يخرج من باب الصين . قال : و أمر غوزك باتخاذ الطعام لقتيبة و لوجوه أصحابه ثم أمر بباب سمرقند ففتح ، فدخل المسلمون المدينة بالتكبير ، و أقبل قتيبة فى

(١ - ١) فى الأصل : فانصرفوا المسلمين .

إخوته و بنى عمه حتى إذا صار إلى باب سمرقند قد استقبله غوزك بن أخشيد فسجد له ، ثم مشى بين يديه حتى صار إلى بيت الأصنام فجلس فيه ، و أقبل غوزك حتى وقف بين يديه بلا سيف ، فجعل قتيبة ينظر إلى غلمان غوزك فى مناطق الذهب المرصعة بالجوهر ، فاغتاظ لذلك غيظا عظيما حتى حتى احمرت عيناه و أراد أن يغدر بغوزك فتبين ذلك فى وجهه ، ثم إنه لم ير[1] ذلك / صوابا ، فتم لغوزك ما صالحه عليه ، فأنشأ كعب بن معدان ١٤٣ / ب الأشقرى[2] فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

ألا أيها الباغى قتيبة غيبـــة أبى الله إلا أن يكون مؤيدا

إلى آخرها . قال فقال له قتيبة : أحسنت يا غلام ! ادفع إلى الأشقرى[2] عشرة آلاف درهم . قال : ثم دعا بالطعام ، فأمر غوزك بن أخشيد بالموائد و قدمت ، و عليها ألوان الأطعمة ، فأكل قتيبة و إخوته و بنو عمه و قوّاده ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم و غسلوا أيديهم وثب قتيبة فصلى ركعتين ، ثم دعا بكاتبه فأمر أن يكتب لغوزك بن أخشيد عهده الذى صالحه عليه .

ذكر العهد الذى كتب الغوزك بن آخشيد

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح قتيبـــة بن مسلم بن عمرو الباهلى غوزك بن أخشيد أفشين السغد ، إنه صالحه و شرط له بذلك عهد الله

---

(١) فى الأصل : لم يرى .

(٢) فى الأصل : الأشعرى .

و مثياقه و ذمته ، و ذمة رسوله محمـــد صلى الله عليه و سلم و آله ، و ذمة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ، و ذمة الأمير الحجاج بن يوسف بن الحكم ، و ذمة المؤمنين ، و ذمة قتيبة بن مسلم ، فصالحه عن سمرقند و رساتيقها كس و نسف أرضها و مزارعها و جميع حدودها على ألفى ألف درهم عاجلة ، و مائتى ألف درهم فى كل عام ، و ثلاثة آلاف رأس من الرقيق ليس فيهم صبى و لا شيخ على أن يسمعوا و يطيعوا لعبد الله الوليد بن عبد الملك بن مروان و للأمير الحجاج بن يوسف و للأمير قتيبة بن مسلم ، و على أن يؤدى غوزك بن أخشيد أفشين السغد ما صالحه عليه قتيبة بن مسلم من مال و رقيق ، فما أعطى من ذلك فى جزية أرضه من السبى يحسب له كل رأس بمائتى درهم ، و ما كان من الثياب الكبار كل ثوب بمائة درهم و الصغار بستين درهما ، / و ما كان من حرير ١٤٤ / الف فكل شقة بثمانية و عشرين درهما ، و الذهب الأحمر كل مثقال بعشرين درهما ، و الفضة البيضاء مثقال بمثقال ، و على قتيبة بن مسلم العهد و الميثاق أنه لا يعمل على غوزك بن أخشيد أفشين السغد بشىء و لا يغدر به و لا يأخذ منه أكثر مما صالحه عليه ، فان خرج على غوزك بن أخشيد عدو من الأعداء فعلى قتيبة بن مسلم أن ينصره و يعاونه على عدوه ، و يقول قتيبة بن مسلم بأنى قد ملكتـــك يا غوزك بن أخشيد سمرقند و أرضها وحدودها و كس و نسف و بلادها و حصونها ، و فوضت إليك أمرها ، وأخذت خاتمك عليها ، لا يعترض عليك معترض ، و أن الملك من بعدك

لولدك أبدا ما دامت لى ولاية بخراسان ؛ شهد عـلى ذلك الحضين بن المنذر البكرى و ضرار بن حصين التميمى و علبـاء بن حبيب العبقسى و معاوية بن عامر الكندى و وكيع بن أبى سود الحنظلى و إياس بن نبهان و الأشجع بن عبد الرحمن و المحرر بن حمران و المجسر بن مزاحم و عبد الله بن الأزور و الفضيل بن عبد الله و عثمان بن رجاء و الحسن ابن معاوية و الفضيل بن بسام ؛ و كتب ثابت بن أبى ثابت كاتب قتيبة بن مسلم فى سنة أربع و تسعين . قال : و ختم قتيبة بن مسلم الشهود بخواتيمهم على هذا العهد، و دفع العهد إلى غوزك بن أخشيد ؛ فأنشأ الفرات بن عبد الله السنى [1] يقول فى ذلك :

يرى الموت من عادى قتيبة مجهرا و ليس بوقاف و لا بمـواكل
و لـكنه سمـح بنفس كريمـة يصول بهـا يوم الفنا و القبائل [2]
فما لأبى حفـص يزيـد إذا سما بأرعن مثل الطود جم الصواهل [3]
حوى السغد حتى شاع فى الناس ذكره و نال التى أعيت عـلى المتطاول
و نال التى قد رامهـا الناس قبله فأعيوا و أمسى ذكره غير خامل [3]

قال : ثم دعـا قتيبة بأخيه عبد الرحمن بن مسلم فجعله مقيما بمدينة سمرقند لئلا ينكثوا و لا يغدروا [4]، ثم أقبل إلى مدينة مرو فنزلها /، و كتب ١٤٤/ب

(١) فى الأصل : الثنى ، و التصحيح من معجم الشعراء ص ٣١٧ .
(٢) فى معجم الشعراء : « بذول لها يوم التفات القنابل » .
(٣) ليس البيت فى معجم الشعراء .
(٤) فى الطبرى ٨ / ٨٩ : « و استخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم » .

إلى

Marfat.com

إلى الحجاج يخبره بما فتح الله عليه من سمرقند و ما كان من صلحه إياهم، و وجه إليه الخمس من أموال سمرقند .

ذكر كتاب الحجاج إلى قتيبة

أما بعد ، يا قتيبة ! فقد استقبل الله عز و جل من أمرك بما لم يستقبل به أحد قبلك من التمكن فى البلاد و الظهور على الأعداء ، فخذ ما آتاك الله بقوة وكن من الشاكرين ، و أعلمك يا قتيبة بأنك إلى الشدة فى دين[1] الله عزوجل أحوج منك إلى اللين و الوهن و الضعف ، فاشدد يديك أبا حفص بما قلدك الله تبارك وتعالى من أمر خراسان ، و اتبع السياسة التى رضى الله بها عن عبده الصالح ذى القرنين إذ قيل له لما بلغ مغرب الشمس "يٰذا القرنين اما ان تعذب و اما ان تتخذ فيهم حسنا[2]ه" فأحب الله تبارك و تعالى أن يبلوه فيما آتاه ، فهداه إلى طاعته و مرضاته من الحرم و القوة . فقال : "اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ه و اما من اٰمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى و سنقول له من امرنا يسرا ه[3]"، فرضى الله بصنيعه الحسن و قص ذلك فى كتابه العزيز على نبيه صلى الله عليه و سلم ليقتدى به أئمة الحق و رعاة الدين ، فتدبر أبا حفص ما كتبت به إليك من موعظة العبد الصالح - و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

---

(١) فى الأصل : الدين .

(٢) انظر سورة ١٨ آية ٨٦ .

(٣) انظر سورة ١٨ آية ٨٧ - ٨٨ .

Marfat.com

قال : فوصل الكتاب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان .

ذكر كتاب الحجاج إلى قتيبة عند وفاته[1]

قال : و مرض الحجاج مرضته التى توفى فيها ، فلما أحس من نفسه الضعف و علم أنه ميت كتب إلى قتيبة أيضا بهذا الكتاب : أما بعد يا قتيبة ! فانى كتبت إليك كتابى هذا و قد اشتد وجعى ، لعل الله تعالى أن يجعل علتى هذه كفارة لذنوبى ، و الله أحب أن أخلد فى هذه الدنيا كما خلد إبليس اللعين - عليه من الله و الملائكة و الناس أجمعين اللعنة و الخزى و البوار و سوء الدار - و لى أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وآله و الأئمة الصالحين / من بعده ، و إنى لأعلم رجالا من المنافقين ١٤٥ / الف منهم ، و إنى لأعلم رجالا يشتد لذلك جزعهم لما يتخوفون من ظهور الأعداء ، و قد علمت أن الذى ينصرهم[2] فى حياتى هو الذى ينصرهم بعد مماتى . فانظر يا قتيبة أن تكون أشد مما كنت فى أمر الله و جهاد الكفار و المنافقين ، و اغلظ عليهم و مأواهم جهنم و بئس المصير ، أستودعك الله يا قتيبة أنت و من معك من المسلمين حتى نلتقى نحن و أنت غدا بين يدى الرب الرحيم[3] .

---

(١) بهامش الأصل : « ذكر وصية الحجاج عند موته » .

(٢) فى الأصل : يضرهم .

(٣) بهامش الأصل « الجواب عندى أن الحجاج معلق فى قصر من حديد بين الجنة و النار - و الله أعلم » .

قال : ثم توفى الحجاج فكانت وفاته بالعراق ليلة الجمعة لسبع مضين من شهر رمضان لخمس أو ست و تسعين[1] - و الله أعلم ؛ فأنشأ الفرزدق بن غالب يقول :

ليبك على الإسلام من كان باكيا على الدين أو مستوحش الليل خائف
و أرملة لما أتاها نعيه أجادت له بالوا كفات الذوارف ٥
و قالت لأتراب لها قمن حسرا فقد مات راعى ذودنا بالتألف
فما ضمنت أرض كمثل ابن يوسف ولا خط يوما فى بطون الصحائف

قال : و اتصل موت الحجاج بالوليد بن عبد الملك فاظهر عليه الحزن و الجزع أياما كثيرة .

ذكر ولاية يزيد بن أبى كبشة على العراق و مسير قتيبة إلى فرغانة ١٠

قال : ثم دعا الوليد بن عبد الملك برجل يقال له يزيد بن أبى كبشة السكسكى فاستعمله على العراق فى موضع الحجاج ، و أمره أن يقر قتيبة بن مسلم على خراسان. قال : فأقبل يزيد بن أبى كبشة حتى نزل العراق ، ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم يخبره بولايته على العراق و يأمره بالمسير ١٥ إلى فرغانة و يحثه على ذلك .

قال : فلما ورد كتاب يزيد بن أبى كبشة على قتيبة نادى فى أصحابه

(١) انظر الطبرى ٨ / ٩٦ .

Marfat.com

فجمعهم و أقرأهم الكتاب ، ثم أمرهم بالتجهز إلى فرغانة لمحاربة أهلها .
قال : فأجابه الناس إلى ذلك ، فسار قتيبة فى جيش عظيم حتى نزل
أرض فرغانة ، فجعل يقتل و يسبى حتى انتهى إلى الشعب / الذى ينتهى منه ١٤ / ب
إلى الصين ، و قد غنم المسلمون غنائم كثيرة . ثم أقبل قتيبة حتى نزل
على ملك فرغانة و اسمه باشك و كان له حصن وثيق يقال له كذه ،
و قد جمع باشك فى ذلك الحصن جميع ما يحتاج إليه من آلة الحصار ؛
قال : فأقام عليه قتيبة سبعة أشهر حتى فنى ما كان عنده ، ثم خدعه
قتيبة فاستنزله من حصنه بغير أمان ، ثم قدمه فضرب عنقه صبرا ،
ثم احتوى على أمواله و قليله و كثيره ، فأخرج من ذلك كله الخمس ،
ثم وجه به إلى يزيد بن أبى كبشة أمير العراقين ، و قسم باقى ذلك فى
المسلمين ؛ فأنشأ حاجب بن ذبيان المازنى فى ذلك يقول أبياتا مطلعها :

كم من عدو قتلت ذى كلب جهم المحيا صبحت بالحرب

إلى آخرها . قال : و بلغ الوليد بن عبد الملك أن قتيبة بن مسلم قد
فتح فرغانة و ظفر بأهلها و قتل ملكها . فكتب إليه : أما بعد ، فان
أمير المؤمنين قد عرف بلاءك فى عدو المسلمين و نكايتك فى المشركين ،
و أمير المؤمنين رافعك و صانع بك كل الذى تحب ، فأتم مغازيك
و انتظر ثواب ربك ، و لا تغب أمير المؤمنين من كتبك حتى كأنه
ينظر إلى جهادك و الثغر الذى أنت فيه - و السلام عليك و رحمة الله
وبركاته[1] .

(١) انظر لهذا الكتاب الطبرى ٨ / ٩٦ و سمط النجوم العوالى ٣ / ١٨٤ .

Marfat.com

ذكر فتح كاشغر من أدانى مدائن الصين و وفاة الوليد بن عبد الملك

قال : فلما فتح قتيبة فرغانة و كان من أمرها ما كان نادى فى الناس فجمعهم ثم سار بهم إلى كاشغر ، و كاشغر من أدانى مدائن الصين .

قال : فسار إليهم قتيبة بخيله و رجله ، حتى إذا تقارب من بلادهم نزل بعسكره فى أدانى أرضهم ، ثم دعا برجل من أصحابه له كثير بن ايم الرياق [1] فضم إليه سبعة آلاف رجل من فارس و راجل و وجه بهم إلى كاشغر ، قال : فأقبل كثير حتى نزل عليهم فقاتلهم قتالا شديدا ، و سبى منهم مائتى رأس ، فختم رقابهم و وجه بهم إلى قتيبة ؛ فأنشأ نهار بن توسعة يقول فى ذلك :

/ لقد ذاقت بنو الأتراك حربا و ذلا ليس بالذل الحقير ١٤٦ / الف

و كم فى الحرب حمق من أمير و كم فى الحرب حزم من أمير

قال : ثم رجع قتيبة بن مسلم من غزوته تلك و توفى الوليد بن عبدالملك ، فكان ملكه تسع سنين و ثمانية أشهر ، و توفى بدمشق فى يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة ست و تسعين ، و هو يومئذ ابن سبع و أربعين سنة ، و كانت وفاته بعد وفاة الحجاج بأحد عشر [2] شهرا - و الله أعلم .

---

(١) كذا فى الأصل ، و فى الطبرى ٨ / ١٠٠ « كثير بن فلان » ، و فى ابن الأثير ٥ / ٢ « كبير بن فلان » .

(٢) فى الأصل : باحدى عشر.

Marfat.com

ذكرو لاية سليمان بن عبد الملك[1] وخبر يزيد بن المهلب

قال: فلما توفى الوليد بن عبد الملك صار الأمر إلى أخيه سليمان ابن عبد الملك، فدعا سليمان بيزيد بن المهلب فخلع عليه و حمله و عزم على أن يوليه العراقين[2] البصرة و الكوفة. فقال له يزيد بن المهلب: يا أمير المؤمنين! إن العراق قد أجبر به الحجاج بن يوسف فى ولايته و أنا رجل من أهل العراق، و متى وليته و قدمت عليهم أخذتهم بالخراج، و الخراج لا يستخرج إلا بالضرب و الشتم و الحبس الشديد، و متى فعلت هذا بهم أكون عندهم كالحجاج فتغلظ على قلوبهم، فان رأى أمير المؤمنين أيده الله أن يعفينى من ذلك، و أنا أدله على رجل بصير بأمر الخراج و سياسة الأمور فيوليه إياها، قال سليمان: و من هذا الرجل؟ فقال: صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم، فقال سليمان: فانا قد قبلنا ذلك منك و ولياك خراسان إن أحببت، فقال يزيد: يا أمير المؤمنين! تلك غايتى و منيتى. قال: فدعا سليمان بن عبد الملك بصالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم فعقد له عقدا و ولاه العراق، و عقد ليزيد بن المهلب بلاد خراسان حربها و خراجها كما كان فى أول مرة[3].

(١) بهامش الأصل: «خلافة سليمان بن عبد الملك».

(٢) زيد فى الأصل: و.

(٣) و فى الطبرى ٨ / ١٠٣: «عزل سليمان يزيد بن أبى مسلم عن العراق و أمره عليه يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج».

Marfat.com

ذكر ابتداء خلاف قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك و عصيانه إياه

قال : [فخرج] يزيد بن المهلب من الشام أميرا على خراسان غير أنه صار إلى البصرة ليجتمع إليه الناس من إخوته و بنى عمه و مواليه ، قال : و بلغ ذلك قتيبة بن مسلم فاتقى على / نفسه لما كان ارتكب من ٥ ١٤٦/ب آل المهلب فى ولاية الحجاج ، فنادى فى الناس فجمعهم إليه ثم قال : أيها الناس ! إن خليفتكم الوليد بن عبد الملك قد مضى لسبيله كما قد علمتم ، و قد صار الأمر إلى أخيه سليمان بن عبد الملك ، و قد علمتم منزلة يزيد بن المهلب منه ، و قد بلغنى أنه قد ولى هذا البلد و أنا أكره أن أكون فى بلد و فيه مثل يزيد بن المهلب ، و أنا ناظر فى أمرى بعد ١٠ هذا - و السلام .

ثم دخل قتيبة إلى رحله و كتب إلى سليمان بن عبد الملك يهنئه بالخلافة و يعزيه عن أخيه الوليد ، و وجه بالكتاب مع رجل من الأزد . فلما ورد كتاب قتيبة على سليمان بن عبد الملك و قرأه أقبل على الرسول فقال : كيف رأيت قتيبة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! رأيته [1] كارها لولاية ١٥ يزيد بن المهلب خراسان ، و أظنه سيخالف على أمير المؤمنين . قال : فكتب سليمان إلى قتيبة : أما بعد ، فان الناس قد اشتد عليهم البلاء فى ولاية الحجاج من الخوف و الحبس و التشريد حتى ضاقت صدورهم ،

(١) فى الأصل : كيف رأيته .

Marfat.com

و قد أحب أمير المؤمنين أن يحل عقد الخوف عنهم و أن ينعشهم بالعدل و الإنصاف و الأمن ، و قد فهم أمير المؤمنين كتابك و تهنئتك و ما قد أضمرت فى نفسك من الخلاف ، فلا تفسدن صالح عملك بشق العصا فان أمير المؤمنين و إن عزلك عن خراسان ولاك غيرها ، فأقبل إلى أمير المؤمنين فيمن أجبت من إخوتك و قوادك آمنا مطمئنا - و السلام .

قال : فلما ورد كتاب سليمان بن عبد الملك على قتيبة جعل يحرك رأسه ثم أنشأ يقول :

رمانى بسليمان بأمر أظنه سيحمله منى على شر مركب
رمانى بجبار العراق و من له على كل حى حد ناب و مخلب
و للموت خير من حياة ذليلة وحبل ضعيف قد وهى متقضب
و للترك أدنى فى الوداد مودة و أقرب منى من بنى المهلب

قال : فوثب إليه رجل من أصحابه يقال له جهم بن زحر الجعفى فقال : أيها الأمير ! إنك قد أخذت فى شىء لا يدرى ما هو فاشرحه لنا و اسلك بنا سبيلا نعرفه ، فقال قتيبة : إياك عنى ، و اسمعى يا جارة [1] ! قال : فعندها وقع فى قلوب الناس و علموا أن قتيبة مخالف على سليمان بن عبد الملك و أنه قد عزم على العصيان ؛ فأنشأ بعضهم فى ذلك يقول : ١٤٧/ الف

أقتيب إنك قد أتيت عظيمة فانظر قتيبة أين أين المهرب
أصبحت ناكث بيعة أعطيتها طوعا فجلدك للخلافة أجرب
مهلا فانا لا نجيبك و الذى تدعو إليه من أمورك أعجب

(١) فى الطبرى ٨/١٠٩ أن اسم جارية قتيبة أم خليدة كانت خوارزمية .

ما

Marfat.com

ما ابن المهلب بالذى يزرى به نقص ولا فى أمره متغلب
ولأنت أحقر و الذى أنا عبده فى عينه من بقـــة تتذبذب
فانظر لنفسك يا قتيبة فربما نظر السفيه فضاق عنه المهرب

قال : ثم دعا قتيبة برجل من أصحابه فوجه به إلى نيسابور و قال له : كن هنالك مقيما و اكتب إلىّ بالأخبار الصحيحة من أمر يزيد بن المهلب حتى أعمل على حسب ذلك ، و انظر أن لا تخفى علىّ شيئا من الأخبار . قال : فخرج ذلك الرجل حتى صار إلى نيسابور فنزلها ، ثم جعل يستخبر الأخبار المتواترة بالصحة أن سليمان بن عبد الملك قد ولى يزيد بن المهلب أرض العراق و قد دفع إليه آل أبى عقيل من أهل بيت الحجاج ليستأديهم الأموال - و السلام . قال قتيبة : لئن كان ولاه العراق فقد ولاه خراسان ، اللهم ! إنى أسألك ميتة كريمة ! قال : ثم عزم قتيبة على أن يأتى خوارزم فيتحصن بها ، ثم بدا له فى ذلك الرأى و عزم على أن يأتى فرغانة فيتحصن بها ، ثم إنه قعد فافتعل كتابا على لسان سليمان بن عبد الملك : أما بعد ، يا قتيبة ! فقد بلـــغ أمير المؤمنين فى الآثار الصادقة أن خليفة من خلفاء بنى أمية اسمه اسم نبى يفتح الله على يديه مدينة القسطنطينية ، فيجد فيها قميص آدم و جبة حواء و مائدة عيسى ابن مريم ، و يفتح الله له أرض الصين فيحتوى على أموالها و قليلها و كثيرها ، و قد توجه أمير المؤمنين نحو القسطنطينية واثقا بالله و بالأخبار الصادقة أن / الله عز و جل يفتحها على يديه ، فانظر يا قتيبة إذا ورد عليك ١٤٧/ ب كتابى هذا فاغز بمن معك من المسلمين إلى أرض فرغانة ، ثم سر منها

Marfat.com

إلى الصين ، و عليك بالجد و الجلد فى أمر الله ، فإن أمير المؤمنين واثق بطاعتك ، عارف بيمنك و بركتك لما كان من العدو و منك ، و أنه رافعك و زائدك و صانع إليك ما لم يصنعه إلى أحد ممن كان قبله من الخلفاء - و السلام . قال : ثم جمع قتيبة الناس فلقرأهم الكتاب و أمرهم بالاستعداد و التأهب و المسير إلى فرغانة .

قال : فتجهز الناس و خرجوا على كره منهم ، و اتصل الخبر بسليمان ابن عبد الملك ، فكتب إلى يزيد بن المهلب فأشخصه من البصرة إلى ما قبله ، ثم قال : اعلم أن قتيبة بن مسلم قد خالف من ولايتك أرض خراسان خوفا شديدا لا يكون لنا معه طاقة ، فالرأى أن تكتب إليه كتابا تزين له المسير إلى فرغانة و تضرب له رأيه و تأمره أن لا يخرج عنها حتى يفتح الله قلاعها ، و تأمر الرسول الذى يصل إليه بالكتاب أن يقول للناس بأن أمير المؤمنين قد زادكم فى العطايا مائة مائة ، و قد أذن لمن أحب منكم القفول أن يقفل إلى منزله ، فإن الناس يحبون القفول إلى منازلهم و قتيبة يمنعهم من ذلك فيخالفونه .

قال : فكتب يزيد بن المهلب إلى قتيبة بن مسلم بما أمر به سليمان ابن عبد الملك ، فلما ورد الكتاب على قتيبة فرح بذلك و استبشر ، ثم خرج إلى الناس فقرأ عليهم ، فلما فرغ من قراءة الكتاب قام الرسول فقال : أيها الناس ! إن أمير المؤمنين قد زادكم فى العطاء مائة مائة و قد أذن لمن أحب منكم القفول إلى منزله فليقفل . قال : فعلم قتيبة أن هذا الرسول قد أغرى به الناس ، فقال : أيها الناس ! إن هذا الرسول يمنيكم الضلال

Marfat.com

و الأباطيل ، و إنه يريد بكم غير ما تظنون ، إن سليمان بن عبد الملك إنما يدعوكم إلى أن تبايعوا ابنه أيوب ، و أيوب غلام لا تحل ذبيحته ، و الله إن غلامى هذا الذى / يخدمنى لأفضل من أيوب بن سليمان . ١٤٨ / ا

قال : ثم دخل قتيبة إلى رحله فكتب إلى سليمان بن عبد الملك ثلاثة كتب : كتاب منها فى طومار يذكر فيه طاعته لعبد الملك بن مروان و لابنه الوليد ، و أنه له [1] على مثل ما كان [لهما - [2]] عليه فى أول أمره ؛ وكتاب فى ثلث طومار فيه فتوحه و أيامه و قدره عند العجم و بعد صوتـــه فيهم ، و يذم آل المهلب و يحلف بالله لئن استعمل يزيد ابن المهلب على خراسان ليخالفنه و ليفتقن عليه فتقا عظيما ؛ و كتاب فى ربع طومار بخلع سليمان و الخلاف عليه . ثم قال : من يبلغ كتبى هذه إلى سليمان بن عبد الملك فله دينه ! فقال له مولى له : أنا أبلغها فهاتها ! قال : فدفع قتيبة كتبه هذه إلى مولاه ثم قال : أوصل هذا الطومار الأكبر إلى سليمان بن عبد الملك أنت بنفسك ، فان قرأه و ألقاه إلى يزيد ابن المهلب فادفع إليه الثانى ، [فان قرأه و ألقاه إلى يزيد فادفع إليه الثالث] فان قرأ الكتاب الأول و لم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين الآخرين معك و لا تدفعهما إليه .

قال : فقدم رسول قتيبة بن مسلم إلى الشام و وافاه يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك ، فدخل و دفع الطومار الأكبر إلى سليمان ،

---

(١) فى الأصل : لهم ، و التصحيح من الطبرى ٨/ ١٠٤ .

(٢) من الطبرى .

Marfat.com

فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد ، فدفع الثانى إليه فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد ، ثم دفع إليه الثالث فقرأه و وضعه إلى جانبه ثم تبسم و ألقاه إلى يزيد و قال : لقد ظلمنا قتيبة و إنه لعظيم الغناء حسن البلاء ، ثم نهض و أمر برسول قتيبة فحول إلى دار الضيافة و أخذ الكتاب الثالث . فلما أمسى دعا سليمان برسول قتيبة فأعطاه صرة فيها دنانير فقال : هذه جائزتك و هذا عهد صاحبك قتيبة على خراسان مع رسولى هذا . قال : ثم وجه سليمان بن عبد الملك معه برجل من عبد القيس يقال له صعصعة . فخرجا حتى إذا صارا بحلوان تلقاهما الناس بخلع قتيبة و عصيانه ، قال : فمضى رسول قتيبة و رجع رسول سليمان إلى الشام .

قال : و دخل رسول قتيبة إلى خراسان فقال له قتيبة : و ما وراءك فقال : / ورائى أنى قد كنت أتيت بعهدك من أمير المؤمنين ، فلما صرت ١٤/ ب إلى حلوان و سمع الرسول بخلعك رجع بعهدك إلى صاحبه . قال : فندم قتيبة على ما عزم عليه من الخلع و العصيان ، ثم كتب إلى البحترى بن عبد الله الأسدى ، و كان كبيرا أثيرا عظيم القدر عند أهل خراسان ، فقال له : يا بحترى ! إنى قد جربت منك يمنا و رأيا ، و قد كان منى ما علمت ، و لست آمن سليمان فهات ما عندك ، قال فقال له البحترى : إذا أخبرك بذلك أن القوم قد عرفوك و عرفوا منك الطاعة ، و قد علموا أن ما كان منك فى العدو ليس بصغير ، فهم لا يستنقذونك مع قدرك و موضعك و بعد صوتك . قال فقال له قتيبة : يا أعور ! أتظن أنى أخاف القتل ، ما أخاف و لكنى لا آمن أن يولى يزيد بن المهلب خراسان فيدعونى والناس حضور

Marfat.com

عنده فيقصر بى ، و الموت عندى أيسر من ذلك ، قال فقال له البحترى : أيها الأمير أصلحك الله ! إن ظنى بيزيد بن المهلب و إن ولى خراسان فانه لا يفعل بك ما تظن ، و إن فعل بك ما تخاف لن ينقصك ذلك . قال فقال قتيبة : ذر عنك هذا ، ما الذى تقوله الناس ؟ فقال : يقولون بأنك خالع عاص ؛ فقال قتيبة : لا حول و لا قوة إلا بالله ، فقال البحترى : نعم ما قلت ، و لكن انتظر رسولك و ما يأتيك به من عند أمير المؤمنين ، فانى أظن أنه سيأتيك بعهدك ، فلا تعجل فتعرض نفسك و أهل بيتك للحرب و القتال ، فانه لا يدرى على ما ينجلى أمرك . قال فقال له قتيبة : ويحك يا بحترى ! إنه قد جاء رسولى بعهدى إلى حلوان ، غير أن رسول أمير المؤمنين رجع بالعهد إلى الشام ، و أما الحرب و القتل فوالله ما من غائب هو أحب إلىّ من الموت و إنى لأدعو بالأعاجم خاليا و معهم خناجرهم و سيوفهم ، و ما منهم إلا من قد وترته بشتم أو بضرب أو بقتل ذى / محرم فأتهددهم بالضرب و القتل فما يزيدهم ذلك إلا خضوعا و ذلا ، ١٤٩ / الف و إنى لاخرج ليلا فأمشى وحدى فى قميص بين قوم ما منهم رجل إلا و قد نالته منى عقوبة فما يعرض لى أحد منهم ، و لقد دعوت بصاحب دراتى و قد كنت ضربته بالأمس فدعوته و أنا وحدى ، فقام بين يدى طويلا سيفه معه و خنجره فى وسطه و أنا لا أكلمه ، و أقول إنه سيفتك بى ، فما فعل بى شيئا ثم خرج من بين يدى فزعا مرعوبا ، فلست أخاف القتل .

قال : ثم أرسل قتيبة إلى الحضين بن المنذر البكرى فدعاه ثم قال :

Marfat.com

يا أبا محمد ! إنى أريد أمرا و أخاف أهل خراسان و انتقاصهم على المسلمين ، فقال له الحضين بن المنذر : أيها الأمير ! و ما هذا الأمر الذى تريد ؟ قال : أريد أن أوجه إلى كاشغر رجلا فى خيل و إلى طريق فأحصن ذلك الطريق ، قال فقال له الحضين بن المنذر : أيها الأمير ! ههنا طريق واحد إن قدرت على إحكامه فالطريق كلها آمنة ، قال قتيبة : و أى طريق هذا ؟ فقال : طريق الأجل المقدر ، قال : فغضب قتيبة و أخذ قلنسوته فضرب بها الأرض حتى انشقت ، قال : فقال له الحضين : بئسما تفاءلت به لنفسك أيها الأمير ، فقال قتيبة : لأنك تلقانى بكل ما أكره فى كل وقت . قال : فوثب الحضين فخرج من عنده .

و أرسل قتيبة إلى إخوته فشاورهم فى أمره ، فقال عبد الرحمن : قم فصر إلى سمرقند ، و قل للناس من أحب المقام فله المواساة ، و من أراد الانصراف إلى بلده فغير مستكره ، فانه لا يقيم معك إلا الناصح لك ، ثم حينئذ اخلع سليمان فانه لا يأمنك ؛ فقال له عبد الله بن مسلم : اخلعه . قال : فأخذ قتيبة برأى أخيه عبد الله ، فأنشأ نهار بن توسعة يقول فى ذلك :

شمر و نمر يا قتيبة بن مسلم فان يزيدا ظالم[1] و ابن ظالم
و لا تأمنن الثائرين و لا تنم فما ليل أصحاب التراب بنائم
و لا تثقن بالأزد فالغدر رأيهم و مكر فمنهم مستحل المحارم
١٤٩/ب / و إنى لأخشى يا قتيب عليكم معرة يوم مثل يوم ابن خازم

(١) فى الأصل : ظالما .

Marfat.com

ذكر كلام قتيبة فى خطبته

قال : فعندها نادى قتيبة فى الناس فجمعهم ، ثم قام فيهم خطيبا ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنكم قد علمتم أنى وليت أموركم فضممت الأخ إلى أخيه و الابن إلى أبيه ، و قسمت فيئكم ، و وفرت عليكم عطياتكم ، و قد جربتم الولاة قبلى ، أتاكم أمية بن عبد الله فكان كاسمه فى رأيه و عقله ، يخضع فى كور خراسان لا يجبى فيئا و لا ينكئ عدوا و لا مذعنا للطاعة و لا منيبا للمعصية ، كتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بأن خراسان لا يقوم لمطبخه ؛ ثم جاءكم من بعده المهلب بن أبى صفرة فدوّم بكم ثلاث سنين لا تدرون فى طاعة أنتم أم فى معصية ، حتى بليت ثيابكم و ذهبت أموالكم ، لا يجبى فيئا و لا ينكئ عدوّا ؛ ثم جاءكم بنوه منهم ابن الرحمة[1] ، [و إنما خليفتكم - [2]] يزيد ابن [3]ثروان هبنقة[3] القيسى بل هو أحمق منه[4] ، و أقل عقلا من باقل[5] ،

---

(١) فى الأصل : دحمة ؛ و التصحيح من جمهرة خطب العرب ٢/ ٢٩٧ ، و يريد به يزيد بن المهاب .

(٢) من الطبرى ٨ / ١٠٥ و جمهرة خطب العرب ٢ / ٢٩٣ .

(٣) فى الأصل : بوران هنيفة - كذا .

(٤) يضرب به المثل فى الحمق فيقال « أحمق من هبنقة » انظر المستقصى ١/ ٨٥ .

(٥) هو رجل من اياد ، يضرب بعيه المثل ، قيل اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فمر بقوم فسألوه : بكم اشتريته ؟ فمد لسانه و مد يديه (يريد أحد عشر) فشرد الظبى و كان تحت إبطه ، و المثل « أعيى من باقل » انظر مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٣٢٩ .

Marfat.com

و قد رأيتم عدلى فيكم و إنصافى إياكم، فهاتوا ما عندكم . قال: فما أجابه أحد بشىء ، قال : فغضب قتيبة لذلك ثم قال: يا أهل السافلة ! ولا أقول: يا أهل العالية ؛ و بنى بكر بن باطل ! و لا أقول: بكر بن وائل ؛ و يا بنى ذميم ! ولا أقول: بنى تميم؛ و يا أهل الشح و البخل بأى يوميكم تخوفونى أم بأى يوم تمنون علىّ ! أ بيوم حربكم أم بيوم سلمكم ؛ و أنتم يا معشر الأزد تبدلتم بقلوس السفن أعنة الحصن ، و بالمرادى[1] الرماح ، و بالمجاذيف السيوف ؛ و أنتم أعراب، وما الأعراب ! ولعنة الله على الأعراب! "الأعراب اشد كفرا ونفاقا[2]؛" جمعتكم من منابت الشيح و القيصوم كما يجمع قزع الخريف بعد ركوبكم الأتن و البقر فى جزيرة بنى كاوان[3] ، حتى إذا ملأتم أيديكم من غنائم الأعاجم و خدمتكم أبناء ملوك الترك و السغد قلتم كيت وكيت و ذيت وذيت ، أما و الله لئن وليكم يزيد بن المهلب ليعصبنكم عصب النسعة و ليقرعنكم قرع / المروة . قال: فسكت الناس فما أجابه أحد بشىء، فجعل ١٥ / الف يتمثل بهذا البيت :

إن امرأ ملك اليمامة كلها أعطى الملوك مقادة لم يضلل

قال : فنهض الناس و تفرقوا و هم غضاب من شتمه لهم و سوء مقالته فيهم . و دخل قتيبة إلى رحله و أقبل إليه إخوته و أهل بيته فقالوا

(١) واحدها المردى - بالضم والشد ،خشبة تدفع بها السفينة،تكون فى يد الملاح .
(٢) سورة ٩ آية ٩٧ .
(٣) هى جزيرة عظيمة و هى جزيرة لافت و هى من بحر فارس بين عمان و البحرين - انظر معجم البلدان ٤ / ١٠٣ .

Marfat.com

له: أيها الأمير! ما ذا أتيت إلى الناس فى هذا اليوم! و الله ما قصرت عن أهل العاليـــة و هم شعارك و دثارك، ثم تناولت بنى بكر بن وائل و هم أنصارك، ثم لم ترض حتى تناولت بنى تميم وهم إخوتك، ثم تناولت الأزد و هم يدك و جناحك، فقال قتيبة: لأنى تكلمت فما أجابنى أحد منهم بشىء، و قد مضى القوم فذروهم، إن أهل العالية كابل الصدقة جمعت من كل أوب، و بنو بكر أمة لا تمنع يد لامس، و تميم جمل أجرب، و عبد القيس ما يضرب الحمار ببطنه[1]، و الأزد أعلاج و أشرار خلق الله، و الله أن لو ملكت أمرهم لوسمتهم.

قال: فعندها مشى الناس إلى عبد الرحمن القسرى، و كان قتيبـــة قد أضر به، فكلموه و قالوا: أما رأيت ما تكلم به هذا الرجل فينـا و فى قومنا و عشائرنا؟ فقال: قد بلغنى ذلك، فما تريدون؟ فقالوا: نريد أن تدخل إليه فليأذن لنا فى القفول إلى بلادنا، و هو أعلم بعد ذلك إن شاء فليخلع سليمان بن عبد الملك و إن شاء فليسمع و ليطع، فان هو لم يأذن لنا فلا يلومن إلا نفسه. قال فقال لهم عبـــد الرحمن القسرى: يا هؤلاء! أنتم تعلمون الذى بينى و بينه من التباعد، و لكنى ألقى أخاه عبد الرحمن بن مسلم فانه من أمثلهم، فقالوا: ذاك إليك.

قال: فأقبل عبد الرحمن القسرى حتى دخل على عبـد الرحمن بن مسلم فسلم عليـــه ثم قال: إنى لاحسب أن أخاك قتيبة قد خذل، و لو لا ما كان منه إلىّ لكلمته فى ذلك لأن الناس قد هموا به، فليأذن

(١) فى الطبرى ٨ / ١٠٥: و أما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه.

Marfat.com

لهم بقفولهم إلى بلادهم من قبل أن يتفاقم الأمر . قال فقال له عبد الرحمن :
إن قتيبة لا يخاف هذا الكلام ، إنى لو بعثت أمتى / لفرقتهم فى الجبال ؛ ١٥٠/ ب
قال : فغضب القسرى من ذلك ثم قال : إنك لو بعثت أمتك لنكحوها و رجعت إليك مفضوضة . قال : ثم خرج القسرى من عنده ، و أقبل
٥ عبد الرحمن بن مسلم حتى دخل على قتيبة فخبره بما كان تكلم به القسرى و ما يتكلم به القسرى .

قال : فبلغ ذلك عباد بن إياس الغنوى فأقبل حتى دخل على قتيبة فقال : أيها الأمير ! إنك قد أفسدت قلوب الناس عليك ، فناد فيهم بالقفول إلى منازلهم حتى تذهب عنك العامة و أهل الأحقاد ثم ترى
١٠ رأيك بعد ذلك ؛ قال : لا أفعل و لا آذن لهم بالقفول . قال ، فادع إذا بتقاتك من العجم ، فلا يشعر الناس إلا و أنت مشمر للحرب ، ثم ادع من تخافه على نفسك فاضرب عنقه من قبل إجماع الكلمة عليك ؛ قال قتيبة : لا أفعل ذلك . قال : فأعط الناس حقهم و أرضهم بالأموال ، قال : لا و لا كرامة ! قال : فأنت و الله مقتول .

١٥ قال : ثم خرج عنه عباد بن إياس الغنوى ، و نادى قتيبة فى الناس فجمعهم ثم خرج إليهم فخطبهم ، فحمد الله و أثنى عليه و قال : يا أهل خراسان ! حتى متى يتبطح أهل الشام فى فنائكم ، و الله لقد أدنونى و أقصوكم ، و أكرمونى و هانوكم ، و رفعونى و وضعوكم ؛ يا أهل خراسان ! أتيتكم و أنتم رجلان : رجل قد نزع سنان رمحه فجعله محراثا يحرث به ،
٢٠ و رجل منكم على حربه إن هدرت هدر و إن سكنت استقر ، لباسكم

العباء، و طعامكم الخشب، فأطعمتكم الجرمق، و ألبستكم النرمق، و بصرتكم ما لم تكونوا تتناولونه قبل ذلك، فنطقت فيكم الشعراء، و تفوهت فيكم الأدباء. خرجتم مع ابن الأشعث ثم أتيتموني خائفين من سيف الحجاج فآمنتكم و كففت عنكم، حتى إذا تم لكم الأمن و أمنتم النقمة أشرتم و بطرتم النعمة، فأنشأتم تضربوني في الأمثال و تمنون الأماني، و الله ٥ أن لو شئت لكنت أعز العرب دعوة و أكثرها ناصرا بما قد أفاءه الله علىّ. ثم قال: أين رماة الحدق! فقام أبناء ملوك السغد و أبناء / ملوك ١٥١ / الف الترك و الطراخنة و البرقش و أبناء ملوك بخارستان و غيرهم من أبناء ملوك خراسان، و هم يومئذ زيادة على عشرة آلاف غلام لا يسقط لأحد منهم سهم. قال قتيبة: هؤلاء أعظم الأعاجم أخطارا، و أكرمهم ١٠ نجارا، و أضرب منكم بالسيوف، و أثبت منكم عند اللقاء. قال: فسكت القوم فما أجابه أحد بشيء من ذلك، فازداد غضبه، ثم سكت و تنحى عن موضعه ذلك و دخل إلى رحله، و نهض الناس مزمعين[1] على حربه و قتله.

ذكر مقتل قتيبة بن مسلم و اجتماع أصحابه على ذلك ١٥

قال: ثم إنهم مشوا إلى الحضين بن المنذر فقالوا له: يا أبا محمد! هل لك أن نوليك[2] أمورنا إلى أن يقدم علينا أمير من عند سليمان بن عبد الملك

---

(١) في الأصل: مزمعون.

(٢) في الأصل: نواليك.

و يكفينا أمر قتيبة ، فقد تعدى طوره و جاوز قدره ؛ فقال الحضين : لا حاجة بى فى ذلك ، فقالوا : و لم ؟ قال : لأن مضر خراسان إنما ثلاثة أخماس[1] ، بنو تميم خاصة الجيش و أكثرها فرسان[2] ، فهم لا يرضون أن يكون فى غيرهم ، و أخرى فانكم إن أخرجتموهم[3] من هذا الأمر أعانوا قتيبة عليكم . قال فقالوا له : يا أبا سامان ! إن قتيبة قد وتر بنى تميم بقتل [4]ابن الأهتم[4] فقال : صدقتم و لكنهم يتعصبون للضرية .

قال : فترك القوم حضينا ، ثم صاروا إلى عبد الله بن حوذان الجهضمى ، و هو يومئذ سيد من سادات الأزد ، فكلموه فى ذلك فلم يجبهم إلى شىء ، فرجعوا إلى الحضين بن المنذر فقالوا : يا أبا محمد ! إن بكر بن وائل لا تخالفك و نحن نوليك أمرنا ، فقال : ما أحببت أن يكون لى فى هذا الأمر ناقة و لا جمل ، عليكم بغيرى فان قبائل مضر لا ترضى أن تسلبوها أمرها و تقتلوا و يولى الأمر عليها غيرها .

قال : فتركوه و أقبلوا إلى حيان[5] بن إياس العدوى[6] فقالوا له : نريد منك أن تمشى معنا إلى الحضين بن المنذر فتكلمه فى هذا الأمر . فأقبل حيان إلى الحضين فقال : يا أبا محمد ! ما الذى تكره من أن تخلع

---

(١) فى الأصل : أجناس . (٢) فى الأصل : فرسان .

(٣) فى الأصل : أخرجتموهن .

(٤-٤) فى الأصل : بنى الابهم ، و التصحيح من الطبرى ٨ / ١٠٦ .

(٥) فى الأصل : عباد ، و سيأتى بعد حيان ـ انظر أيضا الطبرى ٨ / ١٠٨ .

(٦) فى الأصل : الغنوى ، و التصحيح من الطبرى .

Marfat.com

قتيبة و نوليك هذا الأمر ؟ فقال الحضين : أذكرك الله / أبا معمر أن ١٥١ / ب
تراجعنى فى هذا الأمر ، فو الله ما أستطيع أن أستمعه - و كان الحضين
فى وقته ذلك قائما فجلس ، ثم قال : و الله ما يحملنى رجلاى مخافة أن
يبلغ قتيبة ذلك ، فذرنى و عليك بغيرى .

فخرج حيان بن إياس من عند الحضين بن المنذر ، ثم بعث إلى قوم
من قبائل مضر فجمعهم ، ثم قال : إنه [1]لم يكن[1] لهذا الأمر إلا هذا
الأعرابى - يعنى وكيع بن أبى أسود التميمى ، فانه رجل مقدام بطل ،
لا ينظر فى عاقبة ، و له عشيرة تطيعه و تقبل منه ، فصيروا إليه . ثم صار
القوم إلى وكيع بن أبى سود فكلموه فى ذلك ، فقال وكيع : هات يدك
يا حيان ! فمدحيان يده فبايع وكيعا .

قال : و اتصل الخبر بقتيبة بن مسلم بأن حيان بن إياس العدوى[2]
قد بايع وكيعا و أنه قد أفسد عليه الناس ، فقال قتيبة : و الله لقد حذرنيه
الحجاج قبل هذا اليوم حين وليته أمر السغد ، فقال : احذره فان لك
منه يوما اروباتا[3] .

قال : و جعل الناس يصيرون إلى وكيع بن أبى سود فيبايعونه سرا
حتى بايعه خلق كثير ؛ فجعل يتمثل بقول الأشهب بن رميلة حيث يقول :

(١-١) فى الأصل : لن يكن .
(٢) فى الأصل : الغنوى .
(٣) كذا فى الأصل .

Marfat.com

سأجنى ما جنيت و إن ركنى لمعتمد إلى ركن[1] ركين

قال : و بخراسان يومئذ من مقاتلة أهل البصرة أربعون ألفا ، منهم بنو تميم عشرة آلاف و رئيسهم يومئذ ضرار بن حصين بن زيد الفوارس ابن حصين بن ضرار ، و عشرة آلاف من الأزد و رئيسهم يومئذ عبد الله بن حوذان الجهضمى ، و الحصين بن المنذر البكرى . و عبد القيس خاصة فى أربعة آلاف[2] ، فهؤلاء كلهم على قتيبة إلا من كان من قبائل قيس عيلان ، فانهم كانوا مع قتيبة .

قال : و جعل قوم يأتون قتيبة و يقولون له : أيها الأمير ! عليك بالاستعداد و الحذر فان الناس قد بايعوا وكيعا و خلعوك ، قال : فكان قتيبة لا يصدق بشىء من ذلك و يقول : هؤلاء قوم يحسدون وكيعا لأنه يشرب فى منزلى و يسكر حتى يخدّر و يحمل من منزلى و هو / سكران ١٥٢ / الف لا يعقل ، و هو يريد الخروج و الخلاف علىّ ، هذا لا يكون أبدا . قال : فجعل الناس يبايعون وكيعا و يقولون له : يا أبا المطرف ! إنما نبايعك

(١) فى الطبرى ٨ / ١٠٦ : نضد .

(٢) فى الطبرى : « و بخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف و بكر سبعة آلاف رئيسهم الحضين بن المنذر ، و تميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبى ، و عبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذى ، و الأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان . و من أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن على ، و الموالى سبعة آلاف عليهم حيان » .

Marfat.com

لأمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك و لمن يوليه علينا و لمن يستخلفه سليمان على أنك تسمع له و تطيع فلا تدعين غير هذا . قال : وكيع : ما ادعى غير هذا و أنا سامع مطيع لكل من يقدم من عند أمير المؤمنين . قال : و دس قتيبة إلى وكيع رجلا يقال له ضرار بن سنان[1] الضبى على أنه يبايع وكيع و يأتى قتيبة بالخبر ، قال : فذهب الضبى إلى وكيع فبايعه ثم جاء إلى قتيبة فخبره بذلك . قال : فأرسل قتيبة إلى وكيع أن صر إلينا أبا المطرف! فانا قد احتجنا إلى مناظرتك ، قال : فجاء رسول قتيبة إلى وكيع و وكيع فى وقته ذلك قد طلى رجليه مغرة و علق على ساقيه خرزا و عنده رجلان من زهرة[2] يرقيانه من الحمرة ، فقال له الرسول[3]: أجب الأمير أبا المطرف! فقال وكيع : قد ترى ما بى فكيف آتيه و أنا على هذه الحالة . قال : فرجع رسول قتيبة إليه فخبره بذلك ، فقال قتيبة : عُد إليه! فقال الرسول : أصلحك الله ! فانى قد رأيت برجله شيئا لا يقدر على الركوب و لا أظن ذلك الوجع إلا قاتله ، فقال قتيبة : لا شفاه الله مما به ! عد إليه فأتنى به على سرير محمولا ، فرجع الرسول إليه فقال له : يقول لك الأمير : إن لم تقدر على الركوب فتحملك الرجال على السرير ، فقال وكيع : إن الرجال يحركوننى على السرير فتزداد علتى هذه ؛ قال : فرجع الرسول إلى قتيبة فأعلمه ذلك ، فقال

(١) من الطبرى ٨/ ١٠٧ ، و فى الأصل : سيار .
(٢) فى الطبرى : زهران .
(٣) فى الأصل : السوال ـ كذا .

Marfat.com

قتيبة : يا غلام ! قل لشريك بن الصامت : فلينطلق إليه و ليأتنى[1] به سحبا على وجهه ، قال فقال ثمامة بن ناجذ[2] العدوى : أنا آتيك به أصلح الله الأمير ! قال : ثم أقبل ثمامة إلى وكيع فقال له : كن على أهبة فان الرجل قد عزم على أخذك . قال : ثم قعد ثمامة / عند وكيع فلم يرجع ١٥/ب إلى قتيبة ، فقال قتيبة : أين شريك بن الصامت ؟ فقال : ها أنا ذا أصلح الله الأمير ! فقال : اذهب إلى وكيع فأتنى به سحبا على وجهه ، فان امتنع عليك فجئنى برأسه . قال : فقام هريم بن أبى طحمة التميمى فقال : أنا آتيك به أصلح الله الأمير ! قال : و قام جماعة من بنى تميم فقالوا : نحن نأتيك به أو برأسه أيها الأمير ! فلا تقلق . ثم ركبوا إلى وكيع فقالوا له : قم و إلا هلكت و أهلكتنا معك ، قال : فدعا وكيع بسكين فقطع ما كان على ساقه من الخرز ، ثم جعل يرتجز و يقول :

شدا على من رامنى لا انكشف يوما لهمدان و يوما للصدف[3]

قال : ثم دعا بسلاحه و درعه فتدرع و تقلد سيفه و تناول رمحه ، و نادى فى الناس فكأنهم إنما كانوا على أهبة ، ثم مضى وحده نحو فسطاط قتيبة و هو يقول :

---

(١) فى الأصل : لياتينى .

(٢) من الطبرى ، وفى الأصل : ناحيه ـ كذا .

(٣) فى الطبرى :

شدوا علىّ سرّتى لا تنقلف يوم لهمدان و يوم للصدف

سنجنح

سنجنح حمل مكروهـــة شدلها الشرسوف و القاصعا[1]

قال : فلقيه رجل من أصحاب قتيبة يقال له إدريس فقال له : أبا المطرف ! إنك قد خفت من الأمير ما لم يرده[2] بك و قد آمنك ، فالله فى نفسك . قال : فالتفت و كيـــع إلى أصحابه و قد لحقوا به فقال : أيها الناس ! هذا إدريس و هو رسول قتيبة يؤمنى إن أنا أتيته ، و كذب و الله ابن الحدباء ! لا والله أو يؤتى برأسى أو أوتى برأسه ! قال : و جعل الناس ينادى بعضهم بعضا و هم يقولون : افزعوا إلى وكيع شيخ تميم ، قال : و أقبل الناس من كل أوب ، و أقبل وكيع حتى وقف بازاء فسطاط قتيبة ، فصار بنو تميم و الأزد مقابل الفسطـاط ، و قبائل ربيعة من وراء السرادق ؛ و قتيبة فى أهل بيته ، و أقبلت قبائل قيس لينصروا قتيبـــة ، فعلموا أنهم لا طاقة لهم بأهل العسكر .

قال : و سمع قتيبة الضجة فقال : ما هذا ؟ قالوا : وكيع قد أقبل فى عسكر ، قال : فدعا قتيبة دابته ليركبها فلم تقر الدابـة و لم تقف ، فقال : نحوها ، فنحوها ، و قعد قتيبة على سريره و عليه قميص و رداء و هو معتم بعمامة بيضاء قد كانت أمه بعثت بها إليه قبل ذلك و قد احتبى بحمائل سيفه ، و عنده يومئذ إخوته و جماعة من أهل بيته و عشـائره ، فقال له رجل من أصحابه يقال له ميسرة بن عبد الله الجدلى و كان شجاعا بطلا : / ١٥٣/ الف

---

(١) فى الطبرى :

قوم إذا حمـل مكروهـة شد الشراسيف لها و الحزيم

انظر أيضا ابن الأثير ٥ / ٧ .

(٢) فى الأصل : لم يريده .

Marfat.com

أيها الأمير ! إن شئت أتيتك برأس وكيع ، فقال له قتيبة : اسكت ، فسكت . و أقبل رجل من موالى بنى أسد يقال له يزيد بن مسلم ، و قد كان قتيبة قبل ذلك ضربه و حلق رأسه و لحيته و أطافه فى عسكره ، فجعل يحرض الناس على قتيبة و يذكر من قتله قتيبة منهم قبل ذلك و يسميهم بأسمائهم و يقول : أين بنو الأهتم ؟ أين بشر بن صفوان ؟ أين ضرار بن حسه[1] بن القاسم بن زياد ؟ أين فلان؟ و أين فلان ؟ قال : فجعل يزيد بن مسلم يحض بنى تميم و يذكرهم ذحولهم و قتلاهم و يجدد أحقادهم . قال فقال قتيبة لرجل عنده : اخرج فناد : أين بنو عامر ؟ فقال له رجل من بنى عامر : حيث تركتهم ، فقال قتيبة : أذكركم الله و الرحم ! فناداه محفن بن جزء الكلابى[2] : أنت قطعتها ، قال قتيبة : فلكم العتبى ، قال محفن بن جزء[3] : لا أقالنا إذا إن أقلناك ؛ قال : فجعل قتيبة يتمثل بهذين البيتين و هو يقول :

يا قوم[4] صبرا على ما كان من مضض[5] إذ لم أجد لعتاة[6] القوم[7] أقرانا

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢-٢) من الطبرى ٨ / ١٠٨ ، و فى ابن الأثير ٥ / ٧ : محفر بن جزء العلائى و هو نبسى أيضا ؛ و فى الأصل : محرم بن حرى - كذا .

(٣-٣) فى الأصل هنا : محفر بن حرى .

(٤) فى الطبرى و ابن الأثير : نفس .

(٥) فيهما : ألم .

(٦) فيهما : لفضول .

(٧) فى ابن الأثير : العيش .

Marfat.com

لو كان قومى أحرارا لقد منعوا سلوى يطأر عنه الناس خذلانا[1]

قال : فقال رجل من أصحاب قتيبة يقال له صالح بن حيان مولى مصقلة ابن هبيرة لغلام له : يا غلام ! ناولنى قوسى[2] ، فقال له [3]صالح بن مسلم أخو قتيبة بن مسلم[3] : ليس هذا وقت قوس .

قال : ثم ذهب صالح بن مسلم ليكلم الناس فرماه[4] رجل من بنى ضبة يقال له [5]سليمان و يلقب بريح ازنج[5] بسهم فصرعه ، فابتدره الناس فحمل إلى أخيه قتيبة ، وكان أكبر ولد مسلم ، فأدخل للفسطاط و رأسه مائل ، فقام إليه / قتيبة فجلس عنده ساعة حتى قضى ، ثم رجع إلى سريره . / ١٥٣ و تقدم عبد الرحمن بن مسلم أخو قتيبة ، فرماه مولى لبنى حنيفة يكنى أبا فديك بسهم فقتله . ثم أقبل يزيد بن الأهتم الأزدى على قومه من الأزد فقال : أيها الناس ! تعلمون أن قتيبة بن مسلم هذا جعلنى رئيسا عليكم ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فانى و الله سمعته و هو يقول : و الله لأستأصلن الأزد حتى لا يبقى لعمايتها سادة و لا قادة ! قال : ثم تقدم فى قومه من الأزد نحو فسطاط قتيبة بن مسلم متمثلا بهذا البيت و هو يقول:

أعلمه الرماية كل يوم فلما قال قافية هجانى

---

(١) ليس البيت فى الطبرى و لا ابن الأثير .

(٢) فى الطبرى وابن الأثير ٥ / ٨ هذه مقالة عبد الله بن مسلم أخى قتيبة .

(٣-٣) فى الطبرى و ابن الأثير : حيان .

(٤) فى الأصل : فراه - خطأ .

(٥ - ٥) فى الطبرى : سليمان الزنجيرج و هو الخرنوب .

و يروى :

أعله الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

قال : ثم تقدم سعد بن نجد الأزدى و جهم بن زحر الجعفى و فى يده[1] راية له ، فنظر إليه حيان بن إياس العدوى[2] فحمل عليه ، و حمل عليه[3] جهم فضربه بالسيف ضربة فوقع على سعرفة البرذون فقطع تجافيفه وعنق الفرس ، و رمى جهم بنفسه من الفرس و حمل على العدوى[2] برمحه راجلا ، فهرب العدوى[2] من بين يديه إلى قتيبة . قال : و صاح رجل من أصحاب وكيع : ما تنتظرون بالرجل ؟ تغدوا به قبل أن يتعشى بكم ! قال : فدعا وكيع [4]بالنار و الحطب[4] [5]فأحرق الناس ، و بها نجوا[5] ثم دنوا من الفسطاط ، فدخل إلى قتيبة مؤذنه فقال : أيها الأمير ا على ما ذا أقبل ؟ قال : على طاعة الله و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و آله ، فخرج المؤذن فقاتل حتى قتل ؛ و تقدم عبد الله بن وألان و عبد العزيز بن الحارث و ميسرة و عبد الرحمن بن عبد الله القسرى - هؤلاء الأربعة ، فخرجوا من القارة خوفا على أنفسهم أن يقتلوا ، وتقدم عبد الله و عبد الكريم و الحصين

---

(١) فى الأصل : يدهم .

(٢) فى الأصل : الغنوى .

(٣) فى الأصل : عليهم .

(٤-٤) وقع فى الأصل « بالنار والحطب » مكررا .

(٥-٥) كذا فى الأصل ، و فى الطبرى وابن الأثير : « و أحرق الناس موضعا كانت فيه إبل لقتيبة و دوابه » .

و زياد

Marfat.com

وزياد إخوة قتيبة ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم . و تقدم كثير بن قتيبة فقتل ؛ ثم تقدم مغلس بن عبد الرحمن بن مسلم ابن أخى قتيبة فقاتل فقتل . فقال قتيبة لرجل واقف بين يديه يقال له جنادة الوائلى : / انج ١٥٤ / ا بنفسك ، فقال : لا و الله و أقتل بين يديك! أنا أسلمك ، قد أطعمتنى الجرمق[1] و ألبستنى النرمق[2] ! فقاتل فقتل . و خرجت أم ولد لقتيبة يقال لها الصماء فشد عليها رجل من القوم فقتلها . قال : و قتل حاجب قتيبة شريك بن الصامت ، و صبر قتيبة مع أخيه و هاجت بينهم قسطلانية ، و مالت الأزد و بنو بكر فقطعوا أطناب السرادق ، ثم هجموا على قتيبة ، و قصده رجلان أحدهما سعد بن نجد الأزدى و الآخر جهم بن زحر الجعفى ، فطعنه جهم بن زحر و ضربه سعد بن نجد ، و يقال : انهما جميعا ضرباه فقتلاه ؛ و قد ذكر ذلك الحضين بن المنذر البكرى فى قصيدة له حيث يقول :

[3]ألم تر جهما و ابن نجد[3] تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج
[4]وما أدركت فى قيس عيلان نارها بنو شنفر إلا بأسياف مذحج
و إلا بفتيان العتيك و غيرهم من الأزد فى داج من الرهج أدعج
أتاها ابن زحر بعد ما هب جمعها فباشرها فى حرها المتوهج

(١) فى الطبرى و ابن الأثير : الجردق .

(٢) فى ابن الأثير : النمرق .

(٣-٣) فى الطبرى ٨/١٠٩ : و ان ابن سعد و ابن زحر .

(٤) ليست الأبيات الثلاثة الآتية فى الطبرى ، إلا أن فيه بدلها :

عشية جئنا بابن زحر وجثتم بادغم مرقوم الذراعين دبزج

Marfat.com

أصم[1] غدانىّ كأن جبينه [2]مجاجة نفس[2] فى أديم ممجمج

قال: و دخل عبد الله بن حوذان الأزدى إلى قتيبة فاحتز رأسه[3] و مضى به إلى الأزد. قال: و طلب وكيع بن أبى سود الرأس، فقيل له: إن رأس قتيبة و خاتمه قد صار إلى الأزد، قال: فغضب وكيع ثم قال: لا و الله لا أبرح أو أوتى بالرأس! و إلا ألقحت بها فتنة صماء، و إلا ذهب رأسى مع رأسه. قال فقال بعض أصحابه[4]: يا أبا المطرف! فانك تؤتى بالرأس فلا عليك! قال: و أقبل رجل من الأزد إلى قومه فقال: أحمق أنتم! بايعنا رجلا و قلدناه أمورنا و عرض نفسه للتلف وتأخذون أنتم الرأس؟ احملوا إليه الرأس حتى يصنع به ما يشاء؛ قال: ثم أقبلوا بالرأس إلى وكيع و قالوا: يا أبا المطرف! إن هذا الذى احتز الرأس - و أومؤا إلى عبد الله بن حوذان أو عبد الله بن علوان، قال: فأمر له وكيع بثلاثة آلاف درهم، ثم بعث بالرأس إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان / مع ١٥٤/ب رجل يقال له [5]سليط بن عطية الحنفى[5] و أنيف بن حسان[6] العدوى فى رجال من قومها، وكتب إليه يعلمه بقصة قتيبة بن مسلم و ما كان من خلعه و عصيانه؛ فأنشأ عبد الله بن جمانة الباهلى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها:

---

(١) من الطبرى، و فى الأصل، اشم.

(٢-٢) فى الطبرى: لطاخة نفس.

(٣) فى الطبرى و ابن الأثير: فنزل سعد فشق صوقعة الفسطاط فاحتز رأسه.

(٤) هو حضين بن المنذر، كما فى الطبرى و ابن الأثير.

(٥-٥) فى الطبرى: سليط بن عبد الكريم الحنفى.

(٦) من الطبرى، و فى الأصل: حيان.

Marfat.com

علام تلوم عاذلتى سفاها و تلحانى و ما أنا بالمليم

إلى آخرها .

قال : و جعل الناس يسلبون من قدروا عليه من قبائل باهلة ، فاقبل قوم من قيس عيلان إلى عبد الرحمن بن عبد الله القسرى ....[1] إلى وكيع فقال : أبا المطرف! إنكم قد قضيتم شأنكم من قتيبة فعلى ما ذا يسلب الناس ؟ قال : فأرسل وكيع مناديه ، فنادى فى العسكر : ألا ! من أخذ شيئا من سلب باهلة و لم يرده فقد حل دمه . قال : فرد الناس ما كان فى أيديهم من السلب ، قال : و أتى وكيع برجل قد سلب باهليا فقال له : أسلبته بعد ما سمعت النداء ؟ ثم قدمه وكيع فضرب عنقه . قال : و كان وكيع هذا من أخمر الناس ، غير أنه كان فارسا بطلا لا يقوم له أحد عند اللقاء ، و خطب ذات يوم فلم يدر ما يقول ، فحمد الله و أثنى عليه ثم حضر فجعل يقول :

شربت خميرة فسكرت منها فمال السرج و انقطع اللجام

قال : و صعد المنبر ذات يوم فقال : أيها الناس ! إنى لست بخطيب و لكنى والغ دم ، و قد قتلت ابن الحدباء قتيبة بن مسلم ، و كذلك سولت لى نفسى ؛ ثم نزل عن المنبر . و قال لهريم بن أبى طحمة التميمى : أنت أخطب منى فاصعد و اخطب ، قال : فصعد هريم المنبر فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : لعن الله وكيعا فلقد قتل رجلا ملعونا ، قال فقال له وكيع و هو تحت رجله جالس : حسبك ! لعنك الله و لعن من أنت أخطب منه !

(١) لعل هنا سقطة فى الأصل بدلالة السياق فلذا وضعنا النقاط .

Marfat.com

قال : و قد أراد سليمان بن عبد الملك أن يولى وكيعا بلاد خراسان ، فقال له ابن الأهتم : مهلا يا أمير المؤمنين ! فان وكيعا رجل أهوج مقدام ترفعه الفتنة و تضعه الجماعة . قال : فلما كان بعد قتل قتيبة بن مسلم دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك فقال له : يا ابن غالب ! أسرك / مقتل ١٥٥/ الف قتيبة ؟ قال : نعـــم يا أمير المؤمنين ! و أنا الذى أقول[1] فى ذلك أبياتا مطلعها :

أتانى[2] و رحلى بالمدينة وقعة لآل تميم أقعـدت كل قائم

إلى آخرها . قال : فأجابه رجل من باهلة و هو يقول أبياتا مطلعها :

أتتك لعمرى بالمدينة وقعـــة تعاظمها الأقوام إحدى العظائم

إلى آخرها .

قال أبو الحسن المدائنى : فلما قتل قتيبة و مضى لسبيله احتوى وكيع ابن أبى سود على بلاد خراسان ، فأقام بها تسعة أشهر يولى و يجبى و يعزل ، و سليمان بن عبد الملك يحب أن يولى يزيد بن المهلب خراسان غير أنه يقدم و يؤخر . قال : و يزيد يومئذ قد صار إلى البصرة فهو مقيم بها عند أهل بيته و بنى عمه يتوقع أن يؤمر بالمسير إلى خراسان . قال : و دعا سليمان بن عبد الملك بعبد الملك بن المهلب فقال له : أبا عبد الله ! ما ذا أنت صانع إن وليتك ؟ فقال : يجدنى أمير المؤمنين بحيث أحب . قال : و بلغ ذلك يزيد بن المهلب فاشتد ذلك عليه ، و كتب سليمان بن

---

(١) زيد فى الأصل : بى .

(٢) من الطبرى ٨ / ١١١ ، و فى الأصل : اينى .

عبد

عبد الملك أن يوليه خراسان ، و يعلمه فى كتابه أنه لا يقوم بأمرها أحد سواه . قال : و قدم أيضا رسول وكيع بن أبى سود من خراسان يطلب الولاية لنفسه . قال : فنظر سليمان فى كتاب يزيد بن المهلب ، ثم نظر فى كتاب وكيع بن أبى سود ، ثم دعا بعبد الله بن الأهتم فقال له : خبرنى كيف علمك بخراسان ، فقال : أنا أعلم الناس بها يا أمير المؤمنين ! ٥ ولدت بها و بها نشأت . قال سليمان : الله أكبر ! فأشر علىّ برجل أوليه إياها ، فقال : أمير المؤمنين أيده الله أعلم بمن يريد أن يولى ، فان ذكرهم خبرته بعلمى فيهم أيصلح لها أم لا يصلح ؛ قال : فسمى له سليمان عدة من قريش ، فقال ابن الأهتم : لا يصلحون لها ، قال سليمان : فما تقول فى وكيع بن أبى سود ؟ فقال ابن الأهتم : وكيع رجل مقدام[1] شجاع بطل ١٠ همام حازم ، غير أنه أعرابى و فيه جفوة ، فقال له سليمان بن عبد الملك : صدقت ليس وكيع من رجال خراسان ، قال / ابن الأهتم : نعم يا أمير المؤمنين ١٥٥ / و شجاعة وكيع أكثر من عقله فان وثق بثلاثمائة رجل من أصحابه لا يرى لأحد عليه طاعة ، قال سليمان : فمن لها ؟ قال ابن الأهتم : لا أبوح باسمه إلا أن يضمن لى أمير المؤمنين كتمانه ، فقال سليمان لمن فى مجلسه : ١٥ اخرجوا ، فخرج الناس ، ثم قال سليمان : من هو الآن يا ابن الأهتم ؟ فقال : يزيد بن المهلب ، فقال سليمان : يزيد بالعراق و أظنه بها أحب إليه ، فقال : صدقت يا أمير المؤمنين و لكن تكرهه على ذلك و تشخصه إلى خراسان ، فليس لها أحد سواه لأنه قد كان بها حياة أبيه و بعد أبيه ، فهو أعرف الناس بها ، فقال سليمان : صدقت . ٢٠

(١) كرره فى الأصل ثانيا بعد « بطل » .

Marfat.com

ثم كتب سليمان إلى يزيد بن المهلب: أما بعد، فان عبد الله بن الأهتم كما نحب و تحب فى فضله و عقله و رأيه و دينه، و قد شاورته فى أمر خراسان فوقعت خيرته عليك، و قد وليتك إياها حربها و خراجها، فاذا أتاك كتابى هذا فاجمع إليك الناس و سر على بركة الله، فأمير المؤمنين رافعك و مبلغك أملك و منيتك إن شاء الله ـ و السلام. قال: و دفع سليمان الكتاب إلى ابن الأهتم و خلع عليه و أجازه.

قال: فسار ابن الأهتم سيرا حثيثا حتى دخل البصرة، ثم دخل على يزيد بن المهلب فسلم عليه، فرد عليه يزيد السلام ثم قال: ما وراءك يا ابن الأهتم؟ فقال: ورائى كل خير، ثم دفع إليه الكتاب، فلما قرأه قال: الله أكبر! إلى كم تنتظرنى!

ذكر ولاية يزيد بن المهلب أرض خراسان

قال: ثم وثب يزيد من ساعته فتجهز، و قدم ابنه مخلدا على مقدمته إلى خراسان. قال: فسار مخلد بن يزيد حتى تقارب من مدينة مرو، و قدم أيضا خليفة له يقال له [1]عمرو بن عبد الله بن سنان العتكى الصُّنابحى[1]، فأقبل هذا الصنابحى[2] حتى دخل مدينة مرو و بها يومئذ وكيع بن أبى سود؛ قال: فأرسل وكيع بن أبى سود [إلى] الصنابحى[3] أن صر إلىّ فانى أريد مناظرتك، / فأرسل إليه الصنابحى[3]: أنت أعرابى ١٥٠/ الف

(١-١) من الطبرى ٨/١١٥، و فى الأصل: عمر بن عبد الله بن بشار العتكى الضحيانى.

(٢) فى الأصل: الضحيانى. و كرر فيه ثانيا «فاقبل هذا الضحيانى».

(٣) فى الأصل: الضحيانى.

Marfat.com

جلف أحمق، أتأمرنى بالمصير إليك و أنا قادم عليك؟ فاستقبل أميرك و ذر عنك الجهل و الحمق.

قال: و خرج وجوه أهل مرو ليستقبلوا مخلد بن يزيد بن المهلب، قال: و تأنى وكيع و لم يخرج حتى أخرج كرها. قال: و ترحل الناس لمخلد بن يزيد بن المهلب و مشوا بين يديه إلا هؤلاء الثلاثة: وكيع بن أبى سود و محمد بن حمران[1] السعدى و عباد[2] بن لقيط أحد بنى قيس ابن ثعلبة، فانهم لم ينزلوا لمخلد بن يزيد فأنزلوا كارهين حتى مشوا بين يديه. فلما دخل مخلد بن يزيد إلى مدينة مرو أخذ عمال وكيع بن أبى سود فحبسهم و عذبهم من قبل قدوم أبيه عليه.

قال: و بلغ وكيع بن [3]أبى سود[3] بأن يزيد بن المهلب قد فصل من العراق فكتب إليه كتابا و بدأ باسمه قبل اسم يزيد، و قال فى كتابه: أما بعد يا يزيد فان أعطيتنى ما أريد و إلا فعلت و فعلت. فلما وصل الكتاب إلى يزيد و قرأه غضب و شتم وكيعا أقبح الشتيمة ثم سار حتى دخل الرى فأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار منها سيرا حثيثا. حتى إذا تقارب من مدينة مرو نادى المنادى فى المدينة: ألا! إن الأمير قد أقبل، فمن أراد استقباله فليخرج، قال: فخرج الناس لاستقبال يزيد ابن المهلب و خرج وكيع بن أبى سود فيمن خرج، و أقبل يزيد حتى

(١) من الطبرى ٨/١١٦، و فى الأصل: عمران.
(٢) من الطبرى، و فى الأصل: عتاب.
(٣-٣) فى الأصل: اسود.

Marfat.com

دخل مدينة مرو فنزلها ، و بعث إلى وكيع فدعاه و قال : أتكتب إلىّ و تبدأ باسمك قبل اسمى و تقول فى كتابك ما تقول ! و الله لأ قتلنك ! فقال وكيع : لا تفعل ذلك لأنك شجاع و أنا شجاع ، و لوكنت جبانا لقتلتنى . قال : فشتمه يزيد و تهدده ، فقال له وكيع : أما و الله لقد علمت أنه ما وطأ لك البلاد و لا مهد لك الفرش غيرى ! و لو قدمت على قتيبة و إخوته و بنى عمه لوجدت حسابهم خشنا ، قال فقال له يزيد : يا عدو الله ! أدّ مال الله الذى أخذت من كور خراسان ، فقال : و هل كنت خائن[1] الله أيها الأمير ؟ قال : فحبسه يزيد و حبس عماله و حاشيتهم و عذبهم / بالدهق ؛ فأنشأ عبد الله بن همام[2] السلولى يقول ١٥٦/ب فى ذلك :

خذ العفو و اصفح يا يزيد فانى ... رأيت ثواب الله خيرا و أفضلا
و لا تسمعن قول الوشاة فانهم ... يودون لو يسقى الرعاف المثملا
خف الله فى قوم توروا منذ خفتهم ... يرجون عدلا من لدنك مؤملا
و أنت ثمال يا يزيد فلا تكن ... عليهم عذابا بالبلاء موكلا

قال : ثم عزم يزيد على الغزو فضم جنده إلى ابنه مخلد ، فغزا مخلد بالناس أرض الترك حتى صار إلى حصن لهم حصين و فيه من الترك خلق عظيم . قال : فجاورهم مخلد بن يزيد و هم ينظرون إليه كأنه يريد إلى غيرهم مكيدة منه لهم ، حتى إذا بعد عنهم كر عليهم فى أصحابه ،

(١) فى الأصل : خان - كذا . (٢) فى الأصل : سلام ، و التصحيح من طبقات فحول الشعراء للجمحى ص ٦٢٢ .

فقتل

Marfat.com

فقتل منهم من قتل ، و بادر الباقون إلى مدينتهم فدخلوها - و هى مدينة عظيمة - و أخذوا [1]أموالها و قليلها و كثيرها[1] و أخذوا جميع ما كان فى المدينة و سبوا منها سبيا كثيرا و غنموا غنائم خطيرة . قال : و أتى بامرأة ذلك الطرخان الذى قتل حتى وقفت[2] بين يدى مخلد بن يزيد بن المهلب ، فقال لها مخلد بالتركية : اختارى من أحببت[3] من أصحابى هؤلاء ، قال : فنظرت المرأة إلى رجل من عبد القيس ، وكان رجلا جميلا بهيّا من الرجال و كان يخضب بالسواد ، فنظرت إلى بياض فى لحيته و صرفت بوجهها عنه ، ثم نظرت إلى محمد بن المهلب ، أخذها قال له مخلد بن يزيد : و كل بخدمها[4] و جواريها . و أقبل بالأموال و الغنائم إلى أبيه يزيد بن المهلب . قال : و جعل يزيد بن المهلب يجمع عمال قتيبة بن مسلم فيعذبهم أشد العذاب و يستأديهم الأموال ، ثم أخذ عمرو بن مسلم أخا قتيبة فعذبه و وضع فى عنقه جامعة . ثم أمر مدرك بن المهلب بمطالبته ، فلم يزل يستأديه حتى أخذ منه كل شىء قدر عليه . ثم دعا به يزيد فقال له : ويحك يا ابن مسلم ! إنما تجمع الرجال الأموال لثلاث خصال : يوسع الرجل على نفسه ، و الثانية ينوبه فى عشيرته ، أو / يدفع عن نفسه ١٥ ١٥٧/الف أمرا من الأمور ، و أنت فلا أراك تسخو نفسك لنفسك عن شىء

(١-١) فى الأصل : أمواله و قليله و كثيره .

(٢) فى الأصل : وقف .

(٣) فى الأصل : احببتى .

(٤) فى الأصل : يخدمها .

Marfat.com

من مالك ! قال: فأومأ عمرو بن مسلم إلى مـــدرك بن المهلب ثم قال: أيها الأمير و هـل ترك لى شيئا[1] هذا ؟ قال: فرماه مدرك بن المهلب بالدواة فأصاب أنفه و أدماه ، ثم شتمه . فقال محمد بن المهلب: إن لهذا فعلا و الله ما كففتم عن ماله و لا عن عرضه و لا عن بشره ! كأنـه لم يكن بى فى حالكم ، وكأنكم قد أمنتم أن تكونوا فى مثل حاله . قال: ثم خرج محمد بن المهلب من عند أخيه مغضبا . فقام عبد الله بن الأهتم إلى يزيد فقال: أصلح الله الأمير إن قتيبة بن مسلم قتل أهل بيته و ألقاهم إلى الكلاب ، و إن الناس قد قتلوا قتيبة فقتلنـا رسله كما قال الأول:

ألا يا كلب غـــيرك أرجعونى و قد ألصقت خدك بالـــتراب
ألا يا كلب فانتشرى و سيرى فـقد أودى عمير بن الحبـاب
و لـكن فاقـــتلوا أولاد قـوم ء هم أخـــذوا مواريث الكلاب

قال: و جعل يزيد بن المهلب يغزو أطراف خراسان مما لم يصل إليه قتيبة و لم يبلغه ، ففتح فتحا بعد فتح حتى فتح حصونا كثيرة و احتوى على أموال خطيرة . قال: فدخل عليه بعض شعراء خراسان فمدحـــه و أطنب فى مدحه ، فقال له يزيد بن المهلب: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا فلان ابن فلان الفلانى ، فقال يزيد: قد عرفتك ، ألست القائل فى قتيبة ابن مسلم حيث تقول:

قـتيبـــة بن مسلم بن عمر يرئس أقواما و قوما سرى
يعطى على غلاتـه و اليسر ما زال مذ كان شديد الأسر

(١) فى الأصل: شىء .

Marfat.com

قال فقال له الشاعر : نعم أصلح الله الأمير أنا قائل ذلك و القائل فيك هذه الأبيات[١] :

ما زال سيبك يا يزيد ينوبنى[٢] حتى انتعشت[٣] وجودكم لا ينكر
أنت الربيع إذا تكون خصاصة عاش السقيم بـه و إثرى المقتر
عمت سحائبكم جميع بلادنا فسقوا و أغدقهم ملث ممطر[٤] ٥
فسقاك ربك حيث كنت مخيلة ريا سحائبها تجود[٥] و تبكر

/ قال : فوصله يزيد و أحسن جائزته . قال : و جعل يزيد لا يسمع برجل ١٥٧ / ب عمل بقتيبة يوما عملا إلا بعث إليه و أخذه و قيده و حبسه ، فأرسل إليه أبو الحرباء الغنوى من السجن بهذه الأبيات :

يا ابن المهلب لا تسمنا خطة قد كنت تكرهها و أنت أسير ١٠
إن الفضيلة كاسمها أكرومة و لها حبور بين و سرور
و اصفح بعفوك عن ذنوب سراتنا إن المسامح ذنبه مغفور
و افعل كما فعل المهلب قبلكم فيمن ولاه[٦] و سيفه مشهور

قال : فعندها قصر يزيد عن عذاب القوم و عزم على المسير إلى جرجان .

---

(١) الأبيات الآتية فى الطبرى ٨/١١٦ منسوبة إلى عبد الملك بن سلام السلولى .
(٢) فى الطبرى : بحوبتى .
(٣) فى الطبرى : ارتويت .
(٤) فى الطبرى :
عمت سحابته جميع بلادكم فروروا و أغدقهم سحاب ممطر
(٥) فى الطبرى : تروح .
(٦) فى الأصل : وليه .

Marfat.com

ذكر مسير يزيد بن المهلب إلى جرجان و ما كان منه إلى أهلها

قال: و كانت جرجان فى زمان العجم و سلطانهم قد حوطوا عليها حائطا من الآجر فجعلوها حصنا لا يرام و تحصنوا به من الترك. قال: و هو حائط طويل أحد طرفيه فى البحر و الطرف الآخر ممدود فى البلاد، لأن الترك إنما كانت تأتيهم من ناحية خوارزم فلا يقدرون عليهم من أجل الحائط. قال: و كان سابور ذى الأكتاف و خسرو و هرمز بن انوشروان و قباذ بن فيروز و غيرهم من ملوك الأعاجم قد غزوا جرجان و راموها فى سالف الدهر فأعياهم ذلك و لم يقدروا عليها لحصانتها و لكثرة أهلها. قال: ثم إن أهل جرجان صالحوا الترك بعد ذلك و خالطوهم، و نزل الترك بين أظهرهم، فأقاموا فيهم ما شاء الله أن يقيموا ثم رحلوا عنهم إلى بلادهم، و بقيت منهم بقية يزيدون على أربعة آلاف فنزلوا دهستان، فكانوا يغيرون على جرجان و يؤذونهم غاية الأذى، فلم تزل بلاد جرجان على ذلك من حالها إلى أن جاء الله بالإسلام، فغزاها سعيد بن العاص بن[1] سعيد بن العاص[1] ابن أمية فى خلافة عثمان بن عفان، فصالحوه على مائتى ألف درهم، فأخذ منهم سعيد ذلك المال و انصرف عنهم، ثم لم يغزها أحد بعد سعيد بن العاص. قال: و انقطعت الطرق أيضا / إلى بلاد جرجان، ١٥٨/ الف

(١-١) فى الأصل: أبى العاص، و التصحيح من الإصابة ٣/٩٨.

Marfat.com

فلم يكن يسلك طريق خراسان و ناحية قومس إلا على وجل و خوف شديد . قال : و إنما كان الطريق إلى خراسان من ناحية فارس إلى كرمان ثم إلى خراسان . قال : و كان أول من سهل الطريق من قومس إلى خراسان قتيبة بن مسلم . قال : و كان قتيبة يكتب إلى الحجاج يستأذنه فى غزو جرجان ، فكتب إليه أن إياك و التوريط فيما لا طاقة لك به من جرجان و عليك بغيرها .

قال : و كان سليمان بن عبد الملك إذا سمع بفتوح قتيبة بن مسلم يقول لمن حضر من وزرائه : ألا ترون إلى فتوح قتيبة بأرض خراسان؟ قال : فكان يقول له يزيد بن المهلب : يا أمير المؤمنين ! ليست هذه بفتوح ابن قتيبة عن فتح جرجان الذى قد أعيت الملوك من قبل و حالت بين الناس و بين خراسان[1] . قال : فلما ولى يزيد بن المهلب خراسان لم تكن له همة إلا جرجان فسار إليها ، حتى إذا تقارب منها وجد رائحة منتنة كريهة ، فقال : ما هذه الرائحة ؟ فقالوا : أيها الأمير ! إن صول الترکى أغار هذه البلاد ، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، و هذه رائحة القتلى . قال فقال يزيد : قبح الله قتيبة ! يترك هؤلاء و هم فى بيضة الإسلام و يغزو فرغانة و الصين ، قال فقال رجل من بنى تميم : أيها الأمير ! إن قتيبة قد كان أراد أن يغزو هذه الناحية غير أن الحجاج منعه من ذلك ، فقال يزيد : و أين صول هذا الترکى ؟ فقال : صول بجرجان و عساكره بدهستان .

---

(١) فى ابن الأثير ٥/١٣ : هذه الفتوح ليست بشىء الشأن هى جرجان .

Marfat.com

قال : فسار يزيد إلى جرجان ، و خرج صول من جرجان فصار إلى دهستان و اجتمعت إليه الترك ، فصار فى قريب من مائتى ألف إنسان و سار إليه يزيد فى عشرين و مائة ألف من جند الشام و جند خراسان و العراق ، و دنا الفريقان[1] بعضهم من بعض ، فاقتتلوا قتالا شديدا . قال : و نظر رجل من أهل العراق يقال له محمد بن أبى سبرة إلى رجل من الترك و هو يقاتل ، فحمل عليه ليضربه بسيفه و بادره[2] التركى بضربة على بيضته فقد البيضة ، / و ذهب التركى ليجذب سيفه عن البيضة فلم يواته ، ١٥ / ب و انخزل عليه محمد بن أبى سبرة فضربه ضربة فقتله ، ثم أقبل نحو المسلمين و سيف التركى فى بيضته كأحسن شىء نظر إليه . قال : و إذا بقبيلة عظيمة من الترك قد أقبلت و فيها زهاء أربعة آلاف شاكين فى السلاح ، فنظر إليهم يزيد بن المهلب ، فلم يكذب أن حمل عليهم بنفسه و فى إخوته و بنى عمه و مواليه ، فهزمهم حتى بلغ بهم إلى أبواب دهستان .

قال : فلما دام الحرب على أهل دهستان و رأوا أنه لا طاقة لهم بالمسلمين كاعوا عن الحرب فلم يحاربوا ، فأرسل صول صاحب الترك إلى يزيد بن المهلب يسأله الصلح ، فأجابه يزيد إلى ذلك . و وقع الصلح على ألف رأس من الرقيق و سبعمائة ألف درهم و على أن يطأ صول بساط يزيد ابن المهلب . قال فتم الصلح على ذلك ، و أخذ يزيد من القوم ما أخذ ، فأخرج من ذلك كله الخمس فعزله ، و قسم باقى ذلك فى المسلمين ؛ فأنشأ

(١) فى الأصل : الفريقين .
(٢) فى الأصل : بدره .

Marfat.com

واثلة بن خليفة السدوسى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

ما زال مذ كان أبو خالد يزيد خرقا راغبا فى السماح

إلى آخرها .

قال : ثم سار يزيد حتى نزل على جرجان ، فلم يحارب أهلها إلا ساعة من نهار حتى صالحوه ، فوقع الصلح بينهم و بينه على ثلاثمائة ألف درهم و مائتى رأس رقيق ، فأخذ منهم ما صالحهم عليه ، و ولى عليهم أسد بن عبد الله الأزدى[1] أو عبد الله بن معمر اليشكرى[2] فى أربعة آلاف رجل و سار يريد طبرستان ، فأنشأ فلان الحمانى يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

إذا ما يزيد سار يوما بجيشه إلى غاية منه أفادك مغنما

إلى آخرها .

ذكر مسير يزيد بن المهلب

قال : و سار يزيد بن المهلب حتى دخل حدود طبرستان و ملكها يومئذ الاصبهبذ جيل جيلان فى جمع عظيم من الديلم و أصناف الكفار ، فأمر يزيد بقطع الشجر و تسهيل الطرق و إصلاح المسالك ، ثم وجه بأخيه مدرك / بن المهلب فى أربعة آلاف ، و وقف يزيد فى باقى الجيش. ١٥٩ / ا

قال : و بلغ الاصبهبذ مسير المسلمين إلى ما قبله ، فأراد أن يهرب إلى الديلم ، فقال ابنه : أيها الملك ! بينا أنت ملك تهابك الناس و يتقونك

---

(١) كذا فى الطبرى ٨/١١٩ فى رواية .

(٢) هكذا فى ابن الأثير ٥/١٤ ، و كذا فى الطبرى ٨/١٢٢ من رواية أخرى .

Marfat.com

و ينظرون إليك بعين الجلالة إلى أن تصير مطلوبا تهرب من يزيد بن المهلب، و قد وقف له من ليس مثلك و لا فوقك؟ و لعل الديلم إن دخلت إليهم لا يوفون لك فتؤخذ أسيرا فتسلم إلى يزيد؛ قال: فأقام و لم يبرح، ثم استجاش بأهل جيلان فأجابوه بعشرة آلاف أو يزيدون.

قال: و بلغ ذلك يزيد بن المهلب فدعا بخداش بن المغيرة بن المهلب و أبي الجهم الكلبي فضم إليهما عشرين ألفا و وجه بهم إلى أصحابه معونة لهم[1]. قال: و سار إليهم سليمان الديلمى من قبل الاصبهبذ فى جيش عظيم، فالتقى القوم و اقتتلوا قتالا شديدا، فقتل سليمان الديلمى، قتله ابن أبى سبرة الجعفى، و انهزم الكفار هزيمة قبيحة حتى اشتدوا فى الجبل و أتبعهم المسلمون، قال: فسار الكفار إلى رؤس الجبال فجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة و النشاب. قال: ثم وقعت الهزيمة على المسلمين فانهزموا حتى صاروا إلى يزيد بن المهلب و قد قتل منهم جماعة. قال: و أخذت عليهم المضايق و الشعاب و الطرق.

ثم كتب الاصبهبذ صاحب طبرستان إلى المرزبان صاحب جرجان بأنا قد قتلنا يزيد بن المهلب و أصحابه فاقتل[2] أنت الآن و من يليك من العرب[3]. قال: فعطف المرزبان و أصحابه على المسلمين بجرجان و هم أربعة

---

(١) فى ابن الأثير ٥/١٤ والطبرى ٨/١٢٣ «وجه أخاه أبا عيينة من وجه، و خالد ابن يزيد ابنه من وجه، و أبا الجهم الكلبي من وجه و قال: إذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس».

(٢) فى الأصل: فاقبل.

(٣) فى الطبرى: فاقتل من فى البياسان من العرب.

Marfat.com

آلاف ، فقتلوهم عن آخرهم حتى ما أفلت منهم أحد و فيهم خمسون رجلا من بنى عم يزيد بن المهلب . قال : و بلغ ذلك يزيد بن المهلب . قال : و قد أخذت عليه الطرق و المضايق ، فعظم ذلك عليه و أسقط فى يده . قال : فدعا بكاتب له يقال له عبد الله بن الحارث العجرمى و قد كان يزيد غضب عليه قبل ذلك بخراسان و استعفاه[1] و وضع الجامعة[2] فى عنقه ثم رضى عنه / بعد ذلك ، قال : فعزم يزيد على أن يوجه به إلى الاصبهبذ ، ١٥٩/ ب فقال له : أتوجهنى إلى هذا الرجل و أثر الجامعة فى عنقى ! قال : فلم يرسله يزيد و ضاق به الأمر و لم يدر ما يصنع ؛ ثم إنه دعا برجل يقال له حيان النبطى مولى مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، و كان حيان هذا أصله من الديلم ، و إنما قيل له نبطى لأنه كان ألكن لم يكن عنده عبارة و لكن كان له تدبير فدعاه يزيد بن المهلب و قال له : أبا الغمر ! إنى قد كنت أسأت إليك بخراسان و أغرمتك و أخذت مالك ، و الآن فقد احتجت إليك فلا يمنعك ما كان منى إليك من نصيحة المسلمين ، إنه قد جاء من خبر جرجان ما قد علمت ، و قد أخذ علينا هؤلاء الطرق كما ترى ، فانظر لله و للمسلمين ، قال فقال له حيان النبطى : أيها الأمير ! إنه إن كان منك إلىّ ما كان فانى لم أترك النصيحة للمسلمين إن شاء الله .

قال : ثم ركب حيان و صار إلى الاصبهبذ ، فاذن له ثم أدناه و أجلسه ،

---

(١) فى الأصل : استصفاه .

(٢) فى الأصل : الجماعة . و الجامعة الغل لضرب من الحلى لأنها تجمع اليدين إلى العنق ـ أقرب الموارد .

Marfat.com

فقال له حيان : أيها الاصبهبذ ! إنى و إن كنت عـــلى دين الإسلام فالأصل منى و منك واحد ، و أنا ناصح لك و قد كنت أصلحت بين العرب و الترك و من كان من وراء النهر ، و أنصحهم فيقبلون نصحى فلا تقترن بما نلت من المسلمين من الهزيمة فىّ و فيك هذا فانك لا تطيق حرب أمير المؤمنين ، و قد أرسل يزيد يستمد بالجيوش و لست آمن أن يأتيه من المدد ما لا تقوم له و من الأمر ما لا تطيقه ، و يزيد بن المهلب فى وقته هذا سريع إلى الصلح فان قوى أمره لم يرض منك بالصلح ، و الرأى عندى أن تصالحه ينصرف عنك إلى جرجان فيكون حربه و سطوته عليهم لغدرهم و قتلهم لأصحابه . قال فقال له الاصبهبذ : ويحك يا حيان ! إنه قد بلغنى عن يزيد بن المهلب إنه قد أساء إليك بخراسان و استصفى[1] مالك و الآن[2] فانى أراك قد صرت له رسولا ، فكيف هذا؟

١٦٠/ الف قال فقال له حيان : / صدقت أيها الاصبهبذ قد كان منه إلى ما ذكرت و ليس يمنعنى ذلك من النصيحة لك و له ، و مع ذلك فان عجزت عن الصلح لما يريد أن يعطيه أعنتك بما تريد من المال ، فلم يزل حيان كذلك حتى خدع الاصبهبذ ، فاتفق الصلح بينه و بين يزيد بن المهلب على ألفى ألف درهم و أربعمائة وقر زعفران[3] أو قيمة ذلك و أربعمائة غلام على رأس كل غلام جام فضة و على كل جام طيلسان و شقة حرير

---

(١) فى الأصل : ستطف .

(٢) فى الأصل : إلا .

(٣) فى الأصل : زعفرانا .

Marfat.com

و خاتم فضة أو ذهب، و على أن يدفع إليه خمسمائة رجل من الأتراك كانوا قتلوا جماعة من المسلمين و لجأوا إليه، و على أن يطلق له ثلاثمائة أسير قد كانوا فى يده[1]. قال: فوقع الصلح على ذلك و لم يبرح حيان النبطى من عند الاصبهبذ حتى قبض ذلك كله و أتى به إلى يزيد بن المهلب. قال: و وصل الاصبهبذ حيان بثلاثمائة ألف درهم و خلى لهم الطريق.

قال: فانصرف يزيد عن بلاد طبرستان سالما غانما بعد الإياس من نفسه و أصحابه، فقدم أولئك الأتراك الذين وجه بهم الاصبهبذ فضرب أعناقهم عن آخرهم صبرا، و سار يريد جرجان.

ذكر مسير يزيد إلى جرجان وما فعل بها و بأهلها

قال: فسار يزيد بن المهلب إلى جرجان خنقا عليهم لما كان من غدرهم و قتلهم لأصحابه، و قد أعطى الله عهدا و ميثاقا لئن ظفر بهم و ظهر عليهم أن[2] يبيرهم أو يدير الأرحية بدمائهم فيطحن و يخبز من الطحين و يأكل من ذلك الخبز. قال: و بلغ ذلك المرزبان فخرج عن جرجان هاربا حتى صار إلى قلعة له فى الجبل فتحصن بها، و هى قلعة بين غياض[3] ملتفة ليس لها إلا طريق واحد. قال: و علم يزيد بن المهلب أن المرزبان قد خرج و صار إلى القلعة، فأقبل يزيد حتى نزل عليه و حاصره أربعة

---

(١) انظر ابن الأثير ٥ / ١٥ و الطبرى ٨ / ١٢٠ و ١٢٣.

(٢) فى الأصل: أو.

(٣) فى الأصل: رياض، و التصحيح من الطبرى ٨ / ١٢٤.

أشهر لا يقدر منه على شيء و قاتلهم مرارا و نصب عليهم المجانيق[1] فلم يقدر من القلعة على حيلة .

فبينما / يزيد بن المهلب على ذلك من شأنه و قد تطاول نزوله على ١٦٠/ب القلعة إذ خرج رجل من أصحابه من أهل طوس يقال له الهياج بن عبد الرحمن الأزدى إلى الصيد و معه كلب ، فنظر إلى ظبية أو وعل يتوقل فى الجبل ، فتبعه الأزدى فى طريق على مثل شراك النعل و قد كان معه قوم من أهل العسكر ، فقال لهم : قفوا مكانكم حتى أرجع إليكم فوقفوا له فى موضع أشب كثير الشجر و الشوك و الوغل . قال : و الهياج بن عبد الرحمن يتبع الوعل و يتوقل فى الجبل ، فلم يزل كذلك حتى اطلع على القلعة من طريق خفى [و] وعر ؛ فلما عاين ذلك انصرف راجعا ، و خشى أن يشتبه عليه الطريق ، فجعل يخرق ما عليه من الثياب و يجعله على الشجر علامات ، و لم يزل كذلك حتى انتهى إلى العسكر ؛ ثم أقبل إلى عامر بن أينم[2] الواشجى صاحب شرطة يزيد بن المهلب ، فذهب ليدخل إليه فمنعوه من الدخول ، فصاح و قال : عندى نصيحة ، فدعا به عامر بن أينم[3] ، ثم قال : هات ما عندك من النصيحة ، فقال : تحب أن تدخل هذه القلعة بلا قتال ؟ قال : نعم ، قال : فأدخلنى على الأمير ، فجاء به حتى أدخله على يزيد ، فقال : أيها الأمير ! ما لى عندك إن أخذت لك هذه القلعة بلا قتال ؟ قال : لك عندى عشرة آلاف دينار . قال : فعجل

---

(١) فى الأصل : المناجنيق ـ كذا .
(٢) فى الأصل : وثيل ، و التصحيح من الطبرى ٨/١٢٤ .
(٣) فى الأصل هنا : اتيم .

Marfat.com

لى منها بأربعة آلاف درهم ! قال : فأمر له يزيد بأربعة آلاف درهم ، وضم إليه من الرجال ما أحب ، ثم دعا بابنه خالد فجعله معه و قال : انظر لا أراك منهزما [1] .

قال : فسار القوم و الهياج بن عبد الرحمن الأزدى بين أيديهم و ذلك فى جوف الليل ، [2] و قد أضرمت النيران حول العسكر حتى صارت النيران كأمثال الجبال [2]، قال : و نظر أهل القلعة إلى تلك النيران فهالهم ذلك ، ثم خرجوا من باب القلعة يريدون حرب المسلمين كعادتهم و هم آمنون من ذلك الوجـــه الذى قد قصده المسلمون . قال : و أشرف المسلمون عليهم و على القلعة و نظروا إلى ما فيها ، / فكبروا و اقتحموا. ١٦١/ الف قال : فلم يشعر العدو إلا و المسلمون من ورائهم فى القلعة فأعطوا بأيديهم ، و فتحوا القلعة عنوة و أخذ المرزبان ، و أخذت القلعة و جميع ما فيها من الرجال و النساء و الذرية و الأموال ، و لم يبرح خالد بن يزيد من موضعه ذلك حتى أصبح ، ثم أقبل إلى أهله بأهل القلعة مع نسائهم و أموالهم و أولادهم وكثيرهم و قليلهم . فأمر يزيد بن المهلب بالمرزبان فضربت عنقه صبرا و أعناق أصحابه ، و احتوى على أموالهم و نسائهم و أولادهم،

---

(١) زيد فى الطبرى : « و قال يزيد للرجل الذى ندب النـاس معه : متى تصل إليهم ؟ قال : غدا عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله ، فانى سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر » ، انظر أيضا ابن الأثير ٥ / ١٦ .

(٢ - ٢) فى الطبرى : « فلما قارب انتصـاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار فى حطب كان جمعه فى حصاره إياهم فصيره آكاما فأضرموه نارا ، فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران » .

Marfat.com

ثم أمر بهدم حيطان القلعة ، و أقبل حتى نزل على جرجان فى موضع فوضع عليها المجانيق و رماها بالنيران و النفط ، فلم يزل كذلك حتى فتحها عنوة بالسيف . ثم أمر بقتل القوم ، فلم يزل يقتل و يجتهد إلى أن جرت الأرحية ، فلم يجر الدم فأجرى معه الماء ، فدارت الأرحية بالماء و الدم ، فطحن و اختبز له من ذلك الطحين خبزا فأكل و بر قسمه ؛ فأنشأ بعض بنى عمه يقول فى ذلك :

فتح الله للأمير يزيد ذى المعالى و الفضل و الإحسان
ببلد الترك و الأعاجم طرا من قرى مروها إلى جرجان
كمن القوم بالسلاح عليهم كل قوم من القروم هجان
و لقد وجه الجنود إليهم واثقا بالمهيمن الحنان
فجباه الإله بالنصر لما أن رماهم بالنفط و النيران

ثم أمر يزيد بقتلى جرجان و قتلى القلعه فنصب لهم الخشب من باب جرجان إلى فرسخين منها فصلبهم عليها ميمنة و ميسرة على طريق طبرستان ، ثم جمع الأموال فأخرج منها الخمس و قسم باقى ذلك فى المسلمين فأغناهم بغنائم لم يروا مثلها ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى[1] يقول أبياتا مطلعها :

يهب الحصون بأهلها لصديقه و جياد كل مقلص سبّاح

إلى آخرها .

ذكر كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك ابن مروان

١٦١/ب / ابن مروان

قال : ثم كتب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك : أما بعد ،

(١) فى الأصل : الأشعرى .

Marfat.com

يا أمير المؤمنين ! فان الله عز و جل قد فتح الله فتوحا لم يفتحها على خليفة من خلفاء المسلمين من قبلك من أهل خراسان إلى جرجان و دهستان و طبرستان ، و قد أعيي ذلك الفاروق و عثمان و من بعدهما من الخلفاء، حتى فتح الله ذلك كرامة لأمير المؤمنين و زيادة فى نعم الله عليه ، و قد صار فى يدى مما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذى حق حقه ٥ من الفيء و الغنيمة عشرون ألفا ألف درهم ، و أنا باعث بهذه الأموال التى أفاء الله بها إلى أسير المؤمنين إن شاء الله - و السلام .

قال فقال له كاتبه المغيرة بن أبى قرة[1] مولى بنى سدوس : أصلح الله الأمير ! لا يتقدم هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين ، فانك لا تدرى ما يكون من الحدثان من اليوم إلى الغد و لكن احبس هذا الكتاب يكون ١٠ عندك ، و اكتب إلى أمير المؤمنين بالفتح و سله أن يأذن لك بالشخوص إليه ، تلقاه[2] و تشافهه بما يريد ، فذلك الرأى ؛ فأبى يزيد ذلك و وجه بالكتاب . فلما قرأ سليمان بن عبد الملك بن مروان ذلك سره سرورا شديدا .

قال : و جعل يزيد يضم الأموال بعضها إلى بعض و يمد[3] يده ١٥ إلى أموال خراسان حتى أخذ منهم أموالا جليلة ظلما و عدوانا . قال : و كتب قوم من أهل خراسان إلى سليمان بن عبد الملك بأن يزيد ابن المهلب يريد أن يتغلب على خراسان و أنه قد عزم على الخلع و العصيان

---

(١) من الطبرى ٨/ ١٢٦ و ابن الأثير ٥/١٧ ، و فى الأصل : أبى فروة .
(٢) فى الأصل : فلقاه . (٣) فى الأصل : عد - كذا .

Marfat.com

كما فعل قتيبة بن مسلم ؛ فلما قرأ سليمان بن عبد الملك كتاب أهل خراسان اغتم لذلك و ضاق صدره و تحير فى أمره و لم يدر ما يصنع ، ثم استشار خاصته و أهل بيته و وزراءه ؛ فقال له بعض وزرائه : يا أمير المؤمنين ! إن الأموال التى قد صارت إلى يزيد بن المهلب ليست بقليلة ، و من صارت إليه مثل هذه الأموال أمكنه أن يتغلب على البلاد ، و الرأى فى ذلك / أن يوجه أمير المؤمنين إلى يزيد بن المهلب برجل من أهل ١٦٢/ الف بيته أو بعض إخوته حتى يأخذ ما عنده من الأموال ، فاذا فعل به ذلك يكون قد قص جناحه ، فان رام العصيان لم يقدر على ذلك . قال فقال سليمان ابن عبد الملك : هذا هو الرأى بعينه .

ذكر رجوع مسلمة بن عبد الملك إلى دار الإسلام بعد أربع عشرة[1] سنة

قال : ثم كتب سليمان إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك ، و مسلمة يومئذ بأرض الروم على باب القسطنطينية نازل فى مدينة القهر التى قد ذكرناها قبل ذلك[2] . قال : فكتب إليه سليمان بن عبد الملك كتابا لطيفا يعزيه فى أبيه عبد الملك و فى أخيه الوليد ، و خبّره فى كتابه بأمر يزيد بن المهلب ، و أمره فى كتابه بالانصراف إلى ما قبله ليوجه به إلى خراسان .

فلما ورد الكتاب على مسلمة لم يجد بدا من الانصراف إلى أرض الشام ، ثم نادى فى الناس أن اركبوا فانى قد عزمت على مناجزة أهل

(١-١) فى الأصل : اربعة عشر . (٢) انظر ص١٩٥ سطر ١٠ من هذا الجزء .

قسطنطينية

قسطنطينية ، قال : فركب الناس و زحفوا نحوها . قال : و علمت الروم بذلك فخرجوا إلى مسلمة فى تعبية لم يخرجوا إليه فى مثلها قبل ذلك اليوم ، و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ، فقتل من الفريقين جماعة و ولت الروم الأدبار و السيف يعمل فى أقفيتهم[1] حتى دخلوا مدينتهم ، و احتوى المسلمون على ما قدروا عليه من غنائمهم و رجعوا إلى مدينتهم القهر .

فلما كان من الغد إذا بكتاب إليون ملك الروم و قد ورد على مسلمة : أما بعد أيها الأمير ! فقد طال هذا الأمر بيننا جدا و لم أظن أن أمرنا يكون هذا ، و الآن فانى قد عزمت على مصالحتك على أنك ترحل عن هذه الجزيرة و ترجع إلى المسيحية[2] و تقيم بها ، و تؤدى إليك فى كل سنة ألف ألف درهم و ألف أوقية من ذهب و خمسة آلاف رأس من البقر و الغنم و ألف رمكة بفحولها سوى ما يتبع ذلك من أنواع البزيون[3] و الديباج و السقلاطون[4] و أشباه ذلك ، / و تسالمنى ١٦٢ / ب و أسالمك إلى أن ترى رأيك فى ذلك - و السلام .

---

(١) فى الأصل : أقفينتهم .

(٢) انظر ص ١٩٠ سطر ١٠ من هذا الجزء .

(٣) فى الأصل : البربون ، و البُزيون - بالضم : السندس - انظر لسان العرب (بزن) .

(٤) فى الأصل : السقلطون ، و السقلاطون ضرب من الثياب - انظر اللسان (سقلطن) .

قال : فكتب إليه مسلم : أما بعد فقد ورد علىّ كتابك و فهمت ما ذكرت فيه من الصلح على أنك تعطينى ما سميت و أرحل عنك إلى المسيحية ، غير أنى قد آليت يمينا لاكفارة لها أنى لا أرحل عن هذه الجزيرة أبدا دون أن أدخل مدينتك هذه ، فاذا دخلتها نظرت بعد ذلك فيما ذكرت ، وإن أنا لم أدخلها صبرت عليك أبدا حتى يفتح الله على يدى ، فان وصلت إلى ذلك فذاك الذى أريد ، و إن تكن الأخرى و قتلت أو مت شهيدا مجاهدا كان المصير إلى ثواب الله عز و جل الذى وعده عباده المجاهدين فى سبيله ـ و السلام .

قال : فمضى الرسول بالكتاب ، و نادى مسلمة فى الناس فركبوا ، فزحف بهم إلى باب قسطنطينية ، و بلغ ذلك إليون ملك الروم ، فأقبل معه أشراف أهل مملكته و بطارقتهم حتى أشرف على المسلمين ، ثم قال : أيها الناس ! أين أميركم مسلمة ؟ فانى أريد كلامه مشافهة ، قال : فدنا مسلمة حتى وقف حذاءه ثم قال : أنا مسلمة ! فما الذى تريد ؟ قال : بلغنى ما كان من يمينك التى حلفت بها أنك لا تقلع حتى تدخل مدينتى هذه . و قد رضيت و رضيت الروم أيضا بذلك على أنك لا تدخلها إلا وحدك ، لا يكون معك ثان و لك الأمان حتى تخرج ؛ قال مسلمة أيضا : رضيت بذلك أن أدخل وحدى على شرط أنك لا تغلق الباب و على أن يقف البطال بن عمرو على باب المدينة فى جميع أصحابى ، فان كان منكم إلىّ غدر[1] اقتحم البطال مدينتكم فقتل المقاتلة و سبى النساء و الذرية و أخذ الأموال ؛ قال إليون : قد رضينا بذلك .

(١) فى الأصل : غدرا .

Marfat.com

قال : ثم أمر إليون بالباب الأعظم ففتح ، ثم أمر بصف الخيل و الرجالة من باب المدينة إلى باب الكنيسة العظمى بالرايات و الأعلام ، و ترتبت البطارقة بأحسن ما يقدرون عليه من الزينة [و] وقفوا سماطين على طريق مسلمة ، ثم أذن إليون بالدخول إلى المدينة . فأقبل مسلمة على البطال بن عمرو فقال : إنى / داخل هذه المدينة و قد علمت أنها دار ٥ ١٦٣ /ا النصرانية[1] و قصبتها و عزها و ما أريد بدخولى إليها إلا عز الإسلام و إذلال الكفر ، و لست أدرى ما يكون من الحدثان ، فانظر إذا صليتم العصر و لم أخرج فاقتحموا المدينة بخيلكم و رجلكم فاقتلوا و أحرقوا ، و الأمير من بعدى عمى محمد بن مروان ، فاسمعوا له و أطيعوا . قال : ثم كبر مسلمة تكبيرة عالية و دخل قسطنطينية وحده و عليه درع و بيضة و من فوق ١٠ الدرع عمامة بيضاء ، و قد تقلد سيفين و فى يده رمح و فى رأسه عذبة بيضاء . قال : و رمقته الروم بأبصارها من كل ناحية متعجبين من شجاعته و إقدامه و شدة قلبه . قال : و مسلمة يسير فى المدينة فلا ينظر إلى أحد حتى صار إلى باب قصر إليون ملك الروم ، [فلما نظره إليون] وثب قائما و قد كان قاعدا على باب قصره ، فقام إلى مسلمة فقبل يده ، ثم سار معه ١٥ راجلا حتى صار مسلمة إلى باب الكنيسة ثم دخل الكنيسة راكبا ، و اشتد ذلك على الروم و جزعوا لذلك جزعا شديدا و هموا بمسلمة ، فمنعهم من ذلك إليون . قال : و نظر مسلمة إلى صليبهم الأعظم ، و الصليب من الذهب المرصع بالجوهر ، و قد نصب على كرسى من ذهب . قال :

(١) فى الأصل : النصارنية .

Marfat.com

فدنا مسلمة من الصليب فاحتمله عن الكرسى و وضعه بين يديه ، فقال له إليون : أيها الأمير ! إن الروم لا ترضى بهذا و أخاف عليك منهم الشغب ، فرد الصليب إلى موضعه و لك قيمته ! قال : فخلف مسلمة أن لا يخرج إلا و الصليب معه ؛ قال : و ضجت الروم لذلك ، فقال لهم إليون : كفوا إياكم الرجل ، ذروه يأخذه و لكم علىّ مثله ، فانى أخاف عليكم البطال بن عمرو أن يقتحم عليكم فيقتل رجالكم و يسبى نساءكم و ذريتكم و أموالكم و يحرق مدينتكم ، قال : فسكت القوم ، و خرج مسلمة من الكنيسة و الصليب معه و إليون ملك الروم يسايره ، حتى إذا توسط مسلمة المدينة رفع الصليب منكسا على رأس رمحه و القوم سكوت ما فيهم أحد ينطق بشىء خوفا من البطال بن عمرو أن يهجم عليهم فيمن معه / من المسلمين . قال : و خرج مسلمة من المدينة فى وقت العصر و الصليب على رأس رمحه و قدهم البطال بن عمرو و أصحابه أن يقتحموا المدينة فى ذلك الوقت ، فلما نظروا إلى مسلمة كبروا بأجمعهم تكبيرة واحدة . قال : و سار مسلمة حتى دخل مدينة القهر . ١٦٣/ب

فلما كان من الغد كتب مسلمة إلى إليون ملك الروم : أما بعد ، فان الله قد أظفرنى بك و أعلانى عليك ، و جعل جدك الأسفل ، فله الحمد على إعزاز أوليائه و إذلال أعدائه ، و قد عزمت على الرحيل عن بلدك إلى بلاد الشام ، فابعث إلى ما صالحتنى عليه فانى راحل عنك قريب إن شاء الله . قال : فكتب إليه إليون : للأمير مسلمة بن عبد الملك من إليون ملك الروم ، أما بعد ، فقد بعثت إليك عشرين ألف ألف درهم و خمسة

و خمسة آلاف رأس من البقر و الغنم و خمسة آلاف أوقية من الذهب و ألف رمكة بفحولها[1] ، و بتاج من الذهب مرصع بالجوهر لك خاصة دون أصحابك ، و أنا أسألك أيها الأمير أن تفى بما ضمنت و ترحل عن هذه الجزيرة و تقيم حيث شئت من أرض الروم - و السلام . قال : فلما أتاه الكتاب و ورد عليه تلك الأموال و ذلك التاج ، عمد مسلمة إلى ذلك التاج فباعه فى العسكر و ضمه إلى تلك الأموال ، و أخرج من ذلك كله الخمس ، و قسم باقى ذلك فى المسلمين .

ثم أمر مناديه ، فنادى فى الناس فجمعهم و خطبهم ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! أعلمكم أنى فى غمرات و غموم منذ بضع عشرة[2] سنة ، و لم أخبركم بشىء من ذلك مخافة أن تفشلوا عن قتال عدوكم و لعله قد بلغكم بعض ذلك ، أعلمكم أنى لما عبرت هذه الجزيرة و أمرتكم ببناء هذه المدينة و رد علىّ الخبر بموت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فكتمتكم ذلك مخافة العدو ، ثم ولى الناس أخى الوليد بن عبد الملك ، فأقام فى ملكه تسع سنين و ثمانية أشهر و أياما ، فكان يكتب إلىّ و أكتب إليه ، و لعله قد بلغكم و قد توفى الوليد و قام بالأمر من بعده أخى سليمان بن عبد الملك منذ ثلاثة[3] و عشرين شهرا ، و هذا كتابه يأمرنى بالقدوم عليه لأمر قد دهمه من بلاد خراسان / ١٦٤ الف

(١) و قد سبق فى ص ٢٩٩ « تؤدى إليك فى كل سنة ألف ألف درهم و ألف أوقية من ذهب و خمسة آلاف رأس من البقر و الغنم و ألف رمكة بفحولها سوى ما يتبع ذلك من أنواع البزيون والديباج والسقلاطون و أشباه ذلك».

(٢) فى الأصل : عشر . (٣) فى الأصل : ثلاث .

Marfat.com

من قبل يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، و أنا راحل إلى ما قبله إن شاء الله و لا قوة إلا بالله ، فأحببت[1] إعلامكم بذلك . قال : فبكى الناس ثم قالوا : هلم أيها الأمير حتى نبايعك ، فأنت أحق بهذا الأمر ؛ فقال مسلمة : مهلا عافاكم الله ! فانى رجل قد بلغ الناس عنى ما قد فعلت بأرض العدو طول هذه المدة ، و لا أحب أن أشق العصا و أخرج على رجل قد بايعه الناس طائعين غير مكرهين ، و أنا قد بايعت أخى سليمان فبايعوه رحمكم الله ! قال : فبايع الناس سليمان بن عبد الملك .

و نادى مسلمة فى الناس بالرحيل ، فرحلوا إلى بلاد الشام ، ثم قدمت المراكب لعبور خليج البحر ، ثم كتب إلى إليون ملك الروم : من مسلمة بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى إليون صاحب الروم ، أما بعد فانى قد أحببت أن أحسن إليك لأنى رأيتك محبا للعاقبة و أنا راحل عنك ، و قد تركت عندك مسجدى الأعظم و هو وديعتى فانظر لا تقلعن منه حجرا ، [2]و لا تنقصن من[2] سقفه خشبة ، و لا تكسرن منه عودا واحدا فما سواه ، و إياك أن تعبر هذا الخليج فى طلبى أو تطلب أثرى إذا أنا عبرت من جزيرتك هذه ، فانك أن تعديت ما أمرتك به رجعت إليك ثم لا أقلع عنك أبدا أو يهلكك[3] الله على يدى ، فاقبل من ذلك ما شئت أو دع - و السلام على عباد الله الصالحين . قال : فكتب إليه إليون : للأمير مسلمة بن عبد الملك من عبده إليون صاحب الروم ،

(١) فى الأصل : فاحببتم .
(٢ - ٢) فى الأصل : و لا تنقض منه .
(٣) فى الأصل : يهلك .

Marfat.com

أما بعد ، فقد فهمت كتابك و جميع ما ذكرت، و أنا لك أيها الأمير على السمع و الطاعة ، لا أخرج عن الطاعة و لا أتعدى عن أمرك ، و أما مسجدك أيها الأمير فانى أحلف لك بالنصرانية و الإنجيل و المعمودية أنى آمر بسد بابه ، فلا يقلع منه حجر و لا يكسر منه عود و لا يدخله أحد من الروم أبدا ما دمت حيا ، و قد وجهت لك أيها الأمير بمائة رمكة يتبعها مائة قلو وخمسمائة ثوب [1]بزيون و سقلاطون[1] هدية منى لك خاصة دون أصحابك - و السلام. قال : فلما ورد الكتاب على مسلمة بن عبد الملك و الهدايا / عمد إليها فوزعها فى المسلمين و لم يفضل نفسه عليهم بقليل و لا كثير . ١٦٤/ب

ثم دعا البطال بن عمرو فقال له : مر الناس بالعبور ، قال : فنادى البطال بن عمرو فى الناس بالرحيل ، فرحل الناس و قعدوا فى المراكب ، و ساروا فى خليج البحر ، و تخلف مسلمة فى ثلاثمائة فارس من نجباء عسكره حتى إذا علم أن المراكب فى لجج البحر أقبل إلى باب المدينة ، ثم وقف عليه و أرسل إلى إليون ملك الروم فدعاه ، فأقبل إليون مسرعا إلى مسلمة ، فلما نظر إليه نزل عن دابته ثم دنا فقبل يده فقال : أيها الأمير ! ائذن لى فى تشييعك ، فأبى عليه مسلمة و أمره بالرجوع ، فرجع إليون إلى مدينته ، و مضى مسلمة فى هؤلاء الثلاثمائة حتى صار إلى الخليج ، فركب فى مركب أعد له ، فعبر و عبر من كان معه حتى لحق بأصحابه . قال : و أقام مسلمة على شاطئ الخليج ستة أيام ، ثم رحل و رحل الناس عنها . قال : و أمر إليون بخراب مدينة القهر فخربت عن آخرها إلا مسجدها

(١-١) فى الأصل : بريون و سقلطون .

Marfat.com

فانه لم يمس .

قال : و سار مسلمة فى المسلمين حتى صار إلى المسيحية ، فلما نزلها وقع الوباء فى المسلمين ، فمات منهم خلق كثير من الرجال و النساء و الصبيان .

قال : و همّ أهل المسيحية بالوثوب على المسلمين لما رأوا من ضعفهم ، قال : و بلغ ذلك مسلمة فنادى فى أصحابه أن ضعوا فيهم السيف ، فقتل جماعة من أهل المسيحية ثم أمر بخرابها ، فخربت عن آخرها و وضع سورها بالأرض . قال : ثم سار مسلمة إلى [1] القفورية فنزلها و أدركه الشتاء ، فأقام بها ستة أشهر .

و توفى سليمان بن عبد الملك ، و كان ملكه سنتين و ثمانية [2] أشهر ، و توفى بموضع يقال له مرج دابق فى يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من المحرم سنة تسع و تسعين [3] ، و هو يومئذ ابن خمس و أربعين سنة [4] ، و صار الأمر إلى عمر بن العزيز .

[خلافة عمر بن عبد العزيز - [5]]

قال : و كان يزيد بن المهلب يومئذ مقيما بجرجان ، فلما بلغه موت

---

(١) انظر ص ١٨٨ من هذا الجزء .

(٢) من الطبرى ٨ / ١٢٦ و ابن الأثير ٥ / ١٧ ، و فى الأصل : ثلاثة - خطأ لأنه ولى الخلافة فى جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ .

(٣) فى الأصل : سبع و تسعين - خطأ ؛ انظر الطبرى ٨ / ١٢٦ و ١٢٧ .

(٤) فى مروج الذهب ٢ / ١٦٧ : و هو ابن تسع و ثلاثين سنة .

(٥) من هامش الأصل .

Marfat.com

سليمان كأنه اغتم لذلك و جعل يقول لمن حضره من أصحابه : إن معاوية بن أبي سفيان إنما كان له ولد واحد فملك الخلافة هو و ابنه بضعا و عشرين / سنة ، و سليمان بن عبد الملك له سبع سنين ، فمتى يخرج ١٦٥/ الف هذا الملك منهم ! لا يخرج إلى يوم القيامة ! و لنبايعن الأطفال من ولد سليمان . قال : و ظن يزيد بن المهلب أنه سيملك الخلافة من بعد سليمان ابنه أيوب ، قال : و إنه لكذلك إذ بلغه أن أيوب بن سليمان قد مات ؛ فعجب لذلك ثم نادى فى أصحابه بالرحيل إلى نيسابور ، فسار بين يديه راجزا له و هو يقول :

إن كان[1] أيوب مضى لشانه فان داود نفى[2] مكانه

يقيم ما قد زال من سلطانه كذا يكون الملك فى أوانه[3]

قال : ثم أقبل يزيد بن المهلب إلى نيسابور فنزلها ، و كتب إلى عماله فقدموا عليه من أطراف خراسان ، و قدم عليه أخوه مدرك بن المهلب من بلخ و معه هدايا كثيرة ، و قدم ابنه مخلد بن يزيد من طخارستان[4] و معه مائة دابة من دواب طخارستان[4] . قال : و اتصل به الخبر أن الأمر قد صار إلى عمر ابن عبد العزيز ، فجلس بنيسابور متمسكا بما فى يديه .

قال : و مسلمة بن عبد الملك يومئذ مقيم بالنقفورية من بلاد الروم ، فلم يشعر إلا و كتاب عمر بن عبد العزيز قد ورد عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ،

---

(١) فى الطبرى ٨ / ١٢٦ : يك .
(٢) من الطبرى ، و فى الأصل : كفى .
(٣) ليس المصراع فى الطبرى .
(٤) فى الأصل : بخارستان ، و التصحيح من معجم البلدان .

Marfat.com

من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة بن عبد الملك ، أما بعد ! فأعظم الله لك الأجر فى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، و بارك له فيما صار إليه ! فان أهل الشام قد بايعونى طائعين غير مكرهين على أنى أعدل فى الرعية و أقسم الفىء بالسوية ، و أنا أسأل الله التوفيق لما يحب و يرضى ، فاذا ورد عليك كتابى هذا فاسمع و أطع[1] توفق و ترشد ، و عجل بالقدوم علىّ ، و إياك و الخلاف و الشقاق فتفسد ما أصلحت و تنقض ما أبرمت ! و ادخل فى الطاعة و كن مع الجماعة ، و اقدم إلىّ بجميع ما معك من المسلمين - و السلام عليك و رحمة [الله] و بركاته .

قال : فلما ورد كتاب عمر بن عبد العزيز على مسلمة بن عبد الملك دعا بوجوه أصحابه ثم استشارهم فى المسير إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا : أيها الأمير ! نشير عليك بأن لا تخالف ، و أن تكون مع الجماعة ، فانك بحمد الله / ممن يحتاج إليه و يرغب فيما عنده لما قد أعطاك الله من العلم ١٦٥/ب و الحلم و الشدة و الشجاعة و النجدة و الشرف فى أهل بيتك و نكايتك[2] فى العدو ، و لا تفسدن هذه الخصال بالخلاف و الشقاق ، فيكون آخر أمرك إلى الدمار و الشنآن و التبار ؛ فقال مسلمة : لعمرى لقد أحسنتم المشورة ، و قد ولى هذا الرجل و هو أهل لما هو به لدينه و ورعه و زهده و عبادته و نسكه و شرفه فى قومه ، و أنا سائر إليه إن شاء الله و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) فى الأصل : اطيع - كذا .

(٢) فى الأصل : نكابتك .

Marfat.com

قال : فعندها نادى مسلمة فى الناس و سار حتى صار إلى عمورية ، فاقام بها أياما حتى عزل عماله عن جميع بلاد الروم . ثم سار من عمورية يقطع البلاد حتى صار إلى طرطوس . ثم رحل عنها إلى دمشق فى ثلاثين ألفا من الناس ، و قد كان دخل إلى بلاد الروم فى ثمانين ألفا . قال : و لم يدخل دمشق إلا بأمر عمر بن عبد العزيز ، فأقبل بجيشه حتى وقف على باب عمر بن عبد العزيز ثم استأذن ، فلم يأذن له فانصرف إلى منزله ؛ فلما كان من الغد ركب إليه فى عشرة آلاف فارس ، فلم يأذن له فانصرف إلى منزله ؛ ثم ركب إليه من الغد فلم يأذن له ؛ فركب إليه من الغد وحده و خلفه غلام له فاستأذن [فأذن] له ، فلما دخل عليه و سلم فرد عليه عمر السلام و أذن له بالجلوس فجلس ، ثم قال : يا امير المؤمنين ! أحب أن تخبرنى ما ذنبى ، إن كنت أذنبت ذنبا فقد أذنب غيرى ، و إن كنت أخطأت فالخطأ يكون من بنى آدم ، و الكمال لا يكون إلا لله عز و جل[1] . فقال له عمر بن عبد العزيز : يا مسلمة ! إنك ضربت بالناس برا و بحرا ، و سهلا و جبلا ، و قتلت الناس و بلغت موضعا لم تؤمر به ، و أردت أن يقال : غزا مسلمة و فعل مسلمة و فتح مسلمة و أغار مسلمة ! فطلبت بذلك الاسم و الذكر ، فالويل لمن عمل فى هذه الدنيا رياء للناس ! و قد قيل إنك فعلت و صنعت ؛ فان كنت فعلت ما فعلته لله تبارك و تعالى لا تريد به الحمد و الذكر من الناس فطوباك ! و إن فعلت ما فعلت رياء للناس فقد صار عملك هباء منثورا ؛ / و بعد فغفر الله لنا و لك أبا سعيد و تجاوز ١٦٦/الف عنا و عنك ! فانه متجاوز كريم . ثم قال : حدثنى عن القسطنطينية و عن

(١) فى الأصل : عز .

Marfat.com

بنيانها ، فقال مسلمة : نعم يا أمير المؤمنين ! أما بناؤها فقد كنت أراه بالحجارة و الجص خلا كنيستها العظمى و قصر ملكها إليون ، فانهما جميعا من الرخام الأبيض ، و أما سورها فلها سبعة أسوار مختلفات الأبواب ، و مع ذلك فانها أكثر بلاد الله خيرا ، و ليس لها من خليج البحر إلا طريق واحد - فهذه صفتها يا أمير المؤمنين ! قال : ثم قام مسلمة و انصرف إلى منزله ، و دعا عمر بن عبد العزيز برجل يقال له سراقة بن عبد الرحمن التميمى فعقد له عقدا و ولاه الثغر ، و أمره أن لايجاوز طرطوس إلى غيرها .

قال : و جعل مسلمة يغدو فى كل يوم إلى عمر بن عبد العزيز مسلما عليه و ينصرف إلى منزله . قال : و بلغ عمر أن مسلمة كل يوم يمضى ينفق على مائدته ألف درهم ، فأرسل إليه عمر و سأله أن يتغدى عنده ، فأجابه مسلمة إلى ذلك . قال : فأمر عمر طباخه بأطعمة كثيرة و باتخاذ العدس و البصل و الزيت - و هذا كان أكثر طعامه ، ثم إنه أوصى طباخه فقال : إذا جاء مسلمة و قدمت المائدة فابدأ بالعدس ، ثم قدم ما بدا لك ! قال : و حضر مسلمة بن عبد الملك من غد للطعام ، فلم يزل عمر يحدثه و يسأله أخبار الروم حتى انتصف النهار ، و جاع مسلمة جوعا شديدا ، فقال عمر لطباخه : قدم المائدة فقد جاع أبو سعيد جوعا شديدا ! فقدم[1] المائدة ، و ابتدأ بالعدس و البصل و الزيت كما أمره عمر . قال : فأكل مسلمة من ذلك العدس حتى شبع ؛ ثم قدمت الألوان بعد ذلك

(١) وقع فى الأصل : فقال عمر لطباخه قدم - كذا ، و الصواب ما أثبتناه .

فلم

فلم يأكل مسلمة منها شيئا ، فقال له عمر : كل أبا سعيد ! ما بالك قد رفعت يدك ؟ فقال : قد شبعت يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : يا سبحان الله ! فأنت تشبع من عدس ، لعله إنما يقوم علينا بدرهم واحد ، و ينفق على مائدتك كل يوم ألف درهم ، اتق الله أبا سعيد و لا تكن من المسرفين ، و اجعل نفقة مائدتك فى بطون جائعة ، فانه أقرب لك إلى / الله عز و جل ، فقال ٥ ١٦٦/ب مسلمة : أفعل ذلك يا أمير المؤمنين و لا أعصى لك أمرا ؛ و انصرف مسلمة إلى منزله .

ذكر كتاب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى يزيد بن المهلب ، أما بعد يا يزيد فان سليمان بن عبد الملك كان ١٠ عبدا من عباد الله أنعم عليه ثم قبضه إليه ، و قد كان استخلفنى و استخلف أخاه يزيد من بعدى ، و إن الذى ولانى الله تبارك و تعالى من ذلك [1] و قلدنى ليس بهين علىّ [1] ، و لو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج و اعتقاد أموال كان الله تبارك و تعالى قد أعطانى من ذلك و بلغ بى أفضل ما بلغه بأحد من خلقه ، و إنى لخائف فيما ابتليت به من أمر هذه الأمة ١٥ حسابا شديدا و سؤالا حفيا ، و قد بايعنى الناس أجمعون [2] ، فبايع رحمك الله و مر من قبلك بالبيعة - و السلام . قال فقرأ يزيد بن المهلب كتاب عمر ابن عبد العزيز ثم ألقاه إلى بعض إخوانه فقرأه [3] .

(١-١) فى الطبرى ٨ / ١٣٨ : و قدر لى ليس علىّ بهين .
(٢) فى الأصل : اجمعين .
(٣) فى الطبرى: «ألقاه إلى أبى عيينة . فلما قرأه قال : لست من عماله، قال : و لم؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته و ليس يريد أن يسلك مسلكهم » .

ثم دعا بابنه مخلد فاستخلفه على خراسان و خرج يزيد بن المهلب يريد العراق و معه وجوه خراسان . و خرج حتى صار إلى الرىّ [و] و جه بجميع ما كان معه من الأموال إلى البصرة . ثم خرج من بعد ذلك يزيد البصرة و إذا عدى بن أرطاة الفزارى قد أقبل فى طلب يزيد بن المهلب ، حتى إذا صار إلى العراق فنزل بواسط دعا برجل يقال له موسى بن الوجيه الحميرى ، فوجه به فى طلب يزيد إلى البصرة و كتب إليه : أما بعد يا يزيد فان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد ولانى العراقين جميعا البصرة و الكوفة . و ما والاهما من البلاد ، فان كنت فى السمع و الطاعة فأقبل إلىّ راجعا - و السلام . قال : فأخذ موسى بن الوجيه الكتاب ثم أقبل و قعد فى طيار ، و سار فى الدجلة سيرا حثيثا حتى لحق بيزيد بن المهلب بموضع يقال له نهر معقل (١) قبل أن يدخل البصرة فدفع إليه الكتاب ؛ فلما قرأ يزيد الكتاب كتاب عدى بن أرطاة قال : سمع و طاعة لأمير المؤمنين و عامله . ثم رجع مع موسى ابن الوجيه إلى / واسط . ١٦٧/الف

فلما دخل يزيد بن المهلب على عدى بن أرطاة سلم عليه و هنأه بولاية العراق ، فرد عليه عدى بن أرطاة السلام و أمره بالجلوس ، فقال له عدى : أبا خالد ! إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أمرنى أن أقبض منك الأموال التى جبيتها من بلاد خراسان و جرجان و طبرستان ؛

(١) منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزنى ، و هو نهر معروف بالبصرة فمه عند فم نهر الإجانة - انظر معجم البلدان ٨ / ٣٤٥ .

Marfat.com

فقال يزيد : أيها الأمير ! إنه كان ذلك ، غير أنى فرقته فى أجناد خراسان و قويتهم به فى جهاد عدوهم و لم أدخر من تلك الأموال شيئا ، قال فقال له عدى بن أرطاة : دع هذا يا ابن المهلب و أخرج من هده الأموال ، و إلا حملتك إلى أمير المؤمنين فيرى فيك برأيه ؛ قال فقال له يزيد : أيها الأمير ! إذا شئت ذلك فافعل ، فانى ما أكره المسير إلى أمير المؤمنين . قال : فأمر به عدى بن أرطاة فحبس عنده بواسط لكى يحمله إلى عمر بن عبد العزيز . قال : و قدم وجوه أهل خراسان و ساداتهم يتظلمون من يزيد بن المهلب حتى صاروا إلى واسط و دخلوا على عدى بن أرطاة .

ذكر القوم المتظلمين من يزيد بن المهلب و ما كان من كلامهم بين يدى عدى بن أرطاة وما كان من رده عليهم بجواب[1] لم يسمع بمثله

قال : فأول من تقدم وكيع بن أبى سود التميمى فقال : السلام عليك أيها الأمير و رحمة الله و بركاته ! قدمت أيها الأمير خير مقدم للفضل و المغنم و جزيل القسم و فوائد النعم ، فأنت أيها الأمير من كان إليه هوانا و غايتنا و رغبتنا و منتهانا ، فالحمدلله الذى أرانا هذا اليوم و أراحنا من إمارة هؤلاء القوم ، فاذا جاء الحق زهق الباطل ، و جاءنا الله بالأمير الفاصل . أيها الأمير أصلحك الله ! أعذنا من هذا العمانى يزيد بن المهلب ، الذى انتهك المحارم و استحل العظائم ، يأخذ هذه الأموال من غير حلها ،

(١) فى الأصل : جواب .

Marfat.com

و يضعها فى غير موضعها و حقها ـ و السلام .

قال : ثم تقدم هريم بن أبى طحمة[1] التميمى فقال : السلام عليك أيها الأمير و رحمة الله و بركاتـــه ، أيها الأمير ! أتم الله عليك النعمة ، و هنأك الكرامة ، و ختم لك بالسعادة و السلامة و النجاة من أهوال يوم القيامة ، فان الأمير أسعده / الله أبعد العرب همة ، و أوفاها ذمة ، إن حكم عدل ، و إن قال فعل ، و لى حقوق يجب على الأمير حفظها ، و قد كانت من يزيد بن المهلب إلينا سيرة استحل بها حرمنا و استطال بها علينا ، فأنصفنا منه أيها الأمير و أعدنا عليه ، و إلا ركبت فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ و السلام .

١٠/ب ٥

ثم تقدم عمر بن يزيد فقال : السلام عليك أيها الأمير و رحمة الله و بركاته ! أسأل الله للأمير أتم النعماء و أحسن البلاء و أفضل العطاء ، فان الأمير أيده الله تعالى غياث المظلوم و فراج الهموم ، و قد فزعنا إليه فى أمور ملمة مقطعة مهمة آتاها إلينا يزيد بن المهلب[2] و اجتر بها[1] لدينا ، لم يفعل ذلك بعز عشيرته و لا بشرف إمرته ، و لكن بقسوة قلبه و جرأته على ربه ، و بسلطان أمير المؤمنين الماضى سليمان بن عبد الملك ، فأنصفنا منه أيها الأمير و أعدنا عليه ، و إلا ركبت فيه إلى أمير المؤمنين عمر .

قال : ثم تقدم محمد بن مسلم الباهلى . فلما سلم همّ أن يتكلم ، فقال له عدى بن أرطاة : يا هذا اربع قليلا فانكم قد تكلمتم فأكثرتم ، فان شئتم

(١) فى الأصل : أبى طلحة ـ خطأ .

(٢-٢) فى الأصل : و اجر بها ـ كذا بلا نقط .

Marfat.com

جمعت بينكم و بين صاحبكم حتى تسمعوا منه ، فان أحببتم أن يكون ذلك في خلوة ، و إن أحببتم أن يكون ذلك علانية على رؤس الأشهاد . قال : فأرسل عدى بن أرطاة إلى يزيد بن المهلب فدعا به من محبسه ، فلما دخل و سلم أمره عدى بن أرطاة بالجلوس فجلس ، ثم أقبل على القوم فقال : هذا صاحبكم الذى ذكرتموه و طلبتموه ، فكلموه الآن بما تريدون .

و هذا كلامهم ليزيد بن المهلب على رؤس الأشهاد

قال : فتكلم وكيع بن أبى سود فقال : الحمد لله الذى أذلك ، و أوهن أمرك ، و صغر قدرك ، و قصر يدك ، فنطقت فيك غير مقمع و لا مبكت ، فالآن توقع ما استسهلت و تجازى بما استحللت ، و تكافأ بما فعلت ، فانما فتحت خراسان فتح الخونة و قد كانت قبل ذلك مكنونة ، ثم تشكو نعماى إليك ، و لأحسن بلائى لديك ، فاردد علىّ يا عدو نفسه ما لم تكسبه أنت و لا آباؤك /من قبلك ! و إلا ركبت فيك إلى أمير المؤمنين ١٦٨/ ا عمر - و السلام .

قال : ثم تكلم هريم بن أبى طحمة [1] فقال : يا ابن المهلب ! الآن حملت على ذنبك و قلة خوفك من ربك إذا زالت عنك إمارتك ، و أوبقك جريرتك ، و ودعك سلطانك ، و خذلك أعوانك ، و أخذت بذنوبك ، و رميت بعيوبك يا ابن الرحمة شرة حرة و أمة ، فاردد الآن ما أخذت من أموالنا بغير حقها ، و إلا ركبت فيك إلى أمير المؤمنين

(١) فى الأصل : أبى طلحة .

عمر . ثم تكلم عمر بن يزيد فقال : يا ابن المهلب ! أخذت أموالنا و انتهكت محارمنا و قد أقام الله عزوجل إماما عادلا ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، و الله يا عدو نفسه أن لو لا حق الله تبارك و تعالى و سلطان أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك لما كنت أنت و قومك بالذين يغلبوننا و لا ينثرونا ، فان كنت ابتلعتها حلوا فانك ستقيؤها بريش علق و علقم ، ثم تغص بها غصص الشيخ الأدرد مع ركوبى فيك إلى أمير المؤمنين عمر . قال : ثم تكلم محمد بن مسلم الباهلى قال : يا ابن المهلب أنا الذى لم آل الك عملا قط و لم تطلبنى بذيل كان منى إليك و لا دخل ، فكيف بك إذا حتوتُ[1] راكبا فأحمل السيف على عداوتك فأسقيك بما سقيت و أجزيك بما أسديت لا أنام إذا هجعت ، و لا أراعيك إذا خضعت مع ركوبى فيك إلى أمير المؤمنين عمر .

قال : و كان هؤلاء الأربعة يتكلمون و الناس يستمعون و يزيد بن المهلب مطرق إلى الأرض لا يتكلم بشىء حتى فرغ القوم من كلامهم ، أقبل عليه عدى بن أرطاة فقال له : إنه قد تكلم خصماؤك فما الذى تقول يا يزيد ؟

ذكر جواب يزيد لهؤلاء القوم

قال : فقال يزيد : الحمد لله على سراء أمره و ضرائه ، و ما قدم إلينا من كثير نعمائه ، الذى كان من سرور فمنه ، و ماكان من غير ذلك

(١) فى الأصل : حثوث ـ كذا .

Marfat.com

فمن آلائه و حسن بلائه ، فأما ما وصفتم من عدل الأمير أيده الله فهو المحمود فهمه ، العظيم حلمه ، ثم إن أمور العباد بيد الله فمسىء و مذنب و معاقب و معطب ، فأما أنت يا وكيع بن أبى سود / فانك وكيل ١٦٨ / باطل ، لست فى أمرك بشىء من طائل ، إن دعيت لغى كنت له منقادا ، و إن دعيت إلى خير ازددت منه بعادا ، شيخ أروه معتوه أبله ، إن قدموك قدمتهم ، و إن أخروك تبعتهم ، صدك عن المجد أصلك ، و أمال بك عن الحق جهلك ، ثم علىّ ثكلتك أمك بعد العدم ! إن فتحت خراسان فتح الخونة ، و كانت قبل فتحى لها مكنونة ، إنه لو علم أهل خراسان أن رجلا هو أشهى و أهنى منك رأيا لقلدوه أمورهم ، و لكنك أنت بمنزلة الحاضنة على بيض أخرى ، فالمؤنة عليها و الفراخ لغيرها ، و أما أنت يا هريم بن [أبى] طحمة ، الذاكر للرحمة ! اللأمة اللخناء ، الموصوفة بالشنعاء ، المعروفة بالسوءاء ، المصروفة عن سريرات النساء ، جاءت بك مشبها فى العشيرة ، و كانت بأبيك خبيرة ، مع أن لله علىّ نذرا واجبا لئن أظفرنى الله بك فيما يكون من الجديدين ، لأقطعن منك أعز الوصلتين ، ثم لأبينها إبانة الشعرى من الفرقدين ، إلا أن تراجع ، و لما أرى أن ذلك لك شافع ؛ و أما أنت يا عمر بن يزيد ! فوالله إنك لنى ضحضاح من اللوم أقبح ، و مركز من الذل أقبح ، و حشاش فى موضع من القبائل و ما أراك منها قان[1] الحامل ، و أيم الله ما أظن أنك قمت هذا المقام ، مجترئا علىّ هذا الكلام ، حتى مزجت خمرة ذات سورة فملأت منها بطنك ، و أفضت علىّ سبالك ، و طفطفت علىّ شواربك ، ثم دعتك نفسك إلى ما يقصر

(١) فى الأصل : فان ـ كذا .

Marfat.com

عنه باعلك، و يقل دونه متاعك؛ و أما أنت يا باهلة ! فوالله لأنت المسند فى محتدك ، و المقهور فى بلدك ، المخالف فى قولك ، الضعيف فى فعلك ، و أيم الله إن لو كنت ثائرا من أحد لاستثأرت[1] من هذا القاعد إلى جنبك وكيع بن أبى سود المتقرب إلىّ بقتل أخيك قتيبة بن مسلم و أصحابه ، و إنما تهددكم إياى بأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أعزه الله و أيده فمن طلب شيئا فليركب . قال : ثم وثب يزيد بن المهلب فنفض ثوبه فى وجوه القوم و خرج ، فالتفت عدى بن أرطاة فقال : /كيف رأيتم مصادر الكلام ، و الله لقد أفحمكم حتى رأيت وجوهكم قد ارتدت ! و ما رأيت أحدا منكم يقدر على إجابته . قال : ثم أقبل عدى بن أرطاة على أهل مجلسه فقال : هذا و الله رجل أهل العراق و عميدها ، فلله دره و در أبيه !

١/ الف

ذكر قدوم يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز

قال : ثم أمر عدى بن أرطاة بيزيد بن المهلب فقيد و حمل إلى عمر ابن عبد العزيز ، فلما دخل عليه و سلم أمره بالجلوس فجلس ، و سأله عمر عن الأموال التى كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال يزيد : نعم يا أمير المؤمنين إنى قد كنت من سليمان بالمكان الذى قد علمت ، فكتبت إليه بذلك الكتاب ليسمع به الناس ، و قد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذنى بما كتبت به إليه ، و لا كنت أخاف أن يأتينى من قبله أمر أكرهه . قال فقال له عمر بن عبد العزيز : يا ابن المهلب ! دع عنك هذا ، فانى ما أجد بدا من أخذك بتلك الأموال حتى تؤديها و إلا حبستك بها ، فاتق الله

(١) فى الأصل : لا ستثرت ـ كذا .

يا

Marfat.com

يا ابن المهلب و أدّ ما قبلك فانها حقوق المسلمين و لن يسعنى تركها عليك .
قال : فأبى يزيد بن المهلب بأن يقر له بشيء ، فأمر به عمر فزيد فى حديده ، و أمر بحبسه .

ذكر قدوم مخلد بن يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز من خراسان

قال : و قدم مخلد بن يزيد بن المهلب من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز ، فلما دخل سلم عليه بالخلافة و وقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! إن الله تبارك و تعالى قد صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، و ليس يجب أن تكون أشقى الناس بها ، فلما ذا تحبس والدى و لاذنب له ؟ قال : أحبسه بالمال الذى احتازه من خراسان ، وكتب به إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال فقال مخلد : يا أمير المؤمنين ! فصالحنى عنه بما أحببت ، فقال عمر : لست أصالحك على شيء أبدا ، و لا يخرج من محبسى أو يؤدى ما عليه ! فقال مخلد : يا أمير المؤمنين ! إن كان هاهنا بينة يشهدون عليه بهذا المال فخذه به ، و إن لم تكن / بينة فصدق مقالته ١٦٩/ ب و استحلفه ، فقال عمر : لا أحلفه و لا يخرج من محبسى أو يؤدى ما عليه ! قال : فسكت مخلد بن يزيد و خرج من عند عمر بن عبد العزيز ، فالتفت عمر إلى جلسائه فقال : هذا عندى خير من أبيه .

ثم إن مخلد بن يزيد اعتل علة شديدة ، فمكث فيها أياما عليلا ، ثم مات بعد ذلك . و بلغ ذالك عمر بن عبد العزيز ، فأرسل إلى يزيد بن

Marfat.com

المهلب أن اخرج من محبسك و افرغ من أمر ابنك ، فاذا دفنته فارجع إلى محبسك . قال : فأرسل إليه يزيد إن رأيت أن تصلى عليه أنت يا أمير المؤمنين ، فانى لا أخرج من هذا الحبس إلا و أنت راض عنى . قال : فصار عمر بن عبد العزيز إلى مخلد بن يزيد و قد فرغ من جهازه و حمل على أعواد المنايا ، فصلى عليه . فلما دفن التفت عمر إلى من كان معه فقال : لقد مات اليوم فتى من سادات الأزد .

ذكر ولاة خراسان و أرمينية

قال : و بقيت خراسان بلا أمير ، فدعا عمر بالجراح بن عبد الله الحكمى فعقد له عقدا و ولاه بلاد خراسان ، قال : فسار الجراح بن عبد الله حتى صار إلى خراسان و نزل مدينة مرو . ثم دعا عمر أيضا برجل يقال له عبد العزيز بن حاتم فعقد له عقدا و ولاه بلاد أرمينية ، قال : فسار عبد العزيز بن حاتم يريد أرمينية ، و بلغ عمر بنَ عبد العزيز عنه أمر من الأمور ، فأرسل إليه فعزله ، و ولى مكانه عدى بن عدى الكندى ، [فسار عدى] إلى بلاد أرمينية حتى نزل البيلقان ، و كان يصيب أهلها العطش ، فحفر لهم عدى نهرا و أجرى فيه الماء ، فذلك النهر إلى يومنا هذا لا يعرف إلا بنهر عدى[1] . قال : فأقام عدى بن عدى على عمله بأرمينية بضعة عشر شهرا ، ثم عزله عمر و ولى مكانه الحارث بن عمر الطائى . قال : فأقبل الحارث بن عمر إلى بلاد أرمينية حتى نزل برذعة ، فأقام بها شهرا ؛

(١) كذا ، و فى معجم البلدان ٨/٣٤٢ : « نهر عدى بن أرطاة بالبصرة » و لم نجد نهر عدى بن عدى فى أرمينية .

Marfat.com

و مرض عمر بن عبد العزيز مرضته التى مات فيها ، و يزيد بن المهلب فى السجن ، فلما علم أن عمر بن عبد العزيز / قد مرض جعل يحتال فى الهرب ١٧٠/ الف من السجن مخافة من يزيد بن عبد الملك ، لأن يزيد بن المهلب علم أنه إذا مات عمر بن عبد العزيز فلن يلى الخلافة إلا يزيد بن عبد الملك . قال : و إنما كان خوف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك لأمر كان بينه و بينه قديما ـ و السلام .

خبر يزيد بن المهلب و يزيد بن عبد الملك

قال : و قد كان يزيد بن المهلب فى أيام سليمان بن عبد الملك دخل ذات يوم إلى الحمام ، و خرج و عليه حلة له يمانية ، و فى رجله نعل له يصر صريرا شديدا ، و قد تضمخ بالغالية ؛ فقال يزيد بن عبد الملك و هو جالس إلى جنب عمر بن عبد العزيز : قبح الله هذه الدنيا و ما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلا ينالها إلا كل شريف ! قال : فسمع ذلك يزيد بن المهلب فالتفت إلى يزيد بن عبد الملك فقال : يا مؤنث ! أ لى يقال هذا و أنا ابن المهلب بن أبى صفرة ! إنما كان يجب عليك أن تقول : وددت أن الغالية لا توجد إلا فى جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلى ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : مهلا أبا خالد ! و لا كل هذا ، فانه ولى عهد ، و مع اليوم غد . قال : فالتفت يزيد بن عبد الملك فقال : و الله يا ابن المهلب لئن وليت هذا الأمر يوما من الأيام لأقطعن خير طابق من يديك ! فقال له يزيد بن المهلب : و الله لئن وليت هذا الأمر و أنا حىّ

Marfat.com

لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف . و هذا كان السبب بين يزيد بن عبد الملك و يزيد بن المهلب[1] . فلما مرض عمر بن عبد العزيز اتقى يزيد ابن المهلب على نفسه ، فأرسل إلى مواليه الذين كانوا معه بالشام و أمرهم أن يعدوا إبلا ليهرب عليها ، ثم إنه صانع الحرسى بألف دينار و خرج ذات ليلة من الدار التى هو محبوس فيها ، ثم أقبل إلى الموضع الذى قد أعدت له فيه الإبل ، فركب و ركب معه مواليه ، و مضى هاربا على وجهه / حتى صار على مراحل من الشام . و تقارب من العراق . ١٧/ب

ثم كتب إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد يا أمير المؤمنين فو الله ان لو علمت أنك تبقى حيا ما برحت من محبسى الذى حبستنى فيه أبدا حتى تكون أنت الذى تخرجنى ، و التى رأيتك عليلا فعلمت أنك إن مت لم آمن يزيد بن عبد الملك على نفسى لما قد علمت ما كان بينى و بينه فلا تظن بى غير ذلك - و السلام .

قال فقال عمر بن عبد العزيز : اللهم إن كان يزيد بن المهلب يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره ، إنك على كل شىء قدير ، و ذلك عليك يسير .

---

(١) فى الطبرى ٨/١٣٦ : « فلم يزل (يزيد بن المهلب) فى محبسه ذلك حتى بلغه عرض عمر ، فأخذ يعمل بعد فى الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لأنه كان قد عذب أصهاره آل أبى عقيل ، كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج ابن يوسف عند يزيد بن عبد الملك فولدت له الوليد بن يزيد المقتول ، فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا ، فكان يخشى ذلك » .

ذكر

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

قال : و حضرت عمر الوفاة فدعا بابنه محمد فأقعده بين يديه فأوصى إليه بوصيته و عهد إليه عهده ، ثم قال : يا بنى ! اعلم أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يقول : إن الإمام إذا كان عادلا فى رعيته ثم مات و ألحد فى قبره يترك على ما ألحد فى قبره ، و إذا كان ظالما غشوما قلب على شماله . فانظروا إذا أنا مت فضعونى فى لحدى و سرجوا علىّ اللبن و ذرونى ساعة ، ثم ارفعوا اللبنة التى على رأسى ، فانظروا فان كنت على حالى التى وضعت عليها فالحمد لله رب العالمين ، / إن رأيتمونى قد انقلبت على شمالى فانا لله و انا إليه راجعون ! قال : ثم مات عمر بن عبد العزيز . و كانت خلافته سنتين و ستة أشهر و يومين ، و توفى بموضع يقال له دير سمعان يوم الأحد لست ليال خلون من رجب سنة إحدى و مائة و هو ابن تسع و ثلاثين سنة[1] .

١

* * * * *

(١) انظر الطبرى ٨ / ١٣٧ .

Marfat.com

خاتمة الطبع

تم بحمد الله و حسن توفيقه طبع الجزء السابع من كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى رحمه الله يوم الخميس الحادى و العشرين من شهر المحرم الحرام سنة ١٣٩٤ هـ = ١٤ فبراير ١٩٧٤ م ؛ تحت إدارة مدير الدائرة و عميدها أجد أعلام الهند من أولى الألباب ، « أفضل العلماء » بروفسور السيد عبد الوهاب ، البخارىّ حين الانتساب ، إلى آبائه الكرام ذوى الأحساب و الأنساب ، و فَّى الله أجره بغير حساب ! نعم العبد انه اواب !

اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة السيد محمد عظيم الدين - كامل الجامعة النظامية - حفظه الله تعالى !

و عنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - غفر الله له و لوالديه !

و يليه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى و أوله « خلافة يزيد بن عبد الملك » و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه ، سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

Marfat.com

Marfat.com

DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/XII/VII

KITĀBU'L FUTŪH

BY

ABŪ-MUḤAMMAD AḤMAD IBN A'THAM AL-KŪFI

(d. about 314 A.H./926 A.D)

Vol. VII

Printed
Under the Auspices of the Ministry of Education
Government of India
&
Under the Supervision of
PROF. SAYYID 'ABDUL WAHĀB BUKHARI
Director, Da'iratu'l-Ma'arifi'l-Osmania

(First Edition)

Published by
THE DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—500007
INDIA

(1974 A.D. / 1394 A.H.)

Nizami Book Agency
BUDAUN 243601 (U.P.)

Marfat.com

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/ ١٢ /٧

كتاب الفتوح

للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي

(المتوفى نحو ٣١٤ هـ = ٩٢٦ م)

(الجزء السابع)

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

البروفيسور السيد عبد الوهاب البخاري مدير دائرة المعارف العثمانية و عميدها

الطبعة الأولى

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند

١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

Marfat.com